الكتاب المرجعي في الشريعة والقانون

مجموعة الأبحاث الطبية

الدكتور
مصطفى إبراهيم الزلمي
الأستاذ المتمرس في الشريعة والقانون

الطبعة الأولى ٢٠١٤

مجموعة
الأبحاث الطبية

ختان الاناث أضراره وتحريمه في القران
التدخين.. أضراره وتحريمه في القرآن
حكم التعامل مع الجين البشري في الشريعة الإسلامية
الإجهاض والتلقيح الصناعي وتحديد النسل
مدى مشروعية الاعمال الطبية

تأليف

الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي

الاستاذ المتمرس في الشريعة والقانون

مجموعة الأبحاث الطبية

تأليف : البروفيسور مصطفى ابراهيم الزلمي
الناشر: نشر احسان للنشر و التوزيع
الطبعة الأولى ٢٠١٤ - ١٤٣٥
مدير المشروع: ريدار رؤوف احمد
تصميم : جمعة صديق كاكه
المشرف على الطبع: ياسر يعقوبي

رقم الإيداع : ١٠٤- ٢٠١١
رقم الدولي (ISBN) للمجموعة:
978-600-349-006-2
رقم الدولي (ISBN) للكتاب:
978-600-349-028-4

الفهرس

ختان الاناث أضراره
وتحريمه في القران

المقدمة

الاسباب الموجبة لتقديم هذه الخدمة المتواضعة وأنا قرين الفراش أعاني آلام ساقي المكسورة كثيرة منها:

١. ختان الاناث في الوقت الحاضر لم يلتزم به الا الشعب الكردي ولوكان شعاراً اسلامياً لطبق في سائر أنحاء العالم الاسلامي بوجه خاص للملكة العربية السعودية التي هي مهبط الوحي ومركز شعاع الاسلام.

٢. رفع الخلط بين كون الختان شعاراً دينياً ووحياً إلهياً وبين كونه عادة موروثة مذمومة إستحدثها الانسان القديم لدوافع ماتزال مجهولة وربما كانت ضد المرأة التي هي نصف المجتمع وأمه وبنته وأخته وزوجته.

٣. مسؤولية السلطة عن عدم معالجة أبشع صور العنف ضد البنت المسكينة التي لو كانت لديها قدرة التعبير لصاحت في وجه أبويها: أتركاني ولا تعذباني، الاسلام ينهى عن التعذيب، والرسولﷺ قال ((من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)). أتركاني لطبيعتي الانثوية التي خلقني الله عليها وكُفا من تغيير الفطرة التي فطرني الله عليها وهو يقول لكما ولأمثالكما: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1].

٤. مسؤولية بعض علماء الدين الذين أعطوا الصفة الشرعية لهذه العادة الهمجية، مستندين الى أحاديث مختلقة التي لا أساس لها في الوجود، مرجحون لها على النصوص القرآنية الآمرة بأن كلما يكون ضرره أكثر من نفعه فهو حرام والناهية عن تغيير خلق الله بدون ضرورة تقتضيه.

٥. الاعلام بأن أكثر دول العالم الاسلامي ترفض رفضاً باتاً ممارسة ختان الاناث، وفي مقدمتها دولة المملكة العربية السعودية التي هي مهبط الوحي الإلهي ومركز الشعاع الاسلامي ومسقط رأس صاحب الرسالة التي حلت محل الرسالات السابقة في العمل بمقتضاها. ولو كان الختان شعاراً إسلامياً لكانت هي الأولى بالالتزام به من غيرها.

---

[1] سورة التين، ٤.

٦. إن ختان الاناث عمل من قبيل العادات وليس من قبيل الشعائر والعبادات، والذي من قبيل الشعائر هو ختان الذكور باتفاق علماء الدين والاطباء على مر العصور للضرورة التي تقتضيه، لأن داخل قلفة الذكر هو منبت خصب لتكون الافرازات التي تؤدي الى تعفن يغلب فيه تكوين الجراثيم، لأمراض ضارة يترتب عليها منها حدوث مرض السرطان.

٧. عدم إشارة القرآن الكريم الى الختان لامن بعيد ولا من قريب، مع أنه أفرد أبوباً خاصة بالمرأة وتناول بيان أحكامها بنصوص خاصة كالحيض والنفاس والحمل والرضاعة والحضانة والخطبة والطلاق والعدة وغيرها من سائر الاحكام الخاصة بالإناث.

٨. رفع الرجاء الى الشيوخ الافاضل علماء الدين في كردستان العراق ان يتعمقوا في هذا الموضوع وان لا يحول التعصب المذهبي دون عملهم بروح القرآن الذي جاء لخدمة المصلحة البشرية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

خطة الدراسة

طبيعة الموضوع تتطلب توزيع دراسته من الناحية الشكلية على أربعة فصول:

الفصل الاول: الختان نشأته وأضراره.

المبحث الاول: الختان ونشأته

المبحث الثاني: أضرار الختان

الفصل الثاني: القرآن أحكامه ووظيفته

المبحث الاول: أحكام القرآن

المبحث الثاني: وظيفة القرآن

الفصل الثالث: الآيات القرآنية المعارضة لختان الإناث والأحاديث الآحادية المؤيدة له.

المبحث الاول: الآيات القرآنية المعارضة للختان

المبحث الثاني: الأحاديث المؤيدة للختان ومناقشتها

الفصل الرابع: فتاوى العلماء المعاصرين وموقف القوانين الوضعية

المبحث الاول: فتاوى العلماء المعاصرين

المبحث الثاني: موقف القوانين الوضعية

الخاتمة: النتائج

الفصل الأول
الختان نشاته وأضراره

توزع دراسة هذا الموضوع على مبحثين يخصص الاول لنشأة الختان، والثاني لأضراره.

المبحث الأول
الختان ونشأته

التعريف بالختان:

في اللغة: الختان بكسر الخاء وفتح التاء مصدر ختن أي قطع، والختن بفتح الخاء وسكون التاء قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص. والاختتان والختان إسم لفعل خاتن. وختان الذكر قطع القلفة وهي الجلد التي تغطي الحشفة حتى لايبقى شيء من الجلدة يتدلى وتنكشف جميع الحشفة.

وختان المرأة قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كعرف الديك وتعرف بالبظر. وقد يستعمل الختن للرجال والخفض للنساء، ويسمى لغةً ختان الذكور أعذاراً وختان الإناث خفضاً.

وفي العرف يستعمل الطهر أو الإطهار أو الطهارة للذكر والأنثى[1] وفي الاصطلاح إستعمل نفس المعنى اللغوي للختان[2].

أما من حيث الحكم فقد إختلف الفقهاء في ختان الاناث هل هو واجب أو مستحب أو مكرمة أو محرم كما يأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله، لكن لاخلاف في أن ختان الذكر من صنف الجواز أو الوجوب. والسر في هذا الاختلاف، أن طبيعة جهاز الانثى تقتضي عدم الختان، لأن ضرر الختان أكثر من نفعه، بخلاف ختان الذكور فإن طبيعة الجهاز تقتضي الختان لأسباب صحية لأن عدم الختان يؤدي غالباً الى الاصابة بالأمراض الخطيرة كالايدز والسرطان وغيرهما من الامراض.

نشأة الختان:

لم يثبت في التاريخ متى نشأ الختان بل هناك روايات وآراء مختلفة بصدد أول من إستحدث هذه العادة ومن تلك الروايات ما يلي:

---

(١) لسان العرب فصل الخاء حرف النون. مختار الصحاح مادة ختن.

(٢) الشوكاني، نيل الاوطار، ١/١٢٤.

أولاً: يقول (هيرودوت) المؤرخ الإغريقي: "إن الذين زاولوا الختان منذ أقدم العصور هـم المصريون والآشوريون والكوشيون والاحباش، أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه من المصريين وقد إكتشف -لوريا- في مقبرة الأطباء في -سقارة- رسـوماً فيهـا عمليات جراحية يرجح أنها كانت للختان كما إتضـح ذلـك مـن وضـع المريضـين الشابين"[1].

ثانياً: من روايات نشأة الختان أن الانسان القديم إستخدمه واستعمله كـأداة للـتحكم في جسم المرأة وغريزتها وميولها طبقاً لما يوهن إرادتها وما يحرمها حقها، فهو نـوع من الخصاء الذي كان يمارسه الانسان مع الحيوان ومع العبيد أو كان يضعف مـن غريزتها الجنسية بحيث لاتجد دافعاً لإرواء شهوتها مـع زوجهـا أو سـيدها ولكـن أخذت هذه للممارسة طابعاً يبعـدها عـن أصلها الوحشي، فقـد أضـيف إليهـا خرافات أسطورية عديدة حتى عندما ظهرت الأديان الحقت هذه الأساطير بالختـان عند النبي إبراهيم (عليه السلام) فقيل إن الله أوصاه بالختان لأنه العلامة الـتي يميز بها شعب إسرائيل من بقية الشعوب وأنه -إبراهيم- وقع على وثيقـة عهـد تعهد الله بمقتضاها له لأن تكون الأرض من نهر النيـل الى نهـر الفـرات الكـبير ملكاً له ولنسله وتقول الاسطورة إنه وقع عليها بدم الختان لانعدام الحبر.

ومن البدهي أن هذه كلها مجرد أساطير دينية ولا اصل لها في الحقيقة فلمـا ظهـر الاسلام نقل المفسرون صفحات كاملة من العهد القديم ومن آثـار أهـل الكتـاب عن الختان حتى جعلوه شعيرة إسلامية بحيث أوجبوا الختان حتـى علـى مـن ولـد ميتاً"[2].

ثالثاً: يعتقد البعض بداية إجراء الختـان بفـترة (٤٠٠٠) ق.م بينمـا يردهـا الـبعض الى النبي إبراهيم (٢٠٠٠) ق.م"[3].

رابعاً: يذهب بعض الروايات التاريخية الى أن ختان الإنـاث عنـد اليهـود كـان ضـحية الخطيئة وكانت الخطيئة هي الفكرة السائدة في الدين اليهودي ولما كانت الطبيعـة البشرية ضعيفة والسنن معقدة صعبة لم يكن ثمة مفـر مـن الوقـوع في الخطيئـة

---

[1] تاريخ الحضارة المصرية، المجلد(١)، ص٥٣٣ وما يليها

[2] الاستاذ جمال البنا، الختان ليس سنة ولامكرمة ولكن جريمة، ص٩٤.

[3] ويكيبيديا الموسوعة الحرة المنقولة عن (tfj.saqepub.cgi) تاريخ الزيارة ٢٠١٠/٧/٢٢.

وكان يمكن إتقاء الخطيئة ونتائجها بالصلاة والتضحية. وبدأت التضحية عند الساميين والآريين بالضحايا البشرية ثم حل الحيوان محل الانسان فصار يضحي بأولى ثمرات القطعان وباكورة الطعام الذي تنتجه الحقول ثم إنتهى الأمر أخيراً بالاكتفاء بالتسبيح والثناء على الله وكان الاعتقاد السائد في أول الأمر أن لايؤكل لحم حيوان إلا إذا ذبحه كاهن وباركه وعُرض وقتاماً على الآله. وكانت عملية الختان نفسها من أعمال التضحية لاتقاء الخطيئة. ولربما كانت بداية لتضحية أخرى أشد منها قسوة يكتفي فيها الآله يأخذ جزء من كل وكان الحيض والولادة كالخطيئة يدنسان المرأة ويتطلبان تطهيراً ذا مراسيم وتقاليد[1].

خامساً: هناك إتجاه أخر يرى أن عادة ختان الاناث نشأت كعقوبة بدلاً من عقوبة القتل، حيث ذهب الى أن في بعض البلاد كاليمن مثلاً إنتشرت عادة الخيانة الزوجية وكان اللواتي كن يمارسن الجنس سراً دون علم أزواجهن يعاقبن بدلاً من عقوبة القتل بعقوبة الختان واستمرت هذه الظاهرة الى حين مجيء الاسلام وأصبحت عرفاً في المجتمع العربي في الجزيرة العربية.

سادساً: في إنجيل برنابا آثار في أن آدم عليه السلام كان أول من أختتن وأنه فعله بعد توبته من أكل الشجرة وتركه ذريته الى أن أمر الله نبيه إبراهيم بإحيائه[2].

سابعاً: وجدت ألواح طينية ترجع الى الحضارتين البابلية والسومرية (٣٥٠٠ ق.م) فيها تفاصيل عملية الختان[3].

ثامناً: وجدت لوحة في قبر توت عنخ آمون أحد ملوك فراعنة مصر (٢٢٠٠ ق.م) تصف عملية الختان عند الفراعنة وتشير الى أنهم وضعوا مرهماً مخدراً قبل الشروع في إجرائها[4].

---

(١) قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، نشأة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ج٢، الفصل الثالث، ص٣٤٥.

(٢) د. عبدالسلام السكري، ختان الذكر وخفاض الانثى، الدار المصرية للنشر، ١٩٨٩، ص.

(٣) الاستاذ عبدالرحمن الحجازي، الختان بين الشريعة والقانون، ابن النفيس، دمشق، ١٩٩٦. ص.

(٤) د. علاء،ختان الاناث- دراسة مقارنة في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، المرجع السابق، ص١٧.

تاسعاً: يرى البعض أن ختان الانثى يرجع الى ما قبل التأريخ عندما كان البشر يقدم قرباناً للتخلص من الشيطان، حيث كانت الخطيئة مرتبطة آنذاك بمفهوم الأنثى التي يجب تطهيرها من الدنس الذي يتلبس جسدها[1].

عاشراً: وفي رأينا المتواضع أن سبب نشأة الختان ليس واحداً، وإنما هو يختلف باختلاف الزمان والمكان لكن كان السبب الرئيس هو تقليل النشاط الجنسي بالنسبة للجواري بالختان أو إعدامه من الوجود بالخصي للعبيد وكانت الغاية حماية مصلحة أسياد العبيد والجواري. فالختان والخصاء متزامنان من حيث النشأة بعد أن نشأ النظام البغيض للرق واسترقاق الانسان لأخيه الانسان ظلماً وعدواناً.

---

[1] د. خالد منقر، مجلة طبيبك الخاص، العدد (٢٩٣) ما يو ١٩٩٢، ص٦٩.

المبحث الثاني
الاضرار الصحية لختان الإناث

لختان الاناث كأية عملية طبية أضرارها ولكن ليس هناك إحصائيات موثوقة في هذا المجال. ومن أهم هذه الاضرار الصحية ما يلي:

أولاً: النزيف: يؤدي ختان الاناث الى نزيف دموي وفي بعض الحالات يكون النزيف بسيطاً يمكن إيقافه بوسائل بدائية، وفي حالات أخرى يكون النزيف شديداً لإصابة الشريان البظري الذي يندفع منه تيار الدم تحت ضغط شديد فتحتاج الفتاة الى نقل الدم وإجراء جراحة عاجلة، وهناك حالات تكون فيها الطفلة مصابة بمرض سيلان الدم الوراثي فيسبب الختان نزيفاً مستمراً قد يؤدي الى وفاة البنت.

ثانياً: الصدمة العصبية: وهي رد فعل الجسم للألم والنزيف. وأعراضها إنخفاض شديد لضغط الدم وحرارة الجسم والإغماء. وقد يمكن إنعاش الفتاة بوسائل طبية قد تصل الى عملية نقل الدم، وقد تتوفى.

ثالثاً: الاضرار بالاعضاء المجاورة: اثناء إجراء عملية ختان الاناث تقوم الضحية بوجه عام بحركات مقاومة بسبب الخوف والألم مما يؤدي الى عدم التركيز في العضو الذي يراد بتره، الأمر الذي يسبب الحاق جراح بالأعضاء المجاورة مثل مجرى البول أو المهبل أو العجان أو الشرج، وقد يؤدي ذلك الى عدم السيطرة على البول والبراز اللذين قد ينزلان باستمرار. وقد سجلت بعض الحالات التي تصل الى كسر عظام الترقوة أو الذراعين أو الفخذين عند الضغط العنيف على عظام طفلة صغيرة بأيدي من يقيدون حركتها.

رابعاً: متاعب بولية: تشعر الفتاة المختونة بألم شديد عندما يمس البول العضو الجرح، وقد يؤدي الخوف من الألم الى إحتباس البول نتيجة الإصابة أثناء إجراء

العملية ذاتها، خاصةً إذا كان من يقوم بها ليس على دراية بالتشريح الطبيعي للأعضاء التناسلية الخارجية ويترتب على إحتباس البول حالة حدوث إلتهابات بموضع التشويه كما يحدث كثيراً ويؤدي ذلك الى التهاب المثانة وربما يتطور فيصل الى الحالبين والكليتين.

خامساً: الإلتهابات: الجرح في مكان حساس كهذا عرضة للتلوث إما بسبب إستخدام أدوات ملوثة أو أشياء أخرى ملوثة لإيقاف النزيف، أو لأن المنطقة قريبة من فتح الشرج وأي جرح فيها عرضة للتلوث بالبكتريا القولونية.

وقد تعالج هذه الالتهابات وتشفى أو تترك آثاراً، وقد تسبب التسمم الدموي، كما قد تؤدي الى ضيق فتحة الفرج وقد تمتد الالتهابات الى الجهاز التناسلي الداخلي أي الى المهبل والرحم والبوقين، كما قد تؤدي الى الاصابة بمرض الأيدز بسبب تلوث جرح الختان.

سادساً: تشويه العضو: يلتئم جرح الختان بنسيج ليفي محدثاً تشوهات بالمكان، وقد تحدث ندب مؤلمة فتسبب ألماً عند الجماع، وقد يشوه الشكل الخارجي نتيجة عدم إزالة إجزاء متساوية أو نتيجة ترك زوائد تنمو وتتدلى بعد ذلك، وقد تتكون أورام نتيجة لدخول بعض الخلايا أثناء إلتئام الجرح تحت الجلد وتتضخم هذه الأورام بعد بلوغ سن الكبر مما يستدعي إجراء عملية جراحية لإزالتها، هذا إذا تم الختان على الطريقة الفرعونية.

سابعاً: تعطيل وظيفة الشفرتين الصغيرتين: قد يؤدي قطع الشفرتين الصغيرتين الى الحرمان من وظيفتهما في توجيه تيار البول بعيداً عن الجسم، كما يحرم البنت من وظيفتهما في حماية مدخل المهبل من غزو الجراثيم.

ثامناً: الاصابة بالعقم: قد تمتد الالتهابات الموضعية مع نقص حماية مدخل المهبل الى المسالك التناسلية فتسبب العقم نتيجة الانسداد البوقين، ويرى الاطباء أن ٢٠-٢٥٪ من حالات العقم في السودان ترجع الى الختان.

تاسعاً: تعسر عملية وضع الحمل: نتيجة لإلتحام جرح الختان بنسيج ليفي فإن منطقة الفرج تفقد مطاطيتها، وإذا لم يتمدد الفرج إثناء وضع الحمل فإن ذلك يؤدي الى حدوث التمزق في منطقة العجان وفي عقلة الشرج فتفقد السيدة التحكم في عمليات الإخراج، وقد تؤدي طول فترة الولادة وتعسرها الى حدوث تمزق في الأنسجة المحيطة بفتحة البول.

وهذه التمزقات تحتاج الى تدخل جراحي فوري لإيقاف النزيف الناتج عنها ولمنع تقيح الجروح، وقد يؤدي ضيق فتحة المهبل الناتج عن الختان الى تعسر مرور رأس الجنين مما يؤدي الى وفاته إختناقاً بسبب نقص الأوكسجين أو الى ولادة طفل متخلف عقلياً أو حركياً.

عاشراً: إصابة غدتا بارتولين: توجد غدتا بارتولين تحت الثلث الأوسط للشفرتين الكبيرتين وتتمثل وظيفتهما في إفراز المادة المرطبة التي تسهل العملية الجنسية. وعند إجراء عملية الختان قد تصاب هاتان الغدتان بالالتهاب أو بالأورام إما نتيجة لإنسداد قناتها أو نتيجة للإلتصاقات التي تنتج من إلتئام الجرح.

الحادي عشر: الطمث: يحدث هذا إما بسبب نفسية ناتجة عن الصدمة النفسية السابقة للختان وإرتباطه في اللاشعور بالدم أو النزيف، مما يؤدي الى تكرار حدوث السبب عضوياً لحدوث التهابات مزمنة وإخفاقاً في الحوض.

الثاني عشر: المخاطر العامة للجرح: عملية الختان لها مضاعفات ومخاطر ككل عملية جراحية، ومن هذه المخاطر الإصابة بالتيتانوس في حالة تلوث الجرح بهذا الميكروب، أو الالتهاب الكبدي الوبائي أو الأيدز في حالة إستخدام أدوات ملوثة كما قد يحدث في الطهارة الجماعية لبنات أسرة أو جيران معاً.

الثالث عشر: هناك حالات وفاة بسبب ختان الاناث ولكن لاتتوفر إحصائيات لدينا في هذا الخصوص، وتنتج الوفاة خاصة بسبب النزيف الذي يصعب السيطرة عليه، كما قد تحدث بسبب الصدمة أو الالتهابات أو نقص الدم أو بسبب إعطاء كمية كبيرة من المخدر في حالة الحصول عليه.

الرابع عشر: من الاضرار الصحية الخاصة بالختان الفرعوني بالاضافة الى الاضرار السابق ذكرها ما يلي:

حدوث حصوات خلف الندبة.

صعوبة إجراء الفحوصات للأعضاء الجنسية لعدم إمكانية إدخال الأدوات الطبية خلف جدار الفرج، المخاط لعدم تمكن الطبيب من فك الحياطة لأن ذلك يتطلب إعادتها كما كانت.

إحتباس البول والدم خلف الندبة مما يزيد من المشكلات البولية والتناسلية واحتمال العقم.

وقد عانت النساء المختونات من مضاعفات خلال مدة الحيض، وقد يدوم الحيض مدة (١٠) أيام وينتج عنه روائح كريهة تضطر معها المرأة الى البقاء في البيت مدة الحيض مما يخلق مشاكل دراسية أو وظيفية.

عسرة الولادة: قد يضطر الطبيب لتوليد الأم الى عملية قيصرية فكل سيدة مختونة فرعونية تخضع لعملية قطع لعدم مرونة الانسجة الناتجة عن إلتئام جرح الختان، وهذا قد يؤدي الى الاضرار بمجرى البول والى مرض سلس البول (عدم التحكم بالبول). وقد يطيل عملية الولادة بسبب نقص الأوكسجين[1].

الخامس عشر: ختان الاناث وتعاطي المخدرات: تشير كتابات مصرية كثيرة الى علاقة تعاطي المخدرات بختان الاناث. فقد كتب الاستاذ أحمد أمين ما يلي:

" وفي هذه الايام من حياتي أعني من سنة ١٩٥٠ وما بعدها نادى بعض الناس بقصر الختان على الذكور دون الاناث، وحجتهم في ذلك أن ختان البنات قد سبب إنتشار عادة تعاطي الحشيش والمنزول والأفيون ونحو ذلك. وذلك بسبب أن البنت إذا أختتنت ثم كبرت فختانها يقلل من لذتها الجنسية فيضطر الرجل الى إستعمال المخدرات التي ذكرناها لغيابه عند مضاجعتها. فنادوا بعدم ختانها حتى لايضطر

---

[1] د.خالد منتصر ،الختان والعنف ضد المرأة،مكتبة الأسرة ص١٦٠ وما يليها، د.آمال عبد الهادي ود.سهام عبد السلام موقف الأطباء من ختان الأناث ص١٧وما يليها.

الرجل الى مثل هذه المخدرات ولكن لم تلق هذه الدعوى في أول أمرها كثيراً من الإهتمام""[1].

السادس عشر: مأساة ختان بنت ترويها المختونة نفسها: كنت في السادسة من عمري نائمة في سريري الدافئ. أحلم أحلام طفولتي الوردية حينما أحسست بتلك اليد الخشنة الكبيرة ذات الاظافر القذرة السوداء تمتد وتمسكني، ويداً أخرى مشابهة لليد السابقة خشنة وكبيرة تسد فمي وتطبق عليه بكل قوة لتمنعني من الصراخ وحملوني الى الحمام لا أدري كم كان عددهم ولا أذكر ماذا كان شكل وجوههم وما إذا كانوا رجالاً أم نساء. فقد أصبحت الدنيا أمام عيني مغلقة بضباب أسود ولعلهم أيضاً وضعوا فوق عيني غطاءً وكل ما أدركته في ذلك الوقت تلك القبضة الحديدية التي أمسكت رأسي وذراعي وساقي حتى أصبحت عاجزة عن المقاومة أو الحركة وملمس بلاط الحمام البارد تحت جسدي العاري وأصوات مجهولة وهمهمات يتخللها صوت إحتكاك شيء معدني ذكرني باحتكاك سكين الجزار حين كان يسنه أمامنا قبل ذبح خروف العيد، وقد تجمد الدم في عروقي وظننت أن عدداً من اللصوص سرقوني من سريري ويتأهبون لذبحي، وكنت أسمع كثيراً من هذه القصص من جدتي الريفية العجوز، وأرهفت أذني لصوت الاحتكاك المعدني وما أن توقف حتى توقف قلبي بين ضلوعي وأحسست وأنا مكتومة الانفاس ومغلقة العينين أن ذلك الشيء يقترب مني لايقترب من عنقي وإنما يقترب من بطني في مكان بين فخذي، أدركت في تلك اللحظة أن فخذي قد فتحا عن آخرها وأن كل فخذ قد شدت بعيداً عن الاخرى بأصابع حديدية لاتلين وكأنما السكين أو الموس الحاد يسقط على عنقي بالضبط، أحسست بالشيء المعدني يسقط بحدة وقوة ويقطع من بين فخذي جزءاً من جسدي، صرخت من الألم رغم الكمامة فوق فمي، فالألم لم يكن ألماً وإنما هي نار سرت في جسدي كلي وبركة حمراء من دمي تحوطني فوق بلاط الحمام لم أعرف ما

[1] الاستاذ الدكتور سامي الذيب، مؤامرة الصمت عند اليهود والمسيحين والمسلمين، ص١٨٥ وما يليها" وكذلك ختان الاناث، الموقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة الالكترونية، تاريخ الزيارة، ٢٠١٠/٧/٢٢. وكذلك ختان الاناث وثالوث الطب والدين والقانون، المنشور على الموقع الالكتروني: beirut. Indymediam.org تاريخ الزيارة ٢٠١٠/٧/٢٢.

الذي قطعوه مني ولم احاول ان أسأل كنت أبكي وانادي على أمي لتنقذني وكم كانت صدمتي حين وجدتها هي بلحمها ودمها واقفة مع هؤلاء الغرباء تتحدث معهم وتبتسم لهم وكأنهم لم يذبحوا إبنتها منذ لحظات، حملوني الى سريري ورايتهم يمسكون أختي التي كانت تصغرني بعامين بالطريقة نفسها فصرخت وأنا أقول لهم لا لا، ورأيت وجه أختي من بين أيديهم الخشنة الكبيرة كان شاحباً كوجوه الموتى، والتقت عيني بعينها في لحظة سريعة قبل أن يأخذوها الى الحمام وكأنما أدركنا معاني تلك اللحظة .. المأساة ... مأساة، أننا خلقنا من ذلك الجنس، جنس الاناث الذي يحدد مصيرنا البائس ويسوقنا بيد حديدية باردة الى حيث يستأصل من جسدنا بعض الاجزاء[1].

[1] الاستاذ جمال البنا، ختان البنات ليس سنة ولامكرمة ولكن جريمة، ص١٠٦ وما يليها" وكذلك الدكتور خالد منتصر، الختان والعنف ضد المرأة، ص٢٥٩ وما يليها.

الفصل الثاني
القرآن أحكامه ووظيفته

توزع دراسة هذا العنوان على مبحثين يخصص المبحث الاول للتعريف بالقرآن، والثاني لوظيفته.

المبحث الأول

التعريف بالقرآن

غير خافٍ على أحد أن لكل دولة من دول العالم أو لأكثرها دستوراً وظيفته التخطيط والتصميم لتنظيم حياة من يخضع له وتحديد الواجبات والحقوق لهم والاقتصار على المبادئ العامة والقواعد الكلية وترك تنظيم الجزئيات للسلطة التشريعية الوضعية، شريطة أن لايكون هذا التنظيم متعارضاً معه كذللد القرآن الكريم دستور الهي خالد للأسرة البشرية كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[1].

وقد وضع القرآن الكريم دائرة من الأخلاق وكلف العقل البشري بتنظيم مستلزمات حياة الانسان في كل زمان ومكان على أن لايخرج عن تلك الدائرة الأخلاقية، وتضمن خمسة أقسام من الأحكام خلافاً لما ذهب إليه علماء أصول الفقه من أنها ثلاثة أقسام (الاعتقادية والأخلاقية والعملية) وتلك الأقسام هي ما يلي:

القسم الاول: الأحكام الاعتقادية

وهي وجوب الإيمان بالله تعالى وبما يتفرع عنه من الأحكام الأخرى من المغيبات وذلك لأن العقيدة هي المنطلق الاول للنهوض بالحياة في شتى المجالات فمن لا إيمان له لاإلتزام له، ومن لا إلتزام له لاأمانة له، ومن لا أمانة له لايصلح لعضوية المجتمع وتحمل المسؤولية.

القسم الثاني: الأحكام الخلقية:

وهي وجوب ماينبغي أن يكون عليه الإنسان من التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة حتى يصبح عنصراً مفيداً لنفسه ولغيره بعيداً عن الشرور والسيئات التي تردي به ومن معه الى الهاوية.

---

[1] سورة الفرقان، الآية (١).

القسم الثالث: الأحكام الكونية:

وهي التي تبين المكنونات التي إكتشف التطور العلمي الحديث بعضاً من أسرارها ومقاصدها وبقيت ما لم يكتشف بعد وهي تنتظر الاكتشافات الجديدة في المستقبل كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[١].

وحكمة معرفة الأحكام الكونية هي تقوية الإيمان بالله وبدستوره من جهة واستثمار خيرات الكون من جهة أخرى كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾[٢]. وقد أشار القرآن الى الانفجار الكوني الذي إكتشفه العلماء الفلكيون أخيراً وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً[٣] فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ[٤] أَن تَمِيدَ بِهِمْ[٥] وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً[٦] سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٧]. ومن الآيات الكونية الاخرى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[٨].

الى الأمس القريب فسر علماء الدين اللقاح بأنه بين بذرة التذكير وبويضة الأنثى من النباتات والأشجار وهذا التفسير يتنافى مع النتيجة وهي إنزال الماء من السماء. وفي الحقيقة والواقع اللقاح إنما هو بين الشحنات الكهربائية الموجبة والشحنات السالبة في السماء الذي يولد الصوت والبرق[٩].

ومن الآيات الكونية أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا

---

[١] سورة فصلت الآية (٥٣).

[٢] سورة العنكبوت، الآية (٤٣).

[٣] أي شيئاً واحداً متصلاً بعضها ببعض، والرتق ضد الفتق وهو الوصل بين شيئين ملتصقين.

[٤] أي جبالاً ثوابت.

[٥] أي لئلا تتحرك بهم.

[٦] أي مسالك.

[٧] سورة الانبياء الآية (٣٠-٣٣).

[٨] سورة الحجر،الآية٢٢

[٩] ينظر نظرات في القرآن للأستاذ محمد الغزالي، ص١٤٣ وما يليها.

مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾[١]. وهذه الآية الكونية الفضائية تأمر بغزو الفضاء عن طريق السلطان أي العلم، ولو عمل المسلمون بمقتضى هذه الآية لكانت المركبة التي نزلت على المريخ إسلامية لامركبة أمريكية.

القسم الرابع: الأحكام العبرية:

وهي الاحكام التي تؤخذ من الآيات التي تبحث عما فعلته الأمم السابقة قبل الاسلام وما نالته تلك الأمم من جزاء طبقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٢]. وفلسفة هذه الآيات التي تسمى آيات القصص هي أنها توجه الأجيال القادمة المتعاقبة بعد الاسلام نحو أخذ العبرة بما فعلته الأمم السابقة وبما نالته من الجزاء وبقياس حالهم ومصيرهم على حال تلك الأمم ومصيرها، وقد نص القرآن الكريم على هذه الحكمة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٣].

القسم الخامس: الأحكام الشرعية العملية:

وهي الأحكام التي تنظم علاقة الانسان بربه وعلاقة الإنسان مع الانسان في كافة المجالات الحياتية وتسمى عملية لأنها أحكام أعمال الانسان سواءً كانت خيرة أو شريرة نافعة أو ضارة، والمعني بالدراسة في هذا الكتاب هو الحكم الشرعي العملي وهو مدلول خطاب الله المتعلق بتصرفات الإنسان والوقائع على وجه الاقتضاء أو التخيير أو الوضع. والاقتضاء هو طلب الفعل أو الترك، والحكم الشرعي بصورة مطلقة قسمان تكليفي ووضعي:

---

[١] سورة الرحمن الآية (٣٣).

[٢] سورة الزلزلة، الآية (٧).

[٣] سورة يوسف، الآية (١١).

أولاً) الحكم الشرعي التكليفي

وهو خمسة أنواع:

النوع الاول: الايجاب

وهو طلب الفعل على وجه الحتم والالزام، وهو صفة الشـارع، والأثـر المترتـب عليـه هـو الوجوب (الحكم الفقهي) وهو صفة فعل الانسـان، ويكـون المطلـوب واجبـاً، فالواجـب هـو المطلوب على وجه الحتم والالزام بحيث يستحق فاعله التقدير في الدنيا والثـواب في الآخـرة، ويستحق تاركه اللوم والعقاب وتركه جريمة سلبية لأن ركنه المادي فعل سلبي وهو الامتنـاع عن أداء الواجب وهذا الحكم الشرعي الإلهي لاتسـتطيع السـلطة التشـريعية الوضـعية أن تبدله بحكم آخر مهما تطورت الحضارة البشرية، والمسـتلزمات الحياتيـة العمليـة، لأنـه مـن الثوابت التي لاتقبل التغيير.

النوع الثاني: الاستنداب

وهو طلب الفعل على وجه الاولوية والافضلية بحيث يثاب فاعله ولايعاقب تاركه والفعل المطلوب يسمى مندوباً ومستحباً وسنة، وهذا النوع من الحكم الشرعي للسـلطة التشـريعية أن يجعله واجباً على الناس أو محرماً عليهم إذا إقتضت المصلحة العامـة ذلـك لأن المنـدوب لايعاقب الانسان على تركه.

النوع الثالث: التحريم

وهو طلب الشارع الكف عن الفعل على وجه الحتم والالزام والأثر المترتب على التحـريم هو الحرمة، فالأول صفة الشارع والثاني صفة تصرف الانسان، والفعل المطلوب هو الامتنـاع والكف عن المنهي عنه على وجه الحتم والالزام ويسمى محرماً وحراماً ويسـتحق فاعلـه الـذم والعقاب وتاركه التقدير والثواب وفعله يشكل جريمة إيجابيـة لأن ركنهـا المـادي يـتم بفعـل إيجابي كالزنا المحرم في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[1].

---

[1] سورة الاسراء، الآية (٣٢).

وهذا النواع من الحكم الشرعي الإلهي لايقبل التعديل والتبديل ولاتملك السلطة التشريعية الوضعية تبديله بحكم آخر مهما تطورت الحياة وتغيرت الظروف في كل زمان ومكان.

النوع الرابع: الاستكراه:

وهو طلب الشارع الكف عن الفعل طلباً غير جازم على سبيل الاولوية والأفضلية وهو بهذا المعنى صفة الشارع والأمر المترتب عليه هو الكراهية التي هو صفة تصرف الانسان، والفعل المطلوب تركه طلباً غير جازم يسمى مكروهاً وهو ما يمدح تاركه ولايعاقب فاعله.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا...﴾[1]. وقد فرق علماء الأصول بين المكروه وخلاف الأولى بأن الأول طلب تركه بنص خاص كما في الآية المذكورة، أما خلاف الاولى فهو ما يستفاد من الأمر بالأفعال المندوبة كالأمر بزيارة المريض على أساس أن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

وهذان الحكمان (الكراهية وخلاف الاولى) يجوز للسلطة التشريعية تعديلهما أو تبديلهما دون أن يترتب على ذلك أية مسؤولية جزائية أو مدنية إذا إقتضت المصلحة العامة هذا التعديل أو التبديل.

النوع الخامس: الاستباحة

وهي طلب الشارع ممارسة العمل أو الامتناع عنه على وجه التخيير وهي التسوية بين فعل الشيء وتركه، وتخيير الانسان بينهما دون لوم أو مدح أو ثواب أو عقاب، إضافةً الى أن الأصل في الاشياء النافعة هو الاباحة كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾[2].

ومن الواضح أن حكم ختان الاناث حسب ما ذهب اليه أكثرية فقهاء الاسلام إما مندوب أو مستحب أو مباح أو مكروه أو مكرمة أو جواز ، وكل حكم من هذه الاحكام يجوز للسلطة التشريعية الزمنية تعديله أو تبديله إذا إقتضت المصلحة العامة ذلك دون أن تترتب عليه أية مسؤولية جزائية أو مدنية كما يأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.

---

[1] سورة النور، الآية (٢٧).

[2] سورة المائدة، الآية (٥).

ثانياً) الحكم الشرعي الوضعي:

وهو جعل الشارع الشيء سبباً لشيء آخر كجعل القرابة سبباً للميراث أو شرطاً له كجعل العقل شرطاً لصحة تصرفات الانسان، أو مانعاً كجعل الجنون مانعاً من المسؤولية الجنائية وهذه الاحكام لاتملك السلطة التشريعية الزمنية تعديلها أو تبديلها.

المبحث الثاني
وظيفة القرآن

وظيفة الرسالة المحمدية المثلة بالقرآن هي المصلحة البشرية وقد نص القرآن على ذلك فحصر هذه الوظيفة في تأمين مصلحة الانسان فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، صياغة هذه الآية الكريمة في علم البلاغة هي الحصرية لأن لفظ (ما) للنفي كما أن كلمة (الا) للإستثناء والنفي، ونفي المنفي في علم البلاغة يكون للحصر كما في (لا إله إلا الله)، ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى غني عن عباده لايحتاج الى صلاتهم وصيامهم وحجهم وزكاتهم ونحو ذلك، فالعبادات التي كلف بها الانسان ينحصر نفعها في شخص العابد ومقاصد الشريعة التي هي المصالح البشرية إنما هي بالنسبة للإنسان. ولو إستغرق وقت الانسان في العبادات والطاعات لاتزيد في عظمة الله ذرة واحدة، كما أن حياة الإنسان لو إستغرقت في الالحاد والضلال والتمرد لما نقصت من عظمة الله ذرة واحدة والله غني مطلق عن عباده لأن الخالق الذي خلق هذا الكون العظيم المنظم الذي مازالت عقول علماء الفضاء حيارى أين يبدأ وأين ينتهي ليس بحاجة الى عمل من أعمال الانسان يسد هذه الحاجة وبناء على ذلك تنحصر مقاصد الشريعة الاسلامية في المصالح البشرية، والمقاصد والمصالح مترادفان والاختلاف بينهما إعتباري، فهي بالنسبة الى الشريعة تعني المقاصد. وبالنسبة للمجتمع البشري تسمى المصالح، وإختلاف علماء أصول الدين في أن أحكام الله هل هي معللة بالأغراض والمصالح أو لااختلاف لفظي، لأن تلك الاغراض للشريعة الاسلامية، بالنسبة للشريعة مقاصد وبالنسبة للإنسان مصالح، والرسالة المحمدية في ضوء

---

[1] سورة الانبياء، الآية (١٠٧).

الآية المذكورة تنحصر وظيفتها في جانبين" الجانب الايجابي وهو جلب المنفعة والجانب السلبي وهو دفع المضرة عن الانسان أو للمضرة المستدرأة، والحلال والحرام في الاسلام مبنيان على تلك المصلحة، فكل ما فيه نفع الفرد أو المجتمع أو كليهما فهو جائز في ميزان الشرع مالم يكن ذلك النفع على حساب ضرر أو خسارة شخص آخر. وكل ما فيه ضرر الفرد والمجتمع أو كليهما فهو محظور ومحرم في ميزان الشريعة الاسلامية مالم يترتب على ذلك الضرر نفع عام أومصلحة إيجابية عامة. وعلى سبيل الايضاح عقاب الجاني بعقوبة سالبة للحرية كالحبس والسجن أو الاعدام أو غرامة مالية فيه ضرر للجاني ولزوجته ولأولاده وأقاربه بل وللمجتمع أيضاً، كأن يكون هذا الجاني المحكوم عليه ذا كفاءة وأهلية يخدم مجتمعه ككونه إستاذاً أو طبيباً أو نحوهما، ورغم هذا الضرر فإن الشرائع الالهية والوضعية أقرت مشروعية تلك العقوبة الضارة وذلك لما يترتب عليها من مصلحة عامة نافعة وهي حماية الارواح والاعراض والأموال والاستقرار والطمأنينة.

وبناءاً على ما ذكرنا يكون معيار الحلال والحرام في الشريعة الاسلامية هو النفع والضرر، فما فيه نفع يكون جائزاً وما يكون فيه ضرر يكون محظوراً وممنوعاً. وإذا رجعنا الى ختان الاناث نجد أن القرآن الكريم قد حرمه بناءً على كون هذا العمل ضاراً جسدياً أو نفسياً أو معنوياً. أما في حالات الضرورة التي تقتضي عملية ختان الاناث فإنه يجب الاستشارة بلجنة طبية مختصة تقر ضرورة العملية وفيما عدا هذه الحالات الضرورية الاستثنائية يجب أن لايكون هناك تردد في تحريمه وتجريمه كما يجب على الدولة مكافحة هذه العادة الموروثة المضرة جسدياً ونفسياً والتي لاصلة لها بالدين لا من قريب ولا من بعيد، وإنما هي عادة موروثة من جيل الى جيل آخر إصطنعتها المجتمعات المتخلفة قبل الاسلام وانتقلت الى الاسلام واعتبرت شعاراً من شعائره دون أن يكون لذلك سند في القرآن الكريم أو السنة النبوية.

السنة النبوية ووظائفها:

<u>السنة في اللغة:</u> الطريقة المعتادة سواءً كانت ممدوحة أم مذمومة.

<u>وفي اصطلاح الفقهاء:</u> الطريقة المتبعة في الدين التي لم تكن من الفرض ولا من الواجب كسنن الصلاة والصيام وفي اصطلاح الفقهاء: الطريقة المتبعة في الدين التي لم تكن من الفرض ولا من الواجب كسنن الصلاة والصيام.

وفي إصطلاح أهل الحديث تعني ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو سيرة.

وفي إصطلاح الاصوليين: ما صدر عن الرسول ﷺ غير القرآن - من قول أو فعل أو تقرير بصفته رسولاً لابصفته أنساناً إعتيادياً.

انواع السنة بالمعنى الأخير من حيث التعبير:

السنة القولية: وهي أقوال قالها بصفته رسولاً خاضعاً للوحي كقوله (إذا حكم الحاكم[١] فاجتهد ثم أصاب فله أجران[٢]، فإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر[٣]) أي على بذل جهوده.

السنة الفعلية: وهي أفعاله التي قام بها بصفته رسولاً مثل أدائه للصلاة أمام أصحابه ليعلمهم اركان وشروط وسنن الصلاة ثم قوله لهم (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٤].

السنة التقريرية: وهي ماروي من إستحسانه، أوسكوته، أو عدم معارضته لفعل أو قول صدر عن غيره ثم علم به لأنه بصفته رسولاً لايجوز سكوته على باطل بعد علمه به، فسكوته يدل على جوازه، مالم يقم دليل على خلاف ذلك.

انواع السنة من حيث السند إثنان:

الحديث المتصل: وهو ما اتصل سنده بذاته مباشرة، كأن يسمعه منه أو يراه بصورة مباشرة.

الحديث المرسل (غيرالمتصل): وهو الذي توسط بينه وبين الرسول شخص ثالث أو إنقطع أحد رواته.

انواع السنة من حيث قوة الرواية:

الحديث المتواتر: وهو مارواه عن رسول الله ﷺ مباشرةً جمع من الصحابة يستحيل عادةً إتفاقهم على الكذب ثم رواه عنهم جمع مثلهم وهكذا الى تدوين السنة، لأن كل

---

[١] أي أراد أن يحكم لأن الاجتهاد يكون قبل الحكم.

[٢] أجر على إصابته للصواب وأجر على بذل جهوده إذا إجتهد.

[٣] صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب أجر الحاكم.

[٤] مسند الامام أحمد، ٣/٤٣٦.

حديث بعد التدوين أصبح متواتراً، وحكم التواتر هو وجوب العمل به، والحديث المتواتر قليل جداً بل قال بعض أهل الحديث لم ينقل عن طريق التواتر إلا حديث واحد.

الحديث المشهور (أو المستفيض): هو مالم يكن متواتراً في عهد الصحابة ولكن أصبح متواتراً في عهد التابعين أو تابعي التابعين كحديث (إنما الاعمال بالنيات).

حديث الآحاد: وهو الذي لم يصبح متواتراً في العهود الثلاثة المذكورة وأكثر الأحاديث المروية من هذا النوع الثالث، ونسبة كثيرة من حديث الآحاد مختلق بإسم الرسولﷺ لايجوز العمل بها إلا بعد التأكد من صحتها كما في أحاديث ختان الإناث التي يأتي بيانها بإذن الله.

وظائف السنة النبوية

قال تعالى في الآية الأخيرة التي نزلت في القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]. ويقتضى منطوق هذه الآية أن القرآن عالج عن طريق القواعد الكلية كل صغيرة وكبيرة متعلقة بشؤون حياة الانسان وخوَّل العقل البشري إرجاع الجزئيات الى تلك الكليات.

ومن هنا يأتي سؤال يطرح نفسه على بساط البحث وهو ماهي وظائف السنة النبوية بعد ذلك؟

والجواب هو الآتي: تنحصر وظائف السنة في الخمس الآتية:

١. تخصيص نص عام في القرآن الكريم لم يكن عمومه مراداً كما في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾[2]. وصيغتا (الرجال والنساء) من صيغ العموم لأنهما من جمع التكسير لتحليهما بـ(ال) الاستغراق فتشملان كل ذكر وكل أنثى من الأبوين والأقارب غير أن هذا الشمول (العموم) غير مقصود فلا يشمل وارثاً ومورثاً يختلفان في الدين ولا الوارث الذي يقتل مورثه،

---

[1] سورة المائدة، الآية (٣).

[2] سورة النساء، الآية (٧).

فبين لنا رسول اللهﷺ ذلك فقال (لايتوارث أهل ملـتين)[١] أي أهـل ديـانتين مختلفتين. وقال (لايرث القاتل)[٢]. فمن قتل مورثه قتلاً عمداً عدواناً يحرم من ميراثه حمايةً لأرواح الأبرياء.

٢. تقييد مطلق لم يكن إطلاقه مقصوداً كما في قوله تعـالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٣]. فلفظة (الوصية) مطلقة تشمل الايصاء بكل التركة وببعضها وهنا الاطلاق غير مراد لأنه يضر بالورثة، لذا بينه الرسول وقيده بما لايزيد عن ثلث التركة بعد إخراج نفقات نقلـه الى مثـواه الاخير وبعـد إخـراج ديـون الله (كالزكاة) وديون الناس. وذلك حين قال سعد بن وقاص رضي الله عنه يارسـول الله أنا ذو مال وفي رواية أنا كثير المال ولايـرثني إلا أبنـة واحـدة أفـا أتصـدق بثلثي (٢/٣) مالي؟ قال: لا، قلت أفا أتصدق بشطره (نصفه) قـال: لا، قلـت أفا أتصدق بثلثه (١/٣)، قال: الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنيـاء خير من تذرهم عالةً[٤] يتكففون[٥] الناس[٦].

٣. إيضاح نصوص مجملة في القرآن أي صغيرة في الحجم وكبيرة في المضـمون كمـا في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾[٧]. فالصـلاة عبـادة بدنيـة لهـا أركانها وشروطها وسننها لايستطيع العقل إستيعابها، فصلى أمام أصحابه ثـم قال (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٨]. كذلك بينت لهم الأموال التي تجب فيهـا الزكاة والكمية التي تدفع للمستحقين بأقواله فلا مجال لاستعراضها.

---

(١) سبل السلام، ٣/١٢٩" وكذلك سنن الترمذي، ٤/٢٧٠.
(٢) سنن الترمذي، ٤/٢٧٠.
(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٠).
(٤) فقرا.
(٥) يفتحون أيديهم للناس أي يتسولون.
(٦) أخرجه البخاري من كتاب الوصية، باب التركة، فتح الباري، ٥/٢٦٠٤.
(٧) سورة البقرة، الآية (١١٠).
(٨) رواه مسلم، ١/٦١٤.

٤. تأكيد أحكام وردت في القرآن لزيادة أهميتها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[1]. وأكده الرسولﷺ بقوله (لايحل مال إمرئ مسلم إلا بطيبة عن نفسه)[2].
٥. ذكر حكم سكت عنه القرآن الكريم ظاهراً لكن له نظائره في القرآن قال تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾، أي حرمت عليكم أن تجمعوا بين الاختين، رقال الرسولﷺ (لايجمع بين المرأة وعمتها ولابين المرأة وخالتها) وفي رواية أخرى أنكم إن فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم، أي أن الحكمة رعاية الاحترام بين الاقارب ومنع قطع صلة الارحام. ومصدرية السنة النبوية للأحكام الشرعية تنحصر في هذه الوظيفة الاخيرة -الخامسة-). وقد زعم البعض أن للسنة النبوية وظيفة سادسة وهي نسخها للقرآن الكريم وهذا الزعم باطل لأن النسخ لرفع التناقض ولاتناقض بين آية قرآنية والسنة النبوية لعدم تكافئهما في القوة والمنزلة.

المجتهد ووظيفته:

المجتهد هو الذي بذل طاقته المادية والمعنوية لاكتشاف حكم الله لما يعنيه.

شروط المجتهد

١. لأجل أن يكون الانسان أهلاً للإجتهاد يجب أن يتوافر فيه الشروط الاربعة الآتية:
٢. أن يكون ملماً بمقاصد الشريعة الاسلامية على وجه الحقيقة والواقع.
٣. أن يكوم عالماً بمتطلبات ومستلزمات الحياة في زمانه ومكانه لأن الأحكام تتغير بتغير الزمان.
٤. أن يكون محيطاً بالصلة بين مقاصد الشريعة وكنه الحياة ومستلزماتها.
٥. أن يكون ملما بالعلوم الآلية وهي الفلسفة والمنطق وأصول الفقه وقواعد اللغة.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٨).
(٢) سبيل السلام، ٢٣/٤ وهناك روايات أخرى بهذا المعنى ولفظ مسلم في هذا الحديث ليس له المفهوم المخالف بل يستوي فيه المسلم وغير المسلم.

فكل من تتوافر فيه هذه الشروط له أهلية الاجتهاد، سواءً كان ذكراً أم أنثى، عـادلاً أم لا، مسلماً أم غير مسلم مالم يكـن الحكـم المجتهـد فيـه إسـلامياً، كالاجتهـاد في الامـور الاقتصادية والادارية والسياسية والصحية والثقافية ونحوها، فالمهم تحقيـق مصـلحة إيجابيـة (منفعة مستجلبة) ودرء مفسدة. إن الله حصر وظيفة الرسـالة المحمديـة في الرحمـة فقـال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والرحمة هي المصلحة البشـرية وهـي المنفعـة المسـتجلبة والمضرة المستدرأة كما ذكرنا سابقاً.

وظيفة المجتهد:

تنحصر وظيفة المجتهد في إكتشاف حكم الله والوصول الى مصـدره، فـإذا حقـق هـذين الأمرين يكون مصيباً فيجوز تقليده طبقاً لقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، وإذا لم يصب الحكم ولامصدره يكون مخطئاً فلا يجوز العمل بما وصل اليه إجتهاده.

وجدير بالذكر أن رأي المجتهد لايكون مصدراً للحكم الشرعي فأقوال الفقهاء وآراؤهـم ليست مصادر للأحكام الشرعية وإنما هي وسائل لمعرفة تلـك الأحكـام. فعلـى المفـتي حين الافتاء بقول مذهب أن يتأكد من سند هذا القول من آية قرآنية أو سنة نبوية وأن لا يقدس قول المذهب وينزله منزلة نص شرعي في القرآن والسنة.

وإطـلاق المصـادر التبعيـة علـى الإجمـاع والقيـاس والعـرف والاستحسـان والمصـلحة والاستصحاب ونحوها خطأ شائع، لأنها ليست بمصادر وإنما هي وسائل يستخدمها المجتهـد لاكتشاف أحكام الله التي مصادرها القرآن والسنة النبوية الصحيحة.

كما أن الاحاديث المختلقة باسم الرسولﷺ لايجوز بناء الأحكام عليها ومجرد وجود الحديث في أحد المراجع المعروفة للسنة النبوية لايدل على صحته كما أثبت ذلك العلمـاء المحققـون وبوجه خاص إذا لم يكن له نظير في القرآن.

الفصل الثالث

الآيات القرآنية المعارضة لختان الاناث والأحاديث الأحادية المؤيدة له

نتناول دراسة هذين الموضوعين في المبحثين التاليين:

المبحث الأول

الآيات القرآنية المعارضة لختان الاناث

سبق أن بينا أن الله سبحانه وتعالى حصر وظيفة الرسالة المحمدية في المصلحة البشرية فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ومن الواضح أن الرحمة بمعنى المصلحة والمصلحة ذات الجانبين الجانب الايجابي وهو جلب المنفعة أو (المنفعة المستجلبة)، والجانب السلبي هو دفع المضرة قبل وقوعها ورفعها بعد الوقوع (أو المضرة المستدرأ) وقد بينا في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الكتاب في ختان الإناث في التقارير الطبية والتطبيقات العملية والاكتشافات العلمية الحديثة بحيث لا مجال للمناقشة حول ضرر ختان الاناث. وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أمرين لايقبلان النقاش والمعارضة" أحدهما أن كل مافيه ضرر محض كالتدخين أو يكون ضرره أكثر من نفعه كختان الاناث محرم، والثاني أن الانسان خلق كاملاً لا زيادة ولانقص فيه ليقوم الانسان بتبديلها ، ونخصص لكل منهما مطلب.

المطلب الاول

ما كان ضرره أكثر من نفعه فهو محرم

وقد نص القرآن الكريم في آيات كثيرة أن ما كان فيه ضرر محض أو يكون ضرره أكثر من نفعه فهو محرم، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1]. والمراد بالأثم هنا هو الضرر بدليل مقابلته بالنفع وظاهر هذه الآية هو أن السؤال كان عن حكم الخمر والقمار ولكن الله لم يجب عما سألو عنه وهو الحكم من التحريم أو الجواز بل أجاب بعلة الحكم أي العلة الغائية التي هي حكمة تحريم الخمر والميسر وهي أن ضررهما أكثر من نفعهما ليعطي لعقل الانسان السليم قاعدة عامة يعمل بمقتضاها في كل مجال وفي كل زمان ومكان وهي أن كل مافيه ضرر ونفع ويكون ضرره أكثر من نفعه فهو محرم كتحريم الخمر والقمار وهذه العلة في

---

[1] سورة البقرة، الآية (٢١٩).

إصطلاح علماء أصول الفقه تسمى العلة المنصوصة أي العلة التي نص عليها القرآن صراحةً فحكمها في العمل بمقتضاها حكم النص الصريح القطعي. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن ختان الاناث ضرره أكثر من نفعه لو فرضنا وجود النفع فيه، ولكن في الواقع ونفس الأمر لانفع في ختان الاناث ومن زعم أن النفع هو تقليل القوة الشهوانية للأنثى فإن علم الطب وعلم الابدان أثبت خلاف ذلك، لأن القوة الشهوانية مصدرها دماغ الانسان والعمود الفقري والجهاز العصبي بدليل أن الانسان تقل قوته الجنسية كلما إقترب من الشيخوخة، وأما محل ختان الانثى وختان الذكر فإنهما جهازان للإشباع الجنسي عند التقائهما حين المعاشرة الجنسية.

وبناءاً على العلة المنصوصة المذكورة، على المفتي أن يفتي بتحريم كل ما تتوفر فيه هذه العلة بأن يكون الضرر أكثر من النفع أو يكون ضرراً محضاً كتحريم التدخين الذي ثبت علمياً وعملياً أنه ضرر محض وختان الاناث الذي لم يثبت علم الحديث نفعه لحد الآن، وإذا سلمنا جدلاً وجود النفع فيه فإن ضرره أكثر من نفعه كما ثبت ذلك بالتقارير الطبية والتطبيقات العملية لممارسة هذه العادة فتحريم التدخين أو ختان الاناث ليس من باب القياس الذي هو من الادلة الظنية قد تجوز مخالفتها وإنما هو من باب العلة المنصوصة التي هي بمثابة النص القطعي لايجوز مخالفتها.

معايير تطبيقات المصلحة

لتطبيقات المصلحة في الحياة العملية معايير كثيرة منها القواعد الآتية:

١) قاعدة لاضرر ولا ضرار[1]:

لاضرر أي لايجوز إلحاق الضرر بالغير بدون مبرر شرعي.

لاضرار: أي لايجوز مقابلة الضرر بالضرر بل يجب على المضرور جبر ضرره بالتعويض فمحدث الضرر مسؤول مدنياً قانوناً وقضاءً عن تعويض يعادل حجم الضرر ويستثنى من هذه القاعدة الضرر الجنائي الذي يستوجب القصاص فإن الضرر يقابل بمثله كما في قوله

---

[1] مجلة الاحكام العدلية، المادة (١٩) وهذه القاعدة نصية فهي من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا[1] أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[2]. ففي الجروح يقتص الجاني بالمثل إن وجد فيه المثل.

٢) قاعدة الضرورات تجيز المحظورات: هذه القاعدة وردت في مراجعها كالآتي (الضرورات تبيح المحظورات)[3] لكن تعبير (تبيح) خطأ شائع لأن الضرورة ليست من أسباب الاباحة فترفع المسؤولية الجنائية دون المسؤولية المدنية فمن أتلف مال الغير تحت ضغط الضرورة كسرقة المضطر مال الغير فإنه لايسأل ولايعاقب لاضطراره، لكن إذا طالبه المسروق منه من السارق بتعويض للمال المسروق فيجب عليه التعويض لأن الاضطرار لايبطل حق الغير فختان الاناث مباح لضرورة صحية تقتضيه. نكن الضرورات تقدر بقدرها فلا يجوز التجاوز في حدود الضرورة[4].

٣) قاعدة (الضرر الاشد يزال بالضرر الأخف)[5].

فختان الذكور واجب لأن ضرر عدم الختان أشد من ضرر ألم الختان، فتركه يؤدي الى أمراض كثيرة منها السرطان.

٤) قاعدة (يختار أهون الشرين): وهي تفيد نفس معنى القاعدة الثالثة المذكورة فختان الذكور أهون من تركه.

٥) قاعدة (إذا اجتمعت المضرة والمنفعة يعمل بالشقوقات الآتية):-

أ. إذا كانت المنفعة أكثر من المضرة في شيء يعمل به كختان الذكور.

ب. إذا كانت المضرة أكثر من المنفعة فيجب منعه كختان الاناث.

ج. إذا استوت المضرة والمنفعة فيجب منعه أيضاً لأن درء الضرر أولى من جلب النفع.

---

[1] أي في التوراة.

[2] سورة المائدة، الآية (٤٥).

[3] مجلة الاحكام العدلية (م٢١)، الشوكاني، ١٣٤/١.

[4] مجلة الاحكام، المادة (٢٢).

[5] المصدر السابق، المادة (٢٩).

المطلب الثاني
عدم جواز تغيير خلق الله إلا للضرورة

لايجوز تغيير خلق الله في عضو من أعضاء الانسان الذي خلقه في أحسن تقويم إلا في حالات الضرورة، والضرورات تقدر بقدرها وهذا ما أقره القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة. وختان الاناث مخالفة لفلسفة القرآن الكريم التي تشير الى أن الانسان خلق كاملاً لازيادة ولانقص فيه ومن تلك الآيات:

١. قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[١].
٢. قوله تعالى﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢].
٣. قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٣].
٤. قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[٤].
٥. قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٥].
٦. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦].
٧. قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[٧].
٨. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٨].
٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٩].
١٠. قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾[١].

---
[١] سورة الفرقان، الآية (٢).
[٢] سورة المؤمنون، الآية (١١٥).
[٣] سورة الروم، الآية، (٣٠).
[٤] سور غافر، الآية، (٦٤).
[٥] سورة التغابن، الآية (٣).
[٦] سورة آل عمران، الآية (٦).
[٧] سورة السجدة، الآية (٧).
[٨] سورة التين، الآية (٤).
[٩] سورة القمر، الآية (٤٩).

وكل ما في الانسان هو نعمة من الله يجب على الانسان أن يشكره على أنه خلقه على هذه الصورة فكيف يرى الانسان أنه أحق من الله في تغيير صنعة أودعها فيه، هل يحسب الانسان أن شهوة الانثى هي خطأ إلهي لذا يقوم بعملية الختان للأنثى ليحرمها من شيء أودعها الله فيها. أن ختان الرجل هو من باب الطهارة والنظافة وله آثار إيجابية إذا تم على أيدي مختصين بخلاف ختان الانثى بحجة وضع حد من إنحرافها.

هل الختان وحده يكفي للحد من ظاهرة الانحراف بينما أن الانحراف نتيجة التربية الخاطئة.

وهناك مئات من الآيات الأخر التي تدل على أن الله خلق الانسان كاملاً لا زيادة فيه حتى تغير وتحذف بعمل البشر. ولانقص فيه حتى يكمله الانسان بإراته وقدرته وبالاضافة الى تلك الآيات فإن الرسولﷺ لعن المغيرات لخلق الله. وفي ختان الاناث والذكور تغيير لخلق الله، والضرورات تجيز المحظورات وتقدر بقدرها. وبخلاف ختان الاناث وقد ثبت طبياً وعلمياً وعملياً أنه لاضرورة تقتضي ختان الاناث وتغيير خلق الله لأن ضرر ختانهن أكثر من نفع عدم الختان. ولإيضاح الآيات المذكورة نستعرض فيما يلي عناصر جسد الانسان:

يتكون جسد الانسان كما قسمه المختصون وعلماء الطب من الاعضاء الآتية:

١. الاعضاء: بمعنى الاجزاء التي يتكون منها جسم الانسان ويكون لكل عضو منها وظيفة معينة يقوم بها دون غيره من الاعضاء الأخرى.

والاعضاء قد تكون أحادية (فردية) مثل القلب و البنكرياس والطحال ونحوها.

وقد تكون ثنائية (مزدوجة) مثل العينين والأذنين، والرئتين، والكليتين ويقوم كل عضو بوظيفته التي خص بها الله.

وقد تعمل هذه الاعضاء بكامل لطاقتها أو تعمل بالتناوب والتبادل فيما بينها وبعضها لايستطيع الانسان أن يعيش بدونها مثل القلب، والرئتين، والكبد على خلاف الآخر، الذي يمكن الحياة بدون أحدهما مثل الاعضاء المزدوجة كالكلية والعينين والأذنين[٢].

---

[١] سورة الانفطار، الآية (٧-٨).

[٢] د. رضا عبدالحليم، النظام القانوني للإنجاب الصناعي، ص١٥٨ وما يليها" وكذلك د. علا علي حسين نصر، ختان الاناث- دراسة مقارنة في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، ص١١٨ وما يليها.

٢. بقايا الجسد الانساني:

الاجزاء التي تتخلف عن إجراء بعض العمليات بحكم طبيعتها مثل شعر الرأس بعد قصه والمشيمة بعد الولادة واللوزتين بعد إستئصالها. والاظافر بعد تقليمها وهذه البقايا لاتفيد صاحبها وهي تمتاز بالتجديد على الدوام، حيث ينمو الشعر بعد قصه وكذلك الاظافر[1].

وبوجه عام أن كل ما من الاعضاء البشرية الثابتة غير المتجدد لاتقبل التبديل والتعديل والتغيير إلا للضرورة والضرورات تقدر بقدرها. وجهاز الانثى الذي يجري عليه الختان له وظيفة خاصة وهي إشباع الرغبة الجنسية الشهوانية عند إلتقائه مع جهاز الذكر ويؤدي هذه الوظيفة دون نقص حتى يكمله الانسان ولازيادة حتى يقللها الختان. والقول بأن محل القوة الشهوانية التي هي ضعف قوة الذكر خطأ شائع لأن منبع هذه القوة يكون في دماغ الانسان والعمود الفقري والجهاز العصبي ويدل على ذلك ضعف القوة الشهوانية حين دخول الانسان سن الشيخوخة رغم بقاء جهاز الذكر والأنثى سالمين.

---

[1] د. محمد المرسي زهرة، الانجاب الصناعي" وكذلك د. أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية مقارنة بالأعمال الطبية، ص٨٩.

المبحث الثاني
الأحاديث الآحادية المؤيدة لختان الإناث ومناقشتها

مناقشة أحاديث الختان عبارة عن تقويمها عن طريق بعض الملاحظات منها عامة ومنها خاصة، وتوزع دراستها على مطلبين:

المطلب الاول
الملاحظات العامة المتعلقة بجميع الأحاديث المؤيدة للختان

ومنها ما يلي

أولاً: ما صدر عن -الرسولﷺ بصفته رسولاً إما أن يكون مصدره وحياً إلهياً كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]، أو المصدر إجتهاد مستند الى التوراة أو الى العرف الجاهلي أو الى مصلحة قائمة حسب رأيه كالآتي:

١. الأحاديث المستندة الى الوحي هي التي سبق بيانها في موضوع وظائف السنة النبوية.
٢. الاجتهاد المستند الى التوراة[٢] كقضائه برجم الزاني المحصن أو الزانية المحصنة، وقد ورد في نيل الأوطار (كان الرسولﷺ آن ذاك مأموراً باتباع حكم التوراة أي فيما لانص فيه من القرآن ولم ينسخ به في موضوع عقوبة رجم الزنا ثم نسخ ذلك الحكم بقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[٣]. والصحيح لن نسخ قضائه بالرجم

---

[١] سورة النجم، الآية (٣).

[٢] نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار من أحاديث سيد الاخيار للإمام الشوكاني محمد بن علي بن محمد، ١٠٥/٧.

[٣] سورة النساء، الآية (١٥).

كان بآية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ... الآيـة﴾[1]، لأن صيغتا الزانية والزاني وصفان محليان بأل الاستغراب فيشمل المحصن وغير المحصن ولايوجد في القرآن مصدر للرجم (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) عرف جاهلي والذوق السليم يعرف أن هذا ليس كلام الله، وبالاضافة الى ذلك فإن عقوبة الرجم قاسية بعيدة عن عدالة الله وشريعته الآمرة بالرأفة مع الحيوان حين ذبحه.

ثانياً: جميع أحاديث الختان تتعارض مع نصوص القرآن الآمرة بعدم تغيير خلق الانسان القائم على أحسن صورة والناهية عن كل ما فيه ضرر الانسان أو كان ضرره أكثر من نفعه كما بينا سابقاً.

ثالثاً: جميع أحاديث الختان آحادية ومن شروط العمل بحديث الآحاد أن لايعالج حكم ما تعم به البلوى أي ماتمس حاجة الانسان إليه بكثرة وقضية ختان الاناث تتكرر يومياً ولو كان الحديث صحيحاً لأصبح متواتراً أو مشهوراً (مستفيضاً)، وكونه آحاداً دليل على عدم صحته[2].

رابعاً: جميع أحاديث الختان على تقدير صحتها لاتدل إلا على إباحة الختان أو كونه سنة أو مكرمة كما سبق ذلك ولم يثبت حديث يدل على وجوبه ومن البدهي أن كل حكم يكون مباحاً أو سنة أو مكرمة يجوز للسلطة التشريعية الزمنية أن تمنعه بقانون إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك وحماية صحة البنات من المصالح الضرورية.

خامساً: لم يثبت في السيرة النبوية أن الرسولﷺ قام بختان إحدى بناته، وإنما المروي عنه أنه ختن (الحسن والحسين) في اليوم السابع من ولادتهما كما لم يثبت عن سيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين أن أحداً منهم قام بختان بناته.

سادساً: لم يشر القرآن الكريم من قريب أو بعيد الى ختان الاناث مع أنه أفرد أبواباً خاصة بالمرأة كما في الحيض والنفاس والحمل والرضاع والحضانة والزواج والطلاق والنفقة ونحو ذلك.

---

[1] سورة النساء، الآية (٢).

[2] لمزيد من التفصيل: ينظر مؤلفنا أصول الفقه في نسيجه الجديد، موضوع وظائف السنة النبوية.

سابعاً: لو صحت أحاديث الختان لكانت الدولة العربية السعودية في مقدمة دول العالم في تطبيق عادة ختان الاناث، لأنها مهبط الوحي ومركز إشعاع الاسلام ومكان ولادة الرسولﷺ ومقر مرقده حيث ثبت أن هذه الدولة لم ولن تطبق يوماً ما هذه العادة الجاهلة الموروثة في المجتمعات البدائية، وهذا دليل على أن الختان من قبيل العادات الجاهلية وليس من قبيل الشعائر الدينية والعبادات، والذي من قبيل الشعائر هو ختان الذكور باتفاق علماء الدين والفقها..

ثامناً: العراق دولة إسلامية نسبة سكان العرب فيها أكثر من نسبة نفوس الكرد فلماذا عادة ختان الاناث لاتطبق لدى إخواننا العرب من أهل السنة والشيعة ؟ وكذلك لاتطبق هذه العادة في سائر الدول العربية باستثناء مصر حيث كانت تطبق سابقاً كعادة فرعونية، إلا أن القانون حرم أخيراً تحريماً باتاً في مصر وحدد عقوبة شديدة لمن يمارسها كما يأتي بيان ذلك بإذن الله.

تاسعاً: ولايقاس ختان الاناث على ختان الذكور لأن من شروط القياس أن تكون هناك علة جامعة مشتركة بين المقيس والمقيس عليه، فأين هذه العلة ؟ بل القياس في هذا الباب يكون قياساً مع الفارق الكبير حيث أثبت العلم الحديث أن ختان الذكور من ضروريات صحية كما أثبت أن ختان الاناث له نتائج سلبية مضرة صحياً موجودة في ختان الذكور وبقي ما عداه على أصل المنع وفقاً للقاعدة الاصولية ما جاز على سبيل الاستثناء لايقاس عليه ومن الواضح أن القلفة في تضيب الذكر منبت خصب لتكوين الجراثيم والافرازات التي تؤدي الى أمراض خطيرة كالسرطان والأيدز.

عاشراً: ليس لأحاديث الختان نظائر في القرآن الكريم وسبق أن ذكرنا أن من وظائف السنة النبوية المصدرية للأحكام إذا كان لها نظائر في القرآن الكريم ولم يشر القرآن من قريب أو بعيد الى هذه النظائر.

المطلب الثاني
الملاحظات الخاصة بكل حديث على إنفراد

وفيما يلي بعض ملاحظات علماء الحديث على أحاديث الختان:-

١. حديث إذا التقى الختانان وجب (أو يجب) الغسل، هذا الحديث ضعيف ولا يصح العمل به كسند على مشروعية ختان الاناث لأنه يقرر قاعدة فقهية مرفوضة بالاجماع، إذ لا يجب الغسل بمجرد التقاء الختانين وإنما يجب بتغييب الحشفة في الفرج والصواب إذا التقى الزوجان في علاقة جنسية يجب الغسل.

٢. حديث الهيثم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء الى النبيﷺ فقال: لقد أسلمت فقال النبيﷺ إلق عنك شعر الكفر واختتن. قال الشوكاني[1] وهو من المراجع المعتمدة للأحاديث النبوية أخرجه الطبراني وأبن عدي والبيهقي قال الحافظ (العسقلاني)، وفيه إنقطاع وعثيم وابوه مجهولان قال ابن قطان وقال الحديث لا يصلح للحجية لما فيه من مقال. ونقل عن ابن المنذر أنه قال: ليست في الختان خبر يرجع إليه ولاسنة تتبع[2].

٣. حديث ابي هريرة (رضي الله عنه) خمس من الفطرة (تقليم أظافر و قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة والاختتان)، هذا الحديث في أكثر رواياته وأكثر المراجع وبوجه خاص البخاري لايوجد فيها الاختتان[3]. بالاضافة الى ملاحظات المحققين من أهل الحديث ثم أن الاختتان على تقدير صحة الحديث يكون للذكور فقط.

٤. عن الحجاج بن أرطأ (الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء)، يقول القرطبي وابن حجر العسقلاني: الحجاج ليس ممن يحتج به. وقال الشوكاني[4]: والحجاج مدلس وقد اضطرب فيه قتادة رواه تارة هكذا وتارةً رواه بزيادة شداد بن أوس وتارة رواه

---

[1] نيل الاوطار شرح منتقي الاخبار من أحاديث سيد الاخبار للإمام المجتهد محمد بن علي بن محمد، ١/١٣٥.

[2] فتح الباري شرح صحيح الأمام أبي عبدالله محمد بن أسماعيل البخاري ١١/٨٩ ومايليها.

[3] المرجع السابق، ص١/١٣٨، فتح الباري ١١/٨٨.

[4] المرجع السابق، ص١/١٤٥.

عن مكحول عن ابن أيوب وذكره حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه خطأ من حجاج أو من الراوي عنه. وقال البيهقي: هو ضعيف منقطع[1].

٥. وقد نص الحافظ ابن حجر في كتابه تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافع الكبير على ضعف هذا الحديث.

٦. رواية ابن عطية جاء في سنن أبي داود أن المرأة كانت تختتن في المدينة فقال لها النبيﷺ (لاتنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب الى البعل وفي رواية أخرى أشمي ولاتنهكي) هذا الحديث رواه الحاكم والبيهقي وابو داود بالفاظ متقاربة وكلهم رووه بإسانيد ضعيفة كما بين ذلك الحافظ زين الدين العراقي في تعليقه على إحياء علوم الدين للغزالي[2]. وقد جمع بعض المعاصرين طرق هذا الحديث وقالوا: كلها طرق ضعيفة لاتقوم حجة. وقال الدكتور الصباغ في رسالته ختان الاناث: فانظر رعاك الله الى هذين الامامين الجليلين (أبي داود والعراقي) كيف حكما بالضعف ثم لو فرضنا صحة الحديث جدلاً فإنه لايتضمن الأمر بختان البنات وإنما يتضمن تحديد كيفية هذا الختان إذا وقع بالاضافة الى أن هذا الحديث كما يقول أكثر المحققين كان لختان الجواري.

٧. حديث أن النبيﷺ ختن الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما لايدل على ختان الاناث، بالاضافة الى الطعن في صحة الحديث حيث قال كثيرون: أن رواة الحديث ضعيفة ومجهولون.

٨. عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: أختتن خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة (بالقدوم) (آلة النجارة) وفي رواية بعد مائة سنة وفي رواية أخرى (١٢٠) سنة وفي رواية أخرى (١٢٥) سنة. وهذه الروايات كلها إسرائيليات نقلت عن التلمود كما ذكرنا في المبحث الاول من الفصل الاول من هذا الكتاب، ومنها أن إبراهيم عقد معاهدة مع الله ووقعها بدم الختان ومضمون هذه المعاهدة هو أن الله قال لإبراهيم الارض بين النيل والفرات لك ولنسلك. ثم إذا كان الختام من شعائر دين إبراهيم عليه السلام لماذا تأخر في تنفيذ أمر الله الى سن (٨٠-١٠٠- أو ١٢٠- أو ١٢٥) كما جاء في الروايات المختلفة. والاستدلال بآية (ثم أوحينا اليك أن

---

[1] المرجع السابق.

[2] نقلاً عن: الاستاذ جمال البنا، الختان ليس مكرمة بل جريمة، ص٦٩.

إتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)[1] استدلال فيه بعد وتكلف لانه الأمر باتباع ملة إبراهيم أكبر وأعمق من مجرد عملية الختان، بل المراد إتباع منهجه في إقامة التوحيد واجتناب الطاغوت، والدعوة الى وحدانية الله بالحكمة والمحجة.

٩. والحاصل أن ختان الاناث ورد في أحاديث كثيرة ذكرها الأمام الشوكاني في كتابه نيل الاوطار باب الختان (١/١٣٣) وما يليها، وحكم عليها بالضعف بعد كلام مفصل عن أسانيدها وذكر قول الامام ابن منذر (ليس في الختان خبر يرجع اليه ولا سنة تتبع) وقال صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي (٤/١٨٣، ١٢٤) وما يليها: (وختان المرأة روي من أوجه كثيرة وكلها ضعيفة معلولة مخدشة لايصلح الاحتجاج بها). وفي فقه السنة (١/٣٣) أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شيء. وقال ابن عبد بر في التمهيد (والذي أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال)[2].

ونستنتج مما ذكرنا من الملاحظات العامة والخاصة بشأن ختان الاناث أنه لايوجد نص شرعي صحيح يحتج به على ختان الاناث، وإنما هو عادة إنتشرت وانتقلت من جيل الى آخر وتوشك أن تنقرض في العالم في العصر الحديث.

---

[1] سورة النحل، الآية (١٢٣).

[2] شرح عون المعبود، المرجع السابق، (١٤/١٨٣و١٣/١٢٥) وما يليها.

الفصل الرابع
فتاوى علماء الدين في ختان الاناث وموقف القانون

توزع دراسة عنوان هذا الفصل على مبحثين" الاول لفتاوى علماء الدين المعاصرين والثاني لموقف القوانين الوضعية القائمة.

المبحث الأول
فتاوى علماء الدين المعاصرين بصدد
حكم ختان الاناث

أهملت فتاوى علماء الدين القدماء لأن فتاواهم في العصور السابقة كانت مبنية على بعض الاحاديث الضعيفة التي لايصح الاستدلال بها بالاضافة الى ذلك كانت تلك الفتاوى في وقت لم يثبت بعد أضرار ختان الاناث عن طريق الاكتشافات العلمية والتقارير الطبية الحديثة وهم معذورون عن الافتاء بالجواز كما كانوا معذورين عن الافتاء بجواز التدخين الذي لم تثبت أضراره الخطيرة في عصرهم عن طريق التطبيقات الطبية والمختبرات العلمية والمؤتمرات المتعاقبة بدراسة الموضوع.

ونقتصر في هذا المبحث على بعض الفتاوى المعتمدة والمعززة بالتجارب العلمية والدراسات الدقيقة المعتمدة على النصوص القرآنية من جهة واثبات أضرار ختان الاناث عن الطريق العلمية والطبية من جهة أخرى كما يلي:

أولاً: الفتوى الرسمي للاستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية المصرية المنشورة في مجلة المصري اليوم في ٤/٧/٢٠٠٥ في الصحيفة/٤ وفيما يلي نص البيان:-

١. تحرم ختان الاناث شرعياً واعتباره مجرد عادة لاعلاقة لها بالاسلام من قريب أو بعيد حيث أكدت اللجنة الشرعية العليا لدار الافتاء المصرية خلال إجتماعها: لن ختان الاناث هو عادة محرمة شرعاً وذلك لما أثبته الطب الحديث بالأمر القطعي والنفسي بمضاره الكثيرة الجسدية منها بقطع جزء من جسدها بغير مسوغ أو ضرورة توجبه محظور شرعاً.
٢. إن ختان الاناث عمل من قبيل العادات وليس من قبيل الشعائر والعبادات والذي هو من قبيل الشعائر ختان الذكور باتفاق جميع العلماء والفقهاء والاطباء على مر العصور.
٣. إن علماء الشريعة والفقه وكثيراً من الناس أحالوا الامر الخاص بختان الاناث الى الاطباء المتخصصين الذين أكدوا وحرموا تلك العادة. ومن هنا أصبح من اللازم التوضيح، لأن الرأي المتفق عليه هو التحريم.

٤. أستند المفتي الى قول الامام ابن الحاج في المدخل وقول الامام الشوكاني في نيل الاوطار أيّ حديث وارد بشأن ختان الاناث لايصلح للإحتجاج به فهو لاحجة فيه على المطلوب. وقول إبن عبد بر في التمهيد (الذي أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال) وكذلك قول (شمس الحق العظيم آبادي في شرح عون المعبود لسنن إبي داود) وحديث (ختان المرأة روي من أوجه كثيرة وكلها ضعيفة معلولة مخدوشة لايصلح الاحتجاج بها).

٥. وكذلك استند المفتي الى فتوى الدكتور يوسف القرضاوي في بحثه المقدم عن الحكم الشرعي في ختان الاناث وقوله (وبناءً على هذا الاصل المقرر المتفق عليه بقصد إبقاء خلق الله على خلقه وعدم تغييره لكون ختان المرأة أو إخفاضها يقطع جزء من جسمها بغير مسوغ يوجبه أمراً غير مأذون به ومحظوراً شرعاً).

٦. كذلك إستدلال المفتي بفتوى الدكتور محمد سليم العوا-نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين-(إن الحكم الشرعي لختان الانثى ليس بواجب ولاسنة ولامكرمة) وقد إعتبر ضعيفاً جميع ماروي بصدد ختان الاناث، بل هو عادة ضارة ضرراً محضاً بناءً على المصادر المعتمدة.

٧. إعتمد المفتي على كتب سلفنا الصالح التي بينت حقيقة هذه العادة حتى عند القائلين بأن ختان الاناث شعيرة كختان الذكور، بل أنها تؤدي الى إحداث جرح في جلدة تكون في أعلى الفرج دون إستئصال هذه الجلدة بقول الماردي (هو قطع الجلدة يكون في أعلى الفرج كنواة أو كعرف الديك). وكذلك قول الامام النووي في المجموع (هو قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج)[1].

٨. وأضاف المفتي قوله (ومن هنا يتبين أن القطع هو الشق وليس الاستئصال وهو ما يدل عليه الحديث الضعيف (أشمي ولاتهلكي) وهذا يحتاج الى جراح متخصص في مسألة أصبحت في عصرنا الحاضر بملابساتها ضارة على الجسم البشري قطعاً دون حاجة اليها شرعاً وضرورة تقتضيه.

---

[1] الشوكاني، ١/١٣٥.

٩. وأوضح المفتي أن إستمرار عادة ختان الاناث كان يرجع الى عدم ظهـور ضـررها، أما وقد ظهر ضررها وأقره أهل الطب فمنعها واجب، لأن حدوث الاضـرار منهـا أصبح يقيناً.

١٠. ثم يمضي المفتي قائلاً: (وعلى الذين يعاندون في هذا أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في هذا وأن الفتوى تتصل بحقيقة الواقع وأن موضوع الختان ثبت له مضار كثيره جسدية ونفسية لما يستوجب معه القول بحرمته وتم الاتفاق علـى ذلـك دون تفرق للكلمة واختلاف لامبرر له).

ثانياً: فتوى الشيخ الطنطاوي في٨/١٠/١٩٩٤ الآتية:

السيد الدكتور عبدالفتاح وزير الصحة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعـد: وبنـاءً على الخطاب المرسل من السيد الدكتور محمود ابـراهيم مـدير عـام الادارة العامـة للثقافـة والاعلام الصحي بشأن الحكم الشرعي بالنسبة لختان البنات: نفيد سـيادتكم بمـا يلـي: وفي الاحاديث النبوية الشريفة التي اعتمد عليها الفقهـاء. في ذلـك مـا رواه الحـاكم والبيهقـي للسيدة عائشة –رضي الله عنها- أن النبيﷺ ختن الحسـن والحسين في اليـوم السـابع مـن ولادتهما، أما الختان والخفاض بالنسبة للإناث فلم يرد بشأنه حديث يحتج به وإنما وردت آثار حكم المحققون من العلماء. عليها بالضعف ومنها حديث- الختـان سـنة للرجـال ومكرمـة للنساء- وحديث –أحظى للمرأة وأحب للبعل- وفي روايـة أشمـي –ولاتنهكـي- أي إقطعـي شيئاً بسيطاً ومنها حديث –الق عنك شعر الكفر واختتن- وحديث –مـن أسـلم فليختـتن- وغيرهـا وقـد ذكـر هـذه الاحاديـث جميعهـا الامـام الشـوكاني في كتابـه نيـل الاوطار/ج١/ص١٣٧-١٤٠).

وحكم عليها بالضعف بعد الكلام المفصل عن أسانيدها وذكـر قـول الامـام ابـن منـذر (ليس للختان خبر يرجع اليه ولاسنة تتبع) وقد نقل في هذه الفتوى ما يلي:

إعتمدنا هنا على نسخة في الفتوى الرسمية والمؤرخة في ٨/١٠/١٩٩٤ وقد نشر معظم هذه الفتوى في جريدة الاخبار القاهرية في ٢٨/١٠/١٩٩٤، ص٧. وجدير بالذكر أن الشـيخ الطنطاوي كان مفتياً لجمهورية مصر العربية عند إبداء هذه الفتوى وقد عين شيخاً للأزهـر بعد وفاة الشيخ جاد الحق في مارس ١٩٩٦.

ثالثاً: ورد في كتاب الفتاوى لفضيلة المرحوم الشيخ محمد شلتوت (شيخ الازهـر سـابقاً) تحت عنوان ختان الاناث، قوله (وقد خرجنا في إستعراض المرويات في مسـألة الختان على أنه

ليس فيها ما يصح أن يكون دليلاً على السنة الفقهية فضلاً عـن الوجـود الفقهـي وهـي النتيجة التي وصل اليها بعض العلماء السابقين وعبر عنها بقولـه – لـيس في الختـان خـبر يرجع اليـه ولاسنة تتبع)"[١].

رابعاً: فتوى الدكتور محمد سليم العوا (مصر)"[٢].

ليس ختان الذكور موضع خلاف، فلا حاجة لبيان الحكم الشرعي فيـه وحكـم الشـريعة الاسلامية يؤخذ من مصادرها الاصلية المتفق عليها وهي القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة الصحيحة والاجماع بشروطه المقررة والقياس المستوفي لشروط صحته. أما فقه الفقهـاء فهـو العمل البشري الذي يقوم المتخصصون بعلم الشرع في علوم الشرع لبيان أحكام الشريعة في كل ما يهم المسلمين بل الناس أجمعين أن يعرفوا حكم الشريعة فيه ولا يعـد كـلام الفقهـاء شريعة ولانصوصاً شرعية بل سبيل الى فهم الأصل في هذه النصوص وكيفية إعمالها ثـم أن الفقيه ليس معصوماً بل كما يكون مصيباً يكون مخطئاً، ففي الاصابة له أجران أجـر علـى كشف حكم الله وأجر على بذل الجهود، وفي الخطأ له أجر علـى بـذل جهـوده. فـإذا اردنـا أن نتعرف على حكم الشريعة الاسلامية في مسألة ختـان الانـاث فعلينـا أن نبحـث عنـه في القرآن الكريم ثم السنة النبوية ثم سائر المصادر الكاشفة لأحكام الله التي تسـمى المصـادر التبعية.

وقد نجد في الفقه ما يعين على فهم ونؤكده وقد لانجد فيه ما ينفع في ضوء علم عصـرنا، وتقدم المعارف الطبية خاصة، فنتركه وشأنه ولانعول على ما هو مـدون في المرجـع الفقهـي. وقد خلا القرآن الكريم من أي نصٍ يتضمن إشارة من قريب أو بعيـد الى ختام الاناث ولـيس هنالك إجماع على حكم شرعي في ختان الاناث ولا أي مصدر كاشف آخر يمكـن أن يقبـل في شأنه .

أما السنة النبوية فأنها مصدر ظـني المشرعية لما ورد فيـه مـدوناتها مـن مرويـات منسوبة الى الرسولﷺ بهذا الشأن. الحق أنه ليس لهذه المرويات دليل واحـد صـحيح السـند

---

[١] الشيخ محمود شلتوت، الفتاوى، ص٣٠٢.

[٢] مقالة نشرتها جريدة الشعب، القاهرة في ١٩٩٤/١١/١٨ وجـاء نصـه أيضـاً في كتـاب محمـد بـن لطفي الصباغ، الحكـم الشـرعي في ختـان الـذكور والانـاث، منظمـة الصـحة العالميـة والمكتـب الاقليمي للشرق المتوسط، الاسكندرية، ص٢٦–٣٤.

يجوز ان يستفاد منه حكم شرعي في مسألة بالغة الخطورة على الحياة الانسانية كهذه المسألة ولا حجة عند أهل العلم في الاحاديث التي لم يصح نقلها، إذ الحجة في صحة سنده دون سواه.

ثم يمضي المفتي قائلاً: فليتق الله أولئك الذين يسوغون ما لايُسوغ وينسبون الى الشرع ما ليس منه وليذكروا وصية الرسول ﷺ ((واستوصوا بالنساء خيراً)). ويضع هؤلاء أنفسهم موضع تلك المسكينات اللاتي حرمن بهذا الختان الذي لم يرد به شرع متعة الزواج[١].

خامساً: عقد قسم الطب النفسي بجامعة الأزهر ندوة[٢] عن ختان الاناث بين الدين والطب وانتهى المشاركون فيها الى رفض ختان الاناث واعتباره مخالفة للشريعة الاسلامية ومخالفاً للفطرة السليمة.

سادساً: عقدت إدارة الافتاء المصرية بالاشتراك مع الاتحاد العالمي في المانيا لمكافحة تشويه الجهاز التناسلي للمرأة مؤتمر العلماء العالمي لحظر إنتهاك جسد المرأة برعاية مفتي جمهورية مصر العربية[٣]، وقد عقد المؤتمر في مركز مؤتمرات الازهر وقد إتفق المشاركون في هذا المؤتمر على أن ختان الاناث ليس من أحكام الشريعة الاسلامية وإنما هي مجرد عادة لاعلاقة لها بالدين وقال إنني خلال قراءتي في كتب الفقه لم أجد ما أطمئن إليه من الناحية الدينية بأن ختان الاناث من الاسلام، وأضاف: ان الاحاديث التي رويت عن ختان الاناث ضعيفة ولايجوز الاعتداد بها.

---

[١] ينظر: د. سامي الذيب، المرجع السابق، ص٤٣١ وما يليها.

[٢] عقدت الندوة يوم ٢٠٠٥/٦/٨.

[٣] عقدت المؤتمر في شوال/١٤٢٧ وذلك بالتعاون مع منظمة المانية وهي منظمة (Targat) وهي منظمة لحقوق الانسان تأسست عام ٢٠٠٠.

المبحث الثاني
موقف القوانين الوضعية من ختان الاناث

أولاً: موقف الامم المتحدة:

يتلخص موقف الامم المتحدة من ختان الاناث فيما يلي:

١. إدانة ختان الاناث بجميع أنواعه واعتباره مخالفاً للحق في سلامة الجسد والصحة الجسدية والنفسية وصورة من صور العنف ضد المرأة.
٢. رفض إجراء هذه العملية في الاوساط الطبية.
٣. المطالبة بوضع قوانين لمنع ختان الاناث ومعاقبة من يمارسه من الاطباء.
٤. إذا كان الختان عملاً جرمياً وفقاً للقوانين فهو جريمة أيضاً طبقاً لحقوق الانسان.
٥. الوثيقة العالمية لحقوق الانسان تنص في مادته الثالثة على أن لكل فرد الحق في الحياة بحرية في الأمان على شخصه.
٦. المادة (٢٤) من إتفاقية الامم المتحدة لحقوق الطفل أقرت حق الطفل في المجتمع على أعلى المستوى الصحي أن يعيش.
٧. الفقرة الخامسة من القانون الدولي للأخلاق الطبية تنص على أنه يجب حماية كل طفل من علاج أو كشف طبي غير ضروري ومن الحق في حياة الجسد الى الحق في عدم التعذيب والختان الذي هو من إهدار الكرامة وفضح الصورة وانتهاكها[1].

ثانياً: موقف التشريع السويسري:

تعد سويسرا أول دولة في العالم إتخذت موقفا معادياً لختان الاناث، فقد أثار الاستاذ (أدمون كيزر) مؤسس منظمة (أرض الناس) هذا الموضوع على المستوى العلمي في مؤتمر صحفي عقده في جنيف في نيسان ١٩٧٧ دعا إليه عدداً من الاطباء. والكتاب وطالب منظمة الصحة العالمية مناقشته في الجمعية العامة في نفس السنة في شهر حزيران ١٩٧٧،

---

(١) حقائق علمية حول ختان الاناث، جمعية تنظيم الاسرة، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٨.

وأرسل رسالة بهذا الشأن الى السكرتير العام للأمم المتحدة، ورفع إتحاد الاطباء السويسري طلباً الى اللجنة المركزية للأخلاق الطبية التابعة للأكاديمية السويسرية للعلوم الطبية التدخل في موضوع ختان الاناث وأصدرت بلاغاً عام ١٩٨٣ وقررت فيه ما يلي:

(كل شخص يجري عمليات بتر جنسية طقسية على إناث صغار أو صبيان يقترف جرماً جسدياً خطراً ومتعمداً حسب المادة-١٢٢- من قانون العقوبات السويسري وينتهك حقاً أساسياً بإجراء تلك العملية الوحشية والمذلة على قاصرة غير قادرة على الوعي وكل من يتعاون معه يعاقب بموجب المادة المذكورة بالسجن لمدة أقصاها عشر سنين أو الحبس لمدة تتراوح بين ستة أشهر وخمس سنوات).

ثالثاً: موقف القانون الفرنسي:

حكمت المحاكم الفرنسية بإدانة ممارس ختان الاناث رغم عدم وجود قانون خاص بمعالجة الختان وكان الحكم بناءً على قانون العقوبات الفرنسي حيث تنص المادة (٢٢٢/٩) على أن العنف الذي ينتج عنه قطع أو عاهة مستديمة يعاقب بالسجن لمدة عشر سنين وبغرامة قدرها مليون فرنك كما تنص المادة(٢٢٢/١٠) في الجناية المذكورة في المادة(٢٢٢/٩)على أنه يعاقب بالسجن مدة خمس عشرة سنة إذا أجريت العملية على قاصرة عمرها أقل من خمس عشرة سنين، ويمكن رفع العقاب الى السجن لمدة عشرين سنة عندما تتم الجناية المذكورة في المادة (٢٢٢/٩) على قاصرة عمرها أقل من خمس عشرة سنة وكان الجاني هو الأب أو الأم الشرعيين أو غير الشرعيين أو المتبني أو أي شخص له السلطة على المجني عليه.

رابعاً: القانون البريطاني:

قانون حظر ختان الاناث الصادر في ١٦ تموز ١٩٨٥ ومضمونه ما يلي:

١. يقترف جرماً باستثناء الفقرة (٢) الآتية (كل شخص: أ- يختتن أو يرتق الشفرين الكبيرين أو الصغيرين أو البظر جزئياً أو كلياً لشخص آخر.

٢. ب- أو يساعده وينصح ويسهل إجراء تلك الأعمال بوساطة شخص على جسم شخص آخر).

٣. كل من يعد مرتكباً تلك الاعمال ومسؤولاً عنها: (أ- يلاحق أو يعاقب بالسجن لمدة لاتزيد عن خمس سنين. ب- في الحالات الخفيفة –أي عند وجود ظروف مخففة- يعاقب الشخص بالسجن لمدة لاتزيد عن المدة المذكورة في المادة ٧٨ من قانون العقوبات البريطاني لعام ١٩٨٢ وفي كل حال يعاقب بالحبس لمدة لاتقل عن ستة أشهر).

خامساً: قانون الولايات المتحدة الامريكية:

أصدرت الحكومة الفيدرالية عام ١٩٠٥ قانون حظر البتر الجنسي للانثى الفدرالية الذي مضمونه:

أ. باستثناء الفقرة ب، كل شخص متعمد يختتن أو يخفض أو يرتق الشفرين الكبيرين أو الصغيرين أو البظر جزئياً أو كلياً لشخص آخر لم يبلغ سن الثامنة عشر يعاقب بغرامة أو بالسجن لمدة لاتزيد عن خمس سنين أو كليهما.

ب. لاتعد العمليات الجراحية خرقاً لهذا القانون في الحالات الآتية:-

١. إذا كانت تلك العملية الجراحية ضرورية لصحة الشخص الذي تجرى عملية على يد شخص مخول باجرائها في المكان الذي يجريها كطبيب ممارس أو.

٢. إذا تمت تلك العملية على شخص في مرحلة المخاض أو الولادة وتجري من قبل شخص مخول لإجرائها في مكان الاجراء، كطبيب ممارس أو قابلة أو متمرن يصبح طبيباً أو قابلة.

ج. بتطبيق الفقرة (ب/١) لايؤخذ بالاعتبار تأثير أي إعتقادات كان على هذا الشخص يدفعه أو يدفع غيره للتفكير بأن تلك العملية ضرورية كطقس أو عرف.

سادساً: التشريع المصري:

أول ما صدر في مصر بشأن ختان الاناث هو القرار الوزاري رقم (١٩٥٩/٧٤) الذي ينص في مادته الثانية على أنه:-

أ- يحرم بتاتاً القيام بعملية الختان (ختان الاناث) جزئياً أو كلياً لمن أراد.

ب- منع عملية الختان في وحدات وزارة الصحة لأسباب صحية واجتماعية ونفسية.

ت- غير مسرح للدايات المرخصات بالقيام بأي عمل جراحي ومنها ختان الاناث.

ث- وأصدر وزير الصحة الجديد في ١٩٩٦/٧/٨ القرار المرقم ٢٦١ لسنة ١٩٩٦ الذي نص على الآتي: (يحظر إجراء عمليات الختان للإناث سواء في المستشفيات أو العيادات العامة أو الخاصة ولايسمح بإجرائها إلا في الحالات المرضية فقط والتي يقرها رئيس قسم أمراض النساء والولادة في المستشفى وبناء على إقتراح الطبيب المعالج وفيما عدا ذلك يعد ختان الاناث جريمة يعاقب عليها طبقاً للقوانين واللوائح)[1].

وأخيراً أقر مجلس الشعب المصري في ٢٠٠٨/٦/٧ قانوناً يحرم ختان الاناث إلا في حالة الضرورة وبموجب هذا القانون تكون عقوبات ختان الاناث بالسجن تصل الى عامين وغرامات من (١٠٠٠-٥٠٠٠) جنيه[2].

سابعاً: قانون العقوبات الأردني:-

عملية ختان الأناث هي عملية غير مشروعة لوقوعها تحت طائلة التجريم وفقا لقانون العقوبات الأردني القائم اذ ينطوي على جرائم ثلاث وهي الأيذاء البدني بدون مبرر وهتك العرض وممارسة العمل الطبي بدون ترخيص.

ورأي القانون في عملية الختان أنها جريمة جرح عمدية يعاقب عليها القانون طبقا للمادة(٢٤١-٢٤٢) عقوبات الأردني حسب مدة العلاج وتصل الى السجن ثلاث سنوات ويعتبر الولي أو الوصي شريكا بالأتفاق والتحريض والمساندة ويتحمل المسؤولية.

---

(١) الاستاذ الدكتور سامي الذيب، المرجع السابق، ص٢٩٩ وما يليها.

(٢) ينظر الموقع الالكتروني: .http://www.alarabiya.net/articles/2008/06/07/51141.htm1

الاستنتاجات

أولا: يستنتج من العرض المذكور لقوانين بعض الـدول الكـبرى المتقدمـة حضـارياً أن تلـك القوانين الوضعية حظرت وحرمت ختان الاناث إلا في حالات الضرورة، وبذلك تؤكـد ماجاء في القرآن الكريم من أن كل ما كان ضرره أكثر من نفعه فهـو محظـور ومحـرم، غير أن القوانين الوضعية حددت عقوبات مختلفة منها مالية (الغرامة) ومنها سالبة للحرية. وأما القرآن الكريم فقد خول العقل البشري تحديد عقوبـات تعزيريـة لختـان الاناث حسب ظروف الخاتن أو المختتن كما بنى الحل والحرمة لتصرفات الانسـان علـى أساسين النفع والضرر، فاباح الفعل إذا كان نافعاً أو نفعه أكثرمن ضرره ما لم يكـن هذا النفع على حساب ضرر أو خسارة الغير، وحظر كل ما فيه ضرر أو ضـرره أكثـر من نفعه مالم تترتب على هذا الضرر مصلحة عامة ونفع عام وذلك بمقتضى المنطـوق الصريح لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

ثانيا: لايعرف لحد الآن متى بدأت عادة ختان الاناث، لكن الظـاهر أنهـا ترجـع الى تـاريخ نشأة خصاء العبيد لحرمانهم من التمتع الجنسي حين إستخدامهم خدماً في البيـوت واختلاطهم مع أفراد أسر أسيادهم ولعل في نفس الوقت إستحدثت فكـرة إسـتخدام الختان للجواري لوضع حد لإفراط قـوتهن الشـهوانية ثـم تسـربت فكـرة الختـان الى الاحرار.

ثالثاً: بعد تطور الطب واكتشاف الجراثيم والأمراض الخطيرة عن طريق الاجهزة التكنولوجيـة الحديثة ظهر للأطباء والمختصين الامراض التي تترتب على ممارسة ختان الاناث.

رابعاً: تبين للمتخصصين أن الختان لايقلل من القوة الشهوانية للإناث لأن مصدر هذه القـوة هو الدماغ والعمود الفقري والجهاز العصبي بدليل ضعفها تدريجياً كلما أقترب العمر من سـن الشيخوخة رغم بقاء جهاز الارواء الجنسي للأنثى على حاله.

خامساً: أهم الأمراض الناتجة عن ختان الاناث التي إكتشفها الطب الحديث هي الآتية:

١) نقص الخصوبة الذي قد يصل الى العقم.

٢) حدوث الألم الشديد عند الجماع (المعاشرة الجنسية).

٣) تضاعف إحتمال وفاة الام عند الولادة وزيادة إحتمال وفاة المولود أثناء الولادة.

٤) الالم الشديد المتزامن للعادة الشهرية.
٥) الالتهابات المتكررة لمجرى البول وتسرب البول.
٦) التكيسات الجلدية والصديد والندبات في الجلد.
٧) زيادة إحتمال الاصابة بالناسور.
٨) ظهور أمراض نفسية وجسدية نتيجة إختلاف وظائف المخ.
٩) إحتمال الاصابة بمرض الأيدز عن طريق الادوات المستعملة في العملية.

سادساً: القرآن الكريم حرم صراحةً كلما يكون فيه ضرر محض كالتدخين او يكون ضرره أكثر من نفعه كختان الاناث.

سابعاً: عدم وجود حديث صحيح على مشروعية ختان الاناث وعلى فرض وجوده يكون متعارضاً مع نص القرآن فيجب العمل بالقرآن دون الحديث حين التعارض طبقاً للقواعد الاصولية المتفق عليها.

ثامناً: إجماع علماء الدين المعاصرين المتزامنين مع عصر كشف اضرار ختان الاناث على تحريمه.

تاسعاً: إجماع الاطباء على أضرار ختان الاناث وضرورة منعه.

عاشراً: كل قاعدة شرعية وقانونية لها الاستثناءات وبناءً على ذلك يكون ختان الاناث في الحاجة الضرورية جائزاً للضرورة والضرورات تقدر بقدرها.

الحادي عشر: البلاد الاسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية مهبط الوحي ترفض رفضاً باتاً ممارسة عملية ختان الاناث.

الثاني عشر: في العراق لاتمارس هذه العادة الموروثة الجاهلية إلا في إقليم كوردستان، ومسؤولية ذلك تقع على السلطة التشريعية وعلى علماء الدين.

الثالث عشر: قد آن الأوان لتشريع قانون يمنع ختان الاناث ويحدد عقوبة لكل من يمارس هذه العادة التي لاصلة لها بالدين وإنما هي عادة موروثة قبل الاسلام بآلاف السنين.

التدخين.. أضراره وتحريمه في القرآن

المقدمة

الأدلة النقلية والعقلية على تحريم التدخين

أ- من الأدلة النقلية الآيات القرآنية الدالة دلالة قطعية على تحريم التدخين:

١- قوله تعالى: ﴿ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ سورة البقرة/ ١٩٥

(المدخن يلقي بإرادته نفسه إلى التهلكة)

٢- قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ سورة البقرة/ ٢١٩

(التدخين اثم كبير وضرر)

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ سورة النساء/ ٥.

(التدخين سفه لانه صرف مال في غير محله)

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ سورة النساء/ ٢٩

(التدخين انتحار تدريجي)

٥- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ سورة المائدة/ ٨٧.

(المدخن يعتدي على صحته وعلى من تجب عليه نفقته)

٦- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ سورة الانعام/ ١٤١

(التدخين اسراف)

٧- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ سورة الانعام/ ١٤٢

(اتخاذ مسلك الضرر اتباع لخطوات الشيطان)

٨- قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ سورة الاعراف/١٥٧

(التدخين من الخبائث)

٩- قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾ سورة الاسراء/٢٦

(في التدخين ترك واجب ممثل بحق القريب الفقير والمسكين وابن السبيل وارتكاب محرم ممثل بالتبذير)

١٠- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ سورة الاسراء/٢٧

(المدخن مبذر والمبذر أخ الشيطان والشيطان كفور لربه)

ب- من الأدلة العقلية:

١- من مهزلة العقل البشري أن يتخذ الإنسان عده اللدود جليسا خليلا ودوداً له.

٢- من نضج العقل أن يجعل الإنسان إرادته خاضعة لعقله دون العكس.

٣- من شجاعة المرء أن لا يذلّ أمام نفسه الأمارة بالسوء.

٤- من سوء التقدير الإستسلام لهذا الوحش الحضاري (التدخين).

الفصل الاول

طبيعة التدخين- نشاته- انتشاره

توزع دراسة هذا الفصل على ثلاثة مباحث
يخصص الأول لطبيعة التدخين والثاني لنشأته
والثالث لانتشاره.

المبحث الأول
طبيعة التدخين

التدخين من حيث الكيف إما ايجابي أو سلبي ومن حيث الانفعال إما عادة أو إدمان.

تعريف التدخين:

التدخين الإيجابي من البدهيات والبدهي غني عن التعريف ورغم ذلك يمكن تعريفه بأنه عملية التناول المباشر وغير المباشر للدخان الناتج من احتراق التبغ، أو هو استنشاق وزفير أبخرة تبغ محترقة. ويطلق على هذه العملية مصطلح التدخين الايجابي.

والتبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية السامة، له أوراق كبيرة وزهور جميلة ذات لون أحمر وردي يرتفع عن الأرض حوالي مترين وما يستعمل منه لصنع التبغ أوراقه فقط[1].

عناصر التبغ:

أثبتت الدراسات العلمية والاكتشافات الطبية ان للتبغ ثلاثة عناصر:

١- القطران (Tar): هي المادة الناتجة من إحتراق السجارة التي تتصاعد مع الدخان على شكل رقائق صغيرة جداً ولونها بني داكن ولها رائحة خاصة تفوح من أفواه أغلب المدخنين والمدخنات وتتراوح كميتها بين (٢٠-٣٠ ملغم) في سجارة واحدة وتزداد نسبة الضرر والخطورة على حياة المدخن كلما إزداد عدد السجائر. وكما لها آثار خطيرة على المدخن منها ما يسبب الاصابة بمرض السرطان، ومنها ما له تاثيرات مهيجة للقنوات التنفسية والرئتين ومنها ما يسبب الاصابة بمرض السرطان، ومنها ما له تاثيرات مهيجة للقنوات التنفسية التي تبدأ بالسعال وتنتهي بالأمراض المذكورة. والقطران يوصف بأنه مادة صفراء مائلة للون بني تتكثف عند

---

[1] التدخين بين المؤيدين والمعارضين للدكتور هاني عرموش، ص٩.

إحتراق التبغ.

ويقدر العلماء المختصون كمية القطران المجتمعة من إحتراق سجارة واحدة بطول (٧٠) ملم ووزن غرام واحد بحوالي (١٧-٤٠) ملغم حسب نوعية السجارة.

٢- النيكوتين (Nicotine): وهي مادة كيمياوية معقدة التركيب في حالته النقية عديم اللون شفافة ذات قوام زيتي ولها طعم حاد سريعة الدخول إلى الجسم إذ يمتصها بسرعة من خلال الغشاء المخاطي للفم والأنف والقصبات الهوائية ويصل إلى الدم بشكل كبير من خلال الحويصلات الهوائية للرئتين وينحل باللعاب لينتقل إلى المعدة ومن آثاره السيئة انه يسبب زيادة ضغط الدم وزيادة معدل ضربات القلب وزيادة ترسبات الدهون في الشرايين وبالتالي إصابة المدخن بتصلبها وبالسكتة القلبية.

ويقدر المختصون كمية النيكوتين التي يمتصها المدخن من سجارة واحدة بالحجم الاعتيادي بحوالي (١-٢٠) ملغم من المواد السامة.

٣- اوكسيد الكاربون (Carbon monoxide) وقد اثبتت الدراسات العلمية الحديثة انه أكثر خطراً على الصحة العامة من القطران والنيكوتين وانه سبب فعال في ازدياد خطر أمراض القلب كما له تأثير خطير على حياة جنين الأم المدخنة قبل الولادة[١].

التدخين السلبي (القسري):

ذكرنا معنى التدخين الايجابي الذي هو العمل المباشر من المدخن نفسه. وأما التدخين السلبي(القسري) فهو إستنشاق من لا يستعمل منتجات التبغ للدخان المنطلق من منتجات التبغ المحترقة، وللدخان الذي ينفثه مستعمل منتجات التبغ من فمه او أنفه.

ويرى المختصون أن من يدخن (٤٠) سجارة في غرفة فيها طفل رضيع، يعتبر هذا الطفل كأنه قد دخن (١٠) سجائر. والحاضرون بقرب المدخن وبوجه خاص في مكان قليل التهوية يتعرضون للخطر بنسبة ١/٤ من الخطورة التي يتعرض لها المدخن المباشر.

وتتأثر أسرة المدخن بنفس النسبة بصورة مستمرة واثبات دخول المواد الكيمياوية الموجودة في دخان منتجات التبغ في جسم المدخن السلبي جاء من خلال قياس تراكيس تلك المكونات في الدخان الذي يستنشقه دخان منتجات التبغ وكذلك قياس بعض المكونات

---

[١] د. أيمن عبدالرحمن فتاحي، التدخين بين الأطباء والفقهاء، ص٣٠.

الحيوية مثل النيكوتين وأول اوكسيد الفحم ونحوهما لمنتجات التبغ في جسم المدخن السلبي[١].

وقد أثبتت دراسات قامت بها الجمعية الطبية الأميركية أن كميات صغيرة من الدخان الذي يستنشقها غير المدخن تكون كافية احيانا للتسبب في اضطرابات قلبية وأن (٤٧) ألف أميركي من غير المدخنين يموتون سنويا من جراء استنشاقهم دخان سجائر الآخرين ويتعرض عدد كبير آخر لأزمات قلبية تؤدي إلى وفاتهم.

وهكذا أثبت العلم الحديث والعلماء المختصون أن التدخين لا يقتصر ضرره على تدمير صحة للمدخن وحده، بل يتعداه إلى غيره ممن يخالطونه ويجالسونه أو يساكنونه في المنزل أو في مكان بالاكراه أو بالقسر، يتعرضون لأنواع مختلفة من الأمراض التي يسببها التبغ.

فكم من أب مدخن كان سجارته هي السبب في اصابة أولاده بالربو[٢].

وفي دراسات أجراها معهد البحث البريطاني وشملت (٩١٠٠٠) إمرأة من غير المدخنات واللواتي يدخن أزواجهن، توصلت إلى نتيجة مذهلة وهي ارتفاع عدد الاصابات بسرطان الرئة بين هؤلاء الزوجات[٣].

وقد سمعت شخصيا من إذاعة BBC البريطانية أن إمرأة راجعت أحد الأطباء من الناحية الصحية، فقال لها: أنت مصابة بسرطان نتيجة التدخين، قالت: في حياتي لم تمس سجارة شفتي. فقال لها: هل من أهلك في البيت من يدخن؟ قالت: نعم زوجي. فقال لها: أنتي مصابة بالسرطان بسبب تدخين زوجك.

وقد افتى بعض الفقهاء المعاصرين[٤] بأن للزوجة التي يدخن زوجها أن تطلب التفريق القضائي بسبب تعرض صحتها للخطر عن طريق التدخين السلبي.

---

(١) أضرار التدخين السلبي والوقاية منها، منشورات الصحة العالمية نقلاً عن كتاب التدخين بين الأطباء والفقهاء للأستاذ أيمن عبدالرحمن الفتاحين ص١٣٩ وما يليها.

(٢) اليوم العالمي للامتناع عن التدخين- جريدة الثورة الرسمية ١٩٩٥/٥/٣١.

(٣) مجلة طبية- العدد ٢٨٤/ايلول/١٩٨١- ص٩٦ نقلا عن التدخين بين الاطباء والفقهاء- ص١٤١.

(٤) كالأستاذ الشيخ القرضاوي.

طبيعة التدخين من حيث الانفعال:

انفعال المدخن بالتدخين يبدأ كعادة ثم نتيجة الاستمرار على التدخين تصبح هذه العادة إدمانا من الصعب الاقلاع عنه، والعادة في قاموس علم النفس وضعية دائمة تتولد من التكرار والاستمرار وعندما تصبح عادة مكتسبة يستجيب لها الجسم بقوة وبدون تردد.

ويطلق لفظ (عادة habit) على الاستجابات الحركية وهي تشكل مدخلا إلى الادمان.

والادمان في قاموس علم النفس:- شهوة او رغبة عنيفة في استهلاك منتجات سامة تولد حالة من التبعية.

وقبل انغماس الفرد في ادمانه يمر بدرجات من التعود المتنامي وبحالات من الحاجة المتعاظمة في الضرورة اليها إلى أن يقع في فخ الادمان بحيث يستعصي عليه بعدئذ النهوض والابتعاد بمفرده وبغير مساعدة[1].

وبناءً على ما ذكرنا ان التدخين من حيث طبيعته يبدأ بتأثير عوامل اجتماعية كعادة فقط، غير انه بمرور الأيام يتخذ صورة الاعتياد او ما يسمى (الادمان) تحت تأثير عواطف مختلفة منها عضوية ومنها نفسية أو اجتماعية كأي نوع من أنواع الادمان الأخرى.

والتدخين قبل أن يأخذ صورة الادمان يبدأ بتقليد ثم يتدرج إلى عادة بمعنى أن عادة التدخين تبدأ بتقليد شبيه بتقليد الاطفال للكبار واستمرارية هذا التقليد تعطي تصورا على استمرارية صفة الطفولة للمدخنين ولذا بالامكان أن يقال لن المدخن مازال طفلا مهما كبر عمره يقلد غيره بدون ان يعرف النتائج السيئة للفعل الذي يقلد فيه غيره ومن غير لن يشعر بمدى الاخطار التي يمكن ان تواجهه.

---

[1] التدخين بين الاطباء والفقهاء- المرجع السابق- ص٥٥.

المبحث الثاني
التبغ... نشأته وانتشاره

أصل كلمة التبغ من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية كما يتضح ذلك من بعض الموسوعات والمعاجم وقد ورد في للموسوعة الفقهية الكويتية[1](ان التبغ لفظ اجنبي دخل العربية دون تغيير وقد أقره مجمع اللغة العربية).

وفي المعجم المنجد في اللغة والاعلام[2] ان التبغ وهو ما يعرف بالتتن أو الدخان جنس من النباتات الأميركية فيه مادة سامة مأخوذة من لفظ (تاباغو) وهو اسم جزيرة في خليج مكسيك التي نُقل منها التبغ الى خارجها من العالم ويطلق على التبغ في اللغة العربية كلمة (تتن) وهي تركية تعني الدخان.

موطن التبغ الأول:

موطن التبغ الأول هو القارة الأميركية ولكن لحد الآن لم يُعرف بالضبط تأريخ ابتداء سكان تلك القارة باستعمال التبغ للتدخين، لكن وجدت في بعض الحفريات في أميركا آثار يعود تأريخها إلى (٦٠٠) سنة قبل الميلاد حيث كان من بين آثار تلك الحفريات (غليون)[3] من الفخار لتدخين التبغ.

ومن الثابت تأريخياً أن كولومبس مكتشف القارة الأميركية ١٤٩٢م قد وجد عند نزوله إلى القارة بين سكانها ناس يدخنون التبغ بالغليون ويسمى باللغة الكوردية (سبيل).

وقد أُستُخدِم التدخين منذ القدم كوسيلة ترفيهية في الاحتفالات الدينية مع الاعتقاد بأنه وسيلة سماوية تُساعد المدخن على كشف خفايا الصدور.

---

(١) ١٠/١٠١.

(٢) ٢/٥٩.

(٣) سبيل معناه غليون.

وقد انتشرت هذه العادة في جنوب أميركا بين الهنود الحمر على أساس أن التدخين مرتبط بشعائر دينية وان استخدامه يؤدي إلى طرد الأرواح الشريرة وكانوا يستعملونه أيام الحزن حين دفن موتاهم وأيام السرور وقت اقامة حفلاتهم معتقدين انه نبات مقدس ووسيلة للشفاء والوقاية من الأمراض ويقال ان أول من استعمل التبغ في التدخين هم كهنة القبائل المتوطنة في اواسط أميركا عند اقامة الشعائر الدينية.

وفي عام ١٤٩٧م نقل الراهب (رامون بان Ramon Pane) إلى القارة الأوروبية الأخبار عن التبغ واستعماله في القارة الأميركية للتدخين.

وفي سنة ١٥١٩م جاء الرحالة (أوفيدو Ouviedo) لاول مرة بأوراق التبغ إلى أوروبا، أما بذور التبغ فلم تصل إلى القارة الاوروبية إلا عام ١٥٥٩م، ويعتقد أن أول من استعمل التبغ من الأوروبيين أحد ملاحي كولومبس حين أخذه الى البرتغال وزرعه هناك فظن الناس ان الشيطان تقمصه (لبسه) حين شاهدوا الدخان يتدفق من فمه وأنفه.

وقد قدم أحد البحارة إلى الملك شارول الخامس ملك اسبانيا هدية ثمينة كانت عبارة عن أوراق التبغ وبذوره ثم بدأ زرع التبغ في حدائق الأثرياء الأسبان لجمال أزهارها ثم انتقل التبغ إلى فرنسا عام ١٥٥٩م عن طريق (جين نيكوت Jean Nicot) فرنسي الأصل عمل في البرتغال سفيراً لبلاده ثم نُسب اليه اسم المادة (نيكوتين) وقد أرسل جان (اوجين) إلى ملكة فرنسا كاترينا[١] مسحوقاً من أوراق التبغ ونصحها باستعمال مسحوقها لشفاء وجع الرأس حيث كانت تشكو من آلام الشقيقة الحادة في رأسها(آلام نصف الرأس) وكان استعمالها للتبغ من أسباب انتشاره. وقد زرع (جين نيكوت) بذور التبغ في حديقة منزله وذلك بقصد الزينة بجمال اوراق نبتة التبغ الخضراء أو أزهارها الجميلة.

وكان عامة الناس يستعملون التبغ للشفاء عن الأمراض ثم انتقل الاستعمال إلى الاصحاء لازالة التعب والارهاق عنهم عند تدخينه وبعد ذلك انتقل التدخين إلى بريطانيا خلال عامي ١٥٨٤-١٥٨٥م ثم وصل إلى ألمانيا ثم إلى سائر أرجاء اوروبا الغربية والشرقية ومنذ أواخر القرن السادس عشر انتشر التدخين بسرعة في أوروبا الغربية والشرقية ثم تحول التبغ من النبات المقدس إلى نبات الشيطان وحرمته الكنيسة وفي عام ١٦٢٤م، وحرم البابا (أوربان) السابع التدخين على الطائفة الكاثوليكية كما أضافت الطائفة البروتستانتية إلى الوصايا العشر الوصية الحادية عشرة وهي (لا تدخن).

---

[١] في بعض المراجع كاترين.

وبعد ان ظهرت خطورة التدخين عن طريق حوادث التسمم التبغي لجأ رجال بعض الدول في القرون الوسطى إلى اصدار قوانين تحرم التدخين ومنهم القيصر الروسي (ميخائيل رومانوف) حيث اصدر أمرا بتطبيق عقوبة الجلد على كل من يُعثر عليه وهو متلبس بجريمة التدخين، كما أصدر القيصر الروسي (رومانوف) عام ١٦٤٩م قانونا حرم بمقتضاه التدخين في جميع الأوقات والأمكنة.

وفي ايطاليا فرضت الكنيسة عقوبة الاعدام على عدد من الرهبان الايطاليين يتهمهم بممارسة التدخين داخل الكنيسة.

ورغم اتخاذ تلك الوسائل الوقائية والعلاجية ظل التدخين منتشراً في انحاء العالم.

وبالنسبة للبلاد الاسلامية لم تكن هذه العادة معروفة حتى اواخر القرن العاشر الهجري (١٦٣١م) ثم أخذت العادة تنتشر بين المسلمين عن طريق اوروبا وانتقلت هذه العادة السيئة إلى مصر سنة ١٦٠٢م ثم إلى الجزيرة العربية. وهكذا أصبح الدخان جليس الرجال والنساء على حد سواء ورفيق العظماء والمفكرين والمساكين والفقراء في جميع بلاد العالم حتى أصبح مرضاً سارياً يصاب كل من يقترب منه بمرض قد لا يُرجى شفاؤه إلا بصعوبة بالغة مكلفة وفي مقدمة أمراض التدخين مرض السرطان[1].

---

[1] لمزيد من التفاصيل ينظر المراجع:- د. عبدالكريم الزعيم- التدخين وأثره ص١٥ وما يليها.

د. خليل وديع شكور: التدخين عادة سيئة يهديها الأهل للأبناء ص١٥ وما يليها، الأستاذ ايمن عبدالرحمن فتاحي- التدخين بين الأطباء والفقهاء ص١٥ وما يليها، الأستاذ هاني عرموش- التدخين بين المؤيدين والمعارضين المرجع السابق ص٩ وما يليها، نضال عيسى: الجدي في أمراض التدخين ص١٠ وما يليها.

المبحث الثالث

اسباب الانسياق إلى التدخين وطرق مكافحته

أولا: أسباب الانسياق إلى التدخين :

التدخين عادة سيئة يهديها الآباء للأبناء إما عن طريق تقليدهم لهم أو لاهمالهم وتقصيرهم في مراقبتهم ومحاسبتهم.

فالمسؤولية بالدرجة الأولى تقع على عاتق الوالدين في التربية والتوعية وللعائلة اليد الطولى في غرس الخصال الحميدة والعادات الحسنة التي تُرضي الله وتُرضي الناس.

فالاسر خلايا هيكل المجتمع اذا فسدت فسد المجتمع وعمت الرذيلة، واذا صلحت صلح المجتمع وسادت الفضيلة. ومن البدهي ان قيام الارتباط المباشر بين الأهل والأولاد يؤدي إلى تأثرهم بهم سلباً أو ايجابا.

وبعد الأسرة تأتي مسؤولية المؤسسات التعليمية في توجيه الطلاب وتحذيرهم عن النتائج الخطيرة المترتبة على التدخين.

ثم تأتي مسؤولية المنظمات المهنية والجهات الرسمية الحكومية عن التوجيه وفرض العقوبات على ممارسة عادة التدخين السيئة.

ثم مسؤولية أفراد المجتمع وعدم تنبيه بعضهم بعضاً على خطورة التدخين وعدم توجيه اللوم والنصح إلى من يدخن في الأماكن العامة ووسائل المواصلات وفي الطرق والمحلات الخاصة والعامة، لأن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موزعة على الكل، كما قال الرسول العظيم (ﷺ) (ألا كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته).[1]

ثم تأتي مسؤولية الزارعين عن تخصيص مساحات شاسعة لزرع التبغ، فالمفروض أن تُخصص تلك المساحات لبديل آخر من المزروعات ذات الفائدة للفرد والمجتمع والدولة.

---

[1] البخاري/ كتاب الأحكام ٦٧١٩، مسلم/ كتاب الإمارة ١٨٢٩

وفي نفس الوقت يجب ان لا ننسى المسؤولية الشخصية للمدخن واندفاعه إلى هذه العادة السيئة تلقائياً أو تقليداً للغير، لأن الله سبحانه ميّز الانسان من سائر الحيوانات بميزة العقل التي يجب أن تُستخدم للتمييز بين الخير والشر والنفع والضرر، ومعرفة خطورة التدخين التي تنطوي على مخاطر فردية وجمعية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية.

ويمكن لرجاع لأسباب الاندفاع إلى التدخين إلى العوامل الرئيسة الآتية:

١- تقليد الآباء أو الزملاء في البيت والمدرسة وفي حالات الاحتكاك بالغير وتقليدهم الأعمى.

٢- العامل الذاتي والشخصي ككون للدخن ذا شخصية هزيلة مضطربة وككونه مصابا بالأمراض النفسية والشعور بالنقص وتعويض ذلك بممارسة عادة التدخين.

٣- زعم ان التدخين حلاّل المشاكل ووسيلة لهزيمة الهموم وتخفيف الآلام واستجلاب الفرح والراحة القلبية.

٤- زعم ان التدخين وسيلة لازالة الأتعاب، لذا نجد ان كل من يمارس عملا يمارس التدخين في ساعات الفرص، بزعم كونه سبب استرجاع الراحة القلبية والبدنية.

٥- حب الظهور أمام الغير وابراز شخصيته الوهمية أمام الناس عن طريق التدخين.

٦- فشل للدخن في عمله وفي دراسته وتغطية هذا الفشل بالتدخين.

ونستنتج من هذه الأسباب وغيرها ان التدخين قبل تحوله من العادة إلى الادمان يمر بالمراحل الآتية:-

أ- مرحلة الطفولة المبكرة:- في هذه المرحلة يُقلد المدخن أعمال وسلوك من هو أكثر الناس التصاقا به ولاسيما أحد والديه للدمن على التدخين والذي هو مثله الأعلى يحاول محاكاته والتشبه به.

ب- مرحلة الطفولة للتأخرة:- وفيها يُقلد أعمال وسلوك أكثر الناس اتصالا واختلاطا به كأقاربه من غير والديه او أصدقائه للقريين له.

ج- مرحلة المراهقة:- وهي مرحلة بداية الرجولة مع التغيرات البيولوجية والفسيولوجية في جسمه، فيحاول أن يثبت وجوده وكيانه بالتوجه إلى عادة التدخين متحدياً كل من يقف في طريقه. وقد يكون الدافع منافسة زملائه في لفت الانظار اليه.

د- مرحلة الشباب:- ففيها يأخذ المدخن طابعاً متعالياً وبوجه خاص عند التلاقي بزملائه.

هـ- مرحلة العمل والوظيفة:- وقد يكون التدخين أثناء العمل الوظيفي تغطيه لفشله في أداء عمله أو تهدئته لخاطر وجداني حسب زعمه[١].

فعندما كنت طالباً في كلية القانون جامعة بغداد ١٩٦٠-١٩٦٥ لاحظت أن بعضا من زملائي الطلبة ممن كانوا ضعفاء في الدراسة يدخنون أثناء الامتحان بكثرة مفرطة زاعمين أن التدخين هو الذي يُعيد المعلومات إلى ذاكرتهم.

ثانياً:- طرق الاقلاع عن التدخين ومكافحته:

الطرق التي نتناولها في هذا المجال تختلف كما وكيفاً، فمنها توجيهية ووقائية، ومنها شخصية ومنها جماعية، كما في الايضاح الآتي:-

١- استعمال الوالدين صلاحيتهما الأدبية والمادية لمنع أولادهما مبكراً من ممارسة هذه العادة السيئة، واذا كان كلاهما أو احدهما من المدخنين، فعليهما الاقلاع عن التدخين فوراً حتى لا يؤثر ذلك على الأولاد عن طريق التقليد الأعمى، وقد قيل قديما وحديثاً: اذا كان رب البيت بالدف ناقرا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

٢- استعمال المعلمين والمدرسين والاساتذة كافة صلاحياتهم المادية والمعنوية لمنع الطلاب من التدخين داخل وخارج المؤسسات التعلمية وعقاب الطالب الذي يأبى ان يكف عن التدخين بعقاب تنقيص درجته، لان دور المعلم لا يقتصر على التعليم وحده وانما يجب عليه بالاضافة إلى ذلك التربية والتوجيه والتوعية، فالتعلم وحده لا يكفي إذا لم يقترن بالتحلي بالقيم والاخلاق والابتعاد عن كل رذيلة.

٣- على الدولة منع التدخين في الدوائر والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية وتشريع قانون حظر التدخين في الدوائر وفي وسائل النقل والمواصلات البرية والبحرية والجوية وتحديد عقوبة للمخالف يزداد حجمها بتكرار ممارسة التدخين. وجدير بالذكر أن هناك قانونا شُرّع في اقليم كوردستان العراق لمنع التدخين ولم يترتب على تشريع هذا القانون أي أثر إيجابي بالنسبة للفرد والمجتمع، لأنه قانون هزيل يجب إعادة النظر فيه وتبديله بقانون أفضل، بحيث يكون له أثر إيجابي في منع هذه الظاهرة الخطيرة.

٤- على الائمة والخطباء الاستمرار على النصح والتوجيه والتحذير للابتعاد عن التدخين والاقلاع عنه والافتاء بتحريمه في الشريعة الاسلامية وتخصيص جزء من

---

[١] الاستاذ محمد كامل عبدالصمد/ المدخن مازال طفلاً/ ص١٤ وما يليها.

الخطبة في كل جمعة لبيان اضرار التدخين من الناحية الاخلاقية والصحية والاجتماعية، كما يجب على المفتي الافتاء بتحريمه وتعزيز هذا الافتاء بالأدلة النقلية والعقلية.

٥- قيام الأطباء بتوجيه مرضاهم وتحذيرهم من ممارسة عادة التدخين وشرح الاضرار الصحية وخطورته على المريض المدخن وافهام المريض بانه سوف تترتب مضاعفات خطيرة على التدخين اذا استمر عليه. كما يجب نشر المقالات والابحاث الطبية في المجلات والجرائد والمؤلفات بحيث تتناول هذه الوسائل الاعلامية شرح وايضاح ما يترتب على التدخين من الأخطار والنتائج السلبية. كما يجب فتح العيادات الخاصة لمساعدة المدمنين على التوقف عن التدخين، بالاضافة إلى استعمال اللقاح الخاص بدفع المدخن إلى الاقلاع عن التدخين، وقد اكتُشف حديثا هذا اللقاح وأمل الكل وطيد بأن ينتشر في العالم ويكون في متناول اليد بسهولة الاستعمال له ضد التدخين.

٦- عقد ندوات تثقيفية يشارك فيها الاطباء والمختصون في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأخلاق والقاء الأبحاث والمحاضرات لتوضيح أخطار التدخين ونتائجه السلبية صحياً واقتصادياً واجتماعياً واستخدام وسائل الاعلام المرئية كالتلفاز وعرض صور الامراض التي يصاب بها المدخن كصورة آثار مرض السرطان وغيره. والوسائل المقروءة كالجرائد والمجلات والمؤلفات لشرح النتائج السلبية الخطيرة للتدخين. وكذلك استخدام الوسائل المسموعة كالمحاضرات والتوجيهات والارشادات الاذاعية.

٧- الجهود الشخصية من المدخن نفسه للاقلاع عن التدخين كاستعمال قوة ارادته واستخدام الوسائل التي تساعده على ترك التدخين بصورة نهائية أو تدريجية. وعلى المدخن أن يستمر على قراءة المراجع والمصادر التي تتناول اضرار التدخين. وأن يتناول ما يُعوض عن التدخين كأكل الجرزات والحبوب واستعمال للمسابيح ونحو ذلك كلما شعر بميله إلى التدخين. وان يستخدم عقله وتفكيره في ان أغلى ما يملكه الانسان هو صحته، لانه لا لذة للحياة وملذاتها حالة غياب الصحة وبوجه خاص ان الأمراض الناشئة عن ممارسة التدخين هي من الأمراض المستعصية من حيث الشفاء والمكلفة من حيث العلاج.

٨- تخصيص يوم للاحتفال بيوم (مكافحة التدخين) اسوة بالعالم المتقدم، ونشر البوسترات والصور وتوزيعها على كافة الشوارع والطرق وداخل المؤسسات وخارجها،

لكي يأخذ المدخن من تلك الوسائل والذكريات عبرة تدفعه إلى الاقلاع عن التدخين، وتوزيع الجوائز والهدايا الحافزة على من ثبت اقلاعه عن التدخين.

الفصل الثاني

اضرار التدخين الاقتصادية والاجتماعية والسلبية

وتوزع دراسة هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

يخصص الاول لاضرار التدخين الاقتصادية.

والثاني لاضرار التدخين الاجتماعية.

والثالث لاضرار التدخين السلبي.

المبحث الأول
اضرار التدخين الاقتصادية

هناك الكثير من الاضرار الاقتصادية التي يسببها التدخين سواء اكان ذلك على مستوى الافراد أم على المستوى الجماعي والدولي كما في الايضاح الآتي:-

أولاً: أضرار التدخين الاقتصادية على المستوى الفردي (الشخصي):-

من البدهي ان المدخن من ذوي الدخل المتواضع ينفق غالبا ٢٥٪ من دخله الصافي على شراء السكاير ويقطع هذا المبلغ من قوت زوجته واولاده وغيرهم ممن تجب عليه نفقته، والاولى والأليق بمثل هذا الشخص ان ينفق تلك المبالغ على شراء الاغذية والالبسة وغيرها من متطلبات الحياة الاسرية الاخرى لان المدخن بتصرفه هذا يحرم اسرته من جزء لا يُستهان به من مكسبه خلال سنوات عمره واستمراره على التدخين.

كما ان وفاته المبكر بسبب التدخين يضر بورثته ويحرمهم من المعيل والمربي لان العلماء المختصين في التحليلات والاستنتاجات والاكتشافات العلمية اثبتوا ان كل من يستمر على التدخين يقل عمره من غير المدخن بما لا يقل عن عشر سنوات.

ثم ان التدخين قد يجعل المدخن عاجزا عن الكسب وتأمين معيشة من تجب عليه نفقته، بالاضافة الى ذلك فانه ينفق المبالغ الباهظة على علاج مرضه الذي اصيب به بسبب التدخين كالسرطان، وبذلك يحرم اسرته من جزء كبير من مكسبه ومورده.

ثانيا: الاضرار الاقتصادية على مستوى الدولة

أما بالنسبة لاضرار الاقتصادية للدولة بسبب التدخين فهي تتمثل عادة بالمشكلات الاقتصادية الناجمة من التكلفة التي يمكن ان تتحملها الدولة لمواجهة الامراض الصحية المترتبة على التدخين في المستشفيات وفي استيراد الادوية الغالية وبوجه خاص الادوية الخاصة بعلاج الامراض الناتجة من التدخين وفي مقدمتها مرض السرطان بانواعه المختلفة، هذا

بالاضافة الى نقص الانتاج الكلي الناتج عن الاعاقات الصحية التي يسببها التدخين، الأمر الذي يؤدي الى تعطيل كثير من المصابين عن القيام بمهامهم الوظيفية، وقد يؤدي التدخين الى وفاة رب الاسرة فحينئذ تقع مسؤولية الانفاق على افراد هذه الاسرة على عاتق الدولة، اذا لم يترك الشخص المتوفى من يحل محله في تأمين معيشة هذه الاسرة، فالدولة مضطرة في هذه الحالة الى دفع نفقات كافية للاسرة على اساس الضمان الاجتماعي.

وغالبا تكون الشريحة المثقفة في الدول النامية هي التي تستهلك التبغ، الأمر الذي قد يؤدي الى فقدان هذه الشريحة وبذلك تنقص الكفاءات العلمية وتغيب العقول المنتجة بالموت المبكر نتيجة التدخين، وبالتالي تخسر الدولة الخدمات التي كان هؤلاء المختصون يقدمونها لبلدهم، فيضر ذلك بالاقتصاد الوطني ويقلل من الدخل القومي. ثم ان بعض البلاد تستغل مساحات واسعة من الاراضي الزراعية لزراعة التبغ بدلا من استغلالها لزراعة المحاصيل الزراعية الضرورية في مجال تأمين للمواد الغذائية الضرورية، فعلى الدولة ان تضع حدا لظاهرة زرع التبغ لتسخير تلك الاراضي لمصادر المعيشة الضرورية كالحنطة والارز والشعير ونحو ذلك.

لان تكثير زرع التبغ وتقليل زرع للمزروعات الضرورية تجعل الدولة مضطرة الى استيراد تلك المواد الضرورية من الخارج. ومن البدهي ان هذا الاستيراد يكلف الدولة نفقات باهظة من اجل سد حاجات المواطنين الضرورية.

ثم ان تدخين السكائر قد يسبب نشوب الحرائق عن طريق رمي البقية الباقية من السكارة في مواقع قد يؤدي الى نشوب الحريق، فهذا الحريق بالاضافة الى انفاق اطفائه فانه قد يؤدي الى اضرار مادية كبيرة كتدمير الابنية واحراق الاشجار والمزارع والمراعي ونحو ذلك من الخسارة في الارواح.

ثم ان التدخين قد يؤدي الى تكوين الاوساخ والفضلات التي يتركها المدخن من وراء تدخينه ويلوث الشوارع والمحلات العامة، فتحتاج الى نفقات في سبيل تنظيفها وازالة تلك الاثار.

المبحث الثاني
اضرار التدخين الاجتماعية

١- قلما يصادف ان يدخن المدخن بمعزل عن الناس، لأنه غالبا يدخن في حالات الاختلاط بالغير والتقارب معهم من افراد اسرته او ممن يجتمع معه اثناء العمل او مع الركاب في وسائل المواصلات او في اي مكان اخر يحصل فيه الاحتكاك بينه وبينهم، ففي هذه الحالات يزعج المدخن الناس وبوجه خاص اذا كان هذا الغير يكره التدخين او يكون مصابا بمرض يُضره التدخين كمرض القلب او الربو.

٢- غالبا يسكت جليس المدخن او القريب منه عن توجيه الانتقادات الى المدخن او توجيه نصح له بأن يؤجل التدخين لوقت آخر، فهذا الغير يبقى في وضع اجتماعي مزعج ينتظر وقت الافتراق من المدخن او انتهائه من تناول سكارته.

٣- احيانا المدخن يكون ضيفا لدى الطرف الآخر، فمن الصعب توجيه اللوم اليه او منعه من التدخين من قبل صاحب البيت، فتناوله للسكائر في غرفة الضيوف يلوث هواء الغرفة ويجعل صاحب البيت في موقف حرج مترددا بين الصراحة وبين كتمان ما يقلقه من استمرار ممارسة هذا الضيف للتدخين.

٤- كل تدخين مباشر بقرب الغير يؤدي الى حدوث التدخين السلبي فيتأذى جليس المدخن او القريب منه بربع اذى المدخن نفسه، وقد اثبت العلماء ذلك في الدراسات العلمية. وفي مثل هذه الحالات لا يقتصر ضرر التدخين المباشر على المدخن ذاته بل يستنشق جليسه الدخان عن طريق الهواء بعد ان يزداد تلوثا بسبب دخوله في فم المدخن، ثم اخراجه عن طريق الفم او الانف.

٥- قد يكون المصاب مصابا بمرض سار معروف لدى جليسه الذي يعيش قلقا معه خشية انتقال هذا المرض اليه عن طريق استنشاق هواء الدخان الذي يخرج من فمه وانفه.

٦- غالبا يكون المدخن احد افراد أسرته فيؤذيهم ليلا ونهارا من غير ان يستطيع احد من افراد الاسرة ان يلف في طريق تناوله سكارة تلو اخرى، وبوجه خاص اذا كان المدخن ابا او رئيسا للعائلة، فعندئذ يكون انزعاج الاسرة واضطراب راحتهم امرا مستمرا مفروضا عليهم رغم ارادتهم لا حول لهم ولا قوة في مقاومة تلك الظاهرة الكريهة وتلك العادة السيئة المضرة صحيا واجتماعيا واقتصاديا.

٧- اذا انفرد احد الزوجين بالتدخين دون الآخر، فان تأثير التدخين في هذه الصورة مصيبة لا تتحمل، لأن الزوج المدخن لا يفارق زوجه الآخر غير المدخن ليلا ونهاراً، فيبقى متأذياً من الرائحة الكريهة التي تأتي من فم الزوج المدخن، الأمر الذي يدفع هذا الزوج الى ممارسة التدخين حتى يتساويا في الرائحة الكريهة الناتجة عن التدخين ويتحمل كل منهما أذى الآخر بسبب ممارسة هذه العادة السيئة.

اضف الى ذلك ان الزوج غير المدخن قد يتعرض لنفس الامراض التي يصاب بها الزوج المدخن بسبب ممارسة عملية التدخين.

٨- الرائحة الكريهة التي تخرج من فم المدخن وتنتشر حوله لا تُزعج افراد اسرته فحسب، وانما يتأذى منها كل من يقترب منه وبوجه خاص في حالات المعانقة أو المصافحة، بل يتأذى منها كل من يمر بقربه.

٩- كراهية رائحة التدخين أشد كرها ونفرة وأقوى تأثيرا في الاذى من رائحة الثوم او البصل الذي يأكله الانسان، وقد منع الرسول العظيم (ﷺ) دخول من آكل الثوم أو البصل في الجامع لاقامة الصلاة وأمر بانعزالهم مادام اثر الرائحة باقيا، فقال (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا وليعتزل مساجدنا وليقعد في بيته)[1].

١٠- خطورة التدخين على جليس المدخن وعلى كل من يلتقي به في مكان واحد أو منزل واحد تكون اشد وأكثر خطورة اذا كان المكان أو المنزل مغلقا لا يوجد هناك منفذ لدخول الهواء الصافي، كما في حالات اللقاء والاجتماع في بيت واحد او سيارة او طيارة او نحو ذلك في موسم الشتاء، حيث لا يوجد هناك منفذ لدخول الهواء الصافي النظيف ولاستمرارية خروج دخان السكارة الملوثة.

---

[1] البخاري/ كتاب الأطعمة ٥١٣٧ ، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥٦٤.

١١- التأثر بالوضع الاجتماعي قد يشجع على التدخين في بعض البلاد كما في الدول الغربية، فالوضع الاجتماعي في هذه البلاد يشجع المرأة على التدخين معتبرة ان ذلك من مظاهر تحررها وتطورها، بينما الوضع الاجتماعي في مجتمع آخر كالسعودية مثلا يعتبر التدخين بالنسبة للمرأة مشينا ومثيرا للاشمئزاز.

١٢- الوضع الاجتماعي بين الزوجين قد يدفع احد الزوجين غير المدخن الى ان يمارس التدخين كما ذكرنا، رفعا للحالة النفسية التي يعيش فيها الزوج غير المدخن من انزعاج الرائحة الكريهة التي تأتي من الزوج المدخن.

المبحث الثالث

اضرار التدخين السلبي

التدخين السلبي هو استنشاق من لا يستعمل منتجات التبغ من فمه او انفه، ويسمى التدخين القسري والتدخين بالاكراه ايضا، وفيما يلي نماذج من اضرار التدخين السلبي:

١- أثبتت التجارب العلمية أن من يدخن في غرفة أربعين سيكارة وفيها طفل رضيع، يُعتبر هذا الطفل مدخنا لعشر السكاير. لذا من الضروري عدم التدخين في الاجواء المغلقة وخاصة في غرف النوم وغرف الأولاد وكذا في وسائل المواصلات وبوجه خاص في أوقات الشتاء وشدة البرودة حين تكون النوافذ مغلقة والأبواب مسدودة خشية البرد.

٢- اثبات دخول المواد الكيمياوية الموجودة في دخان منتجات التبغ الى داخل جسم المدخن السلبي، حيث ان هذه التراكيس أكبر بكثير من تراكيسها في الهواء الخالي من منتجات التبغ.

٣- قياس بعض المكونات الحيوية مثل النيكوتين وأول أوكسيد الفحم وغيرها لمنتجات التبغ في جسم للمدخن السلبي، حيث ان تراكيس النيكوتين في دم المدخن السلبي وبوله ولعابه أكبر بكثير من تراكيسها في دم وبول ولعاب الذين لا يدخنون، لا مباشرة ولا عن طريق الاستنشاق، أي لا يتعرضون لدخان منتجات التبغ المنبعث من المدخنين[1].

٤- تعيش الأسرة في بوتقة واحدة فأي تصرف يصدر عن عضو من أعضاء أسرة واحدة في مكان واحد يؤثر على سائر الأعضاء (الافراد) سلبا أو ايجابا، ولذا يجب ان

---

[1] أضرار التدخين السلبي والوقاية منها- منشورات منظمة الصحة العالمية- أيار- ٢٠٠١م.

يتجنب كل عضو من افراد الاسرة عن ممارسة التدخين حتى لا يتعرض غيره للنتائج السلبية للتدخين المباشر عن طريق التدخين السلبـي.

٥- لقد أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية ان التدخين القسري (السلبـي) يضر بصحة غير المدخنين الذين يمكثون في أماكن ملوثة بدخان السكاير، لان هذا الدخان يحتوي على عدد من المركبات الكيمياوية والغازات السامة المؤذية[1].
وقد وصل الباحثون المختصون في جامعة هارفارد الامريكية في دراسة استمرت عشر سنوات وشملت هذه الدراسة (٣٢) ألف سيدة غير مدخنة، ان التدخين السلبـي أشد خطرا مما كان متوقعا من قبل العلماء المتخصصين في التجارب السابقة، لان نتيجة تلك الدراسات هي ان النساء اللاتي شملتهن الدراسة وتراوحت اعمارهن بين (٣٦-٦١) عاما تعرضن لما وصل الى (١٥٢) أزمة قلبية كان من بينها (٢٥) أزمة قاتلة وهذا يعني أن خمسين ألف أميركي آنذاك كانوا يموتون سنويا بسبب تأثير الدخان السلبـي[2].

٦- أثبتت التجارب العلمية ان نسبة احتمال حدوث سرطانات الرئة تزيد على ٣٠٪ لدى غير المدخنين نتيجة التدخين السلبـي.

٧- أشارت دراسات قامت بها الجمعية الطبية الاميركية إلى ان كميات صغيرة من الدخان الذي يستنشقها المدخن السلبـي تكون كافية أحيانا لان تؤدي الى حدوث الاضطرابات القلبية وتعرض عدد كبير آخر لأزمات قلبية غير مميتة[3].

٨- أثر التدخين السلبـي على من يصاحب المدخن.. لا يقتصر ضرر التدخين على تدمير صحة المدخن وحده، بل يتجاوزه إلى غيره ممن يخالطونه أو يجالسونه أو يساكنونه في منزل واحد أو في مكان العمل أو في وسائل المواصلات، ويسمون هؤلاء للمدخنين بالاكراه والقسر وهم يتعرضون لانواع مختلفة من أمراض يسببها تدخين التبغ.

---

(١) زهير السباعي، طب المجتمع، ص١٣٥.

(٢) جريدة تشرين السورية، في ١٩٩٧/٥/٢٢.

(٣) المرجع السابق، ١٩٩٥/٤/١٢. نقلا عن ايمن عبدالرحمن فتاحي، التدخين بين الاطباء والفقهاء، ص١٤٠.

فكم من أب مدخن كانت سيكارته هي السبب الرئيس في اصابة أولاده بالربو أو سرطان الرئة أو غيرهما من أمراض التدخين[١].

٩- أثر التدخين السلبي على الزوجات غير المدخنات.. ان النساء المتزوجات غير المدخنات يصبن أكثر من غيرهن إذا كن متزوجات برجال مدخنين بسبب التدخين السلبي، وقد أكدت دراسات نشرتها الجمعية الأميركية لأمراض السرطان ان النساء غير المدخنات المتزوجات من المدخنين معرضات أكثر من غيرهن بنسبة ٢٠٪ للاصابة بسرطان الرئة.
كما ان دراسة معهد البحث الوطني البريطاني وقد شملت احدى وتسعين ألف امرأة من غير المدخنات اللواتي يدخن أزواجهن، توصلت (أي هذه الدراسة) إلى نتيجة مذهلة وهي ارتفاع عدد الاصابات بسرطان الرئة بين هؤلاء الزوجات، كما ثبت ايضا انه كلما ازداد عدد السكاير التي يدخنها الزوج ازدادت احتمالات اصابة زوجته بسرطان الرئة[٢].

١٠- أثر التدخين السلبي على الأطفال: يترتب على تعاطي أحد الأبوين أو كليهما للسكائر آثار خطيرة منها التلوث الفضائي المنزلي لاسرة واحدة الذي يؤثر على الأولاد وبوجه خاص الطفل الرضيع وعلى سائر الأطفال الصغار الذين يقضون معظم ساعاتهم اليومية في منزل واحد، ويكون هذا التأثير السلبي أكثر خطورة في فصل الشتاء حين يكون الاجتماع في الغرف المغلقة حيث تصل مرحلة تأثير دخان السكائر على الأطفال إلى درجة كأنهم يدخنون ثلاثة سكائر يومياً، هذا اذا لم يكن المدخن أحد الوالدين، والا ستكون نسبة العدد أكثر من ذلك بسبب التدخين السلبي[٣].

---

[١] الدكتور حسين الجزراوي/ اليوم العالمي للامتناع عن التدخين، جريدة الثورة الرسمية، ١٩٩٥/٥/٣. نقلاً عن المرجع السابق.

[٢] مجلة طبيبك/ العدد ٢٨٤ ايلول/١٩٨١/ص٩١/ نقلا عن المرجع السابق/ ايمن عبدالرحمن فتاحي.

[٣] وزارة الصحة السورية/ التدخين أو الصحة مجموعة محاضرات القيت في الندوة الوطنية حول التدخين في الجمهورية العربية السورية ١٩٩٦.

كما أثبتت الدراسات العلمية ان حوالي خمسة وعشرين ألـف طفـل يموتـوت سـنويا بسبب تدخين ابويهم أو احدهما، كما ان تدخين الأبوين يؤدي إلى انخفاض وزن أولادهم عند الولادة بمقدار ٢٠٠غم وإلى ضعف مناعتهم ضد الأمـراض إذا كانـت الأم هـي المدخنة.

١١- أثر تدخين السلبـي على الجنين: للتدخين أضرار خاصة بالسيدات الحوامل اذ يـؤدي الى نقص نمو جنين الحامل المدخنـة ونقـص وزنـه، كمـا يعرضـه تـدخين الام للعيـوب والتشوهات الخلقية.

وترتفع نسبة الوفاة في اجنة المدخنات قبل الولادة أو اثنائها بمقـدار ٢٨٪ عنهـا في اجنة غير المدخنات، لأن اضرار التدخين تنتقل من دم الأم الى الجنين عن طريق الحبـل السري ويمتد هذا التأثير الى ما بعد الولادة.

وقد ثبت ان النسـاء المدخنات بصورة منتظمة خلال الحمل يلدن اطفـالا تقـل أوزانهـم بحوالي نصف باوند عن الطبيعيين، وان هؤلاء النسوة يكنّ عرضة لفقـدان اطفـالهن بنسبة مرتين عن طريق الاسقاط أو وفاة الجنين خلال الاسـابيع الأولى مـن حياتـه[١] وولادته قبل اكمال نموه الطبيعي.

---

(١) التدخين/ الدكتور صباح ناصر العلوه جي/ص٢٢.

الفصل الثالث

تأثير التدخين على الجهاز العصبي والهضمي والتنفسي

وتوزع دراسة هذا العنوان من الناحية الشكلية على ثلاثة مباحث:

يخصص الأول لتأثير التدخين على الجهاز العصبي.

والثاني لتأثيره على الجهاز الهضمي.

والثالث لتأثيره على الجهاز التنفسي.

المبحث الأول
تأثير التدخين على الجهاز العصبي

من المعروف ان الجهاز العصبـي اكثر اجهزة جسم الانسان مـن حيـث التـأثر والحساسـية بسبب ممارسة التدخين. كما ان من الواضح ان الجهاز العصبـي هو الجهـاز الوحيـد المسـيطر والمنظم لجميع أجهزة الجسم الأخرى.

ويقتضي هذه الطبيعة للجهاز العصبـي اذا تأثر هذا الجهاز بشيء خارجي سلبا أو ايجابا تتسمم سائر الاجهزة الجسمية بنفس التأثر. ويترتب علـى هـذه الظـاهرة الطبيعيـة النتـائج الاتية:

١- اذا تسمم جسم المدخن بمركبات دخان التبغ، يشعر المدخن تلقائيا بالدوخـة والارهـاق الذهني والتوتر العصبـي والصداع وعدم التركيز نتيجة تقلص الاوعيـة الدمويـة في الدماغ بسبب نقص كمية أوكسجين والدم الضروري للدماغ وهذا عندما يبدأ الجسـم بعملية التخلص من النيكوتين الآتي من التدخين.
وهذه الظاهرة العصبية بدلا من ان تدفع المدخن الى الاقلاع عن التـدخين او التقليـل منه، تشجعه على اشعال سكارة ثانية وثالثة وهكذا زاعما ان الاثار المذكورة الاتيـة من التدخين لا تزول الا بالتدخين، فيبقى غارقا في مستنقع الجهل المركب[١].

٢- ان النيكوتين يُعد علميا وواقعيا عنصرا رئيسا من عناصر التبغ ودخانه، ولذا يُعد أقوى مؤثر على أعصاب السمع والبصر والتذوق مـن حيـث اضـعاف هـذه الحـواس والتقليل من قوتها وادراكها.
ومن المعروف ان المدخنين لا يحبون الحلويات ولا يتلذذون بلذتها وذلك بسـبب ضـعف حاسة الذوق في اللسان الناتج عن تأثير النيكوتين المباشر على اللسان[١].

---

[١] الجهل المركب يتكون من جهلين احدهما الجهل بالواقع والثاني الجهل بانه يجهل الواقع.

٣- ثبت علميا ان الدخان المتصاعد اثناء التدخين يؤثر على أغشية العين الخارجية الحساسة وبالتالي يؤدي الى حدوث تهيج والتهابات وبوجه خاص اذا كان مكان التدخين مغلقا غير جيد من حيث التهوية، ثم ان الافراط في التدخين يؤثر على بعض الخلايا الشبكية والياف العصب البصري فيؤدي الى الاصابة بمرض (أمبوليا التبغ) وهو عبارة عن ضعف في قوة الابصار الناتج عن التسمم بمواد ضارة موجودة في التبغ المحترق، والعلاج الوحيد للشفاء من هذا المرض هو الاقلاع عن التدخين بصورة نهائية[٢].

٤- النيكوتين يهاجم أول ما يهاجمه من أعضاء الجسم البشري الجهاز العصبي وبوجه خاص الجهاز العصبي الذي لا سلطان لارادة الانسان عليه الذي يسمى الجهاز العصبي الودي أو (السمباتي) وهو الذي يعصب أعضاء الجسم الداخلية كلها بما فيها الأوعية الدموية وغدد الهرمونات (الصماء). وجدير بالذكر ان فروع هذا العصب تخرج من الدماغ لتصل الى محولات على جانب العمود الفقري الذي تسمى العقد العصبية السمباتية.
ومنها تنتشر فروع الاعصاب على جميع الأعضاء الداخلية كما ذكرنا ويتبع هذا عصب آخر يخرج من الدماغ ولا يمر بالعقد السمباتية.
والجهاز العصبي السمباتي يدير أعمال الاحشاء كلها بما فيها القلب والشرايين والغدد[٣].
أما تأثر الجهاز العصبي بالتدخين فان مردوده السلبي يكون على هذه الاعضاء والاجهزة.

٥- ان ضرر النيكوتين لا يقتصر في الجهاز العصبي على العقد السمباتية فحسب، وانما يشمل ايضا جميع الأعضاء والدماغ بوجه خاص على الشرايين المغذية للدماغ، لانه يحدث فيها تشنجا فتضيق وتقل كمية الدم في داخلها ويصاب الدماغ نتيجة ذلك

---

[١] ينظر محمد كامل عبدالصمد/ المدخن مازال طفلا/ص٣٩.
[٢] المرجع السابق/ص٥١.
[٣] ينظر د. عبدالكريم الزعيم/ التدخين وأثره على الصحة العامة/ص٦٥ وما يليها.

بضعف عام في طاقته وقد يبلغ هذا التضيق في الاوعية الدموية درجة الانسداد التام وتوقف الدورة الدموية فيها لبرهة وجيزة فيفقد المصاب خلالها وعيه. ومن الواضح ان هذه الحالة تعد خطرا جسيما على من يكون اثناء ممارسة العمل فيفقد الوعي الفجائي كعمال المعامل والمصانع ممن يعمل على الآلات الميكانيكية وكسائق السيارات.

٦- تأثير النيكوتين المستمر على الدماغ:- نتيجة الادمان في التدخين كثيها ما يسبب الصداع والدوار واضطراب الذاكرة وحاسة النظر والارق وتحطيم قوى الجسم العامة.

٧- استمرار النيكوتين في جسم المدخن يزيد من اعراض (النورستانيا) وتدفع المدخن الى ارتكاب الجرائم حيث يهيج اعصابه هذا اذا كان المدخن من الاشخاص الذين لهم الاستعداد الجرمي أو السوابق الجرمية.

٨- استمرار النيكوتين في جسم المدخن يؤدي الى التشنج المستمر في شرايين الدماغ بتأثير التسمم المدمن بالنيكوتين وبالتالي يحدث الانفجار في الدماغ اذا كانت تلك الشرايين مصابة بالتصلب أو بارتفاع الضغط مما يؤدي الى الاصابة بالسبات الدماغي وبوجه خاص تزداد هذه الخطورة على المدخنين المسنين.

٩- أثر النيكوتين على النخاع الشوكي: في النخاع الشوكي تتم عملية الانعكاس العصبي والتسمم المدمن بالنيكوتين، وهذه الوضعية اما تزيد في اثارة الاعصاب او تنقصها وكلتا الحالتين تفسد دقة عمل تلك الاعصاب وبالتالي تضطرب عمليات سير الانسان على الاقدام وعملية تفريغ للمثانة (التبول).

١٠- الالتهاب في العصب الوركي:- ان بعض الاعصاب بسبب تسمم المدخن بالنيكوتين تصاب بالتهابات مؤذية ومؤلمة الى حد بعيد كالالتهاب في العصب الوركي (الذي سمى في اللهجة العامية (عرق النسا))[1].

---

(١) المرجع السابق/ ص٦٥ وما يليها.

١١- أثر التدخين على السلوك المتزن:- الجهاز العصبي مركز تلقي الاشارات وادارة السلوك ومنظم عملية الاتصال والتفاعل، لذا من الطبيعي ان يكون سلوك الانسان موزونا بقدر سلامة هذا الجهاز، والتدخين يخل بسلامة الوظيفة الموكلة الى الجهاز العصبي ويخل ايضا بوظائف الانسان العليا المتعلقة بالذكاء والتفكير والانتباه والحفظ.

وقد أثبتت التجارب العلمية الامريكية التي أجريت على طلاب المدارس والجامعات ان المدخنين أقل ذكاء ممن لا يدخنون وان ذاكرتهم أضعف ومقدرتهم على الحفظ أقل والسر في هذا التفاوت هو تأثر اعصاب المدخن باضرار التدخين.

١٢- أثر التدخين في اضعاف ممارسة المهارات:- اثبتت التجارب العلمية ان تأثر الجهاز العصبي بالنيكوتين يؤدي الى الرجفان وعدم الثبات اللذين يعيقان ممارسة بعض المهارات.

وقد دلت الاختبارات التي أجريت في كلية جورج وليمز على ان الرجفان يزداد ١٠٠٪ بعد تدخين سكارتين[1].

١٣- النيكوتين الموجودة في الدخان يؤثر على الألياف العصبية والدموية بشبكية العينين مما يؤدي الى اضرار متزايدة بالرؤية بالاضافة الى تهيج العين وزيادة معدلات الاصابة بأمراض الحساسية.

---

[1] المرجع الاسبق/ ص٧٩ وما يليها بحث منشور على شبكة الانترنيت على الموقع www.98sweet.91h.h.net

المبحث الثاني
تأثير التدخين على الجهاز الهضمي

للتدخين علاقة وثيقة مع جهاز الهضم وغالبا يصاب المدخن بنقص الشهية للطعام كما يصاب باسهالات خطيرة أو بامساك شديد او باضطرابات هضمية أخرى أو نحو ذلك كما يتبين في الايضاح الآتي:-

١- اثر التدخين على ضعف مقدرة جهاز الهضم:- التدخين يكون سببا لحدوث أمراض مزمنة في جهاز الهضم واضطراب الوظيفة الافرازية للغدد الهاضمة واضطراب الوظيفة الحركية للمعدة، فتتأثر سلبيا وتخفف افرازاتها بشكل عام ثم تصاب المعدة بالوهن والضعف وعدم المقدرة على هضم الطعام كما هو المطلوب، الأمر الذي يعرض المدخن لنقص مقدرته على الهضم عموما أو يصاب بمشاكل واضطرابات هضمية عديدة.

٢- التدخين يسبب اصابة المعدة بالقرحة:- وقد أثبتت الاحصائيات الأميركية ان ٧٨٪ من المصابين بالقرحة هم الأشخاص المدخنون وان حالة المصابين بالقرحة من المدخنين اسوأ بكثير من المصابين من غير المدخنين.

٣- تأثير التدخين على وظيفة الكبد:- من المعروف ان للكبد وظائف مهمة جدا في الانسان، وسلامته في عمله وهي ضرورية لاستمرارية الحياة السليمة في الانسان.
ومن وظائف الكبد طرح بعض السموم من الجسم حيث يفرزها من الدم ويلقي بها في جهاز الهضم.
والنيكوتين الذي يدخل في الدم عن طريق التدخين مصدر فعال للسموم التي تخرب جسم الانسان ويتولى الكبد وظيفة طرح بعض من هذه السموم الى خارج الجسم، لكن استمرار عمل التدخين يعرض خلايا الكبد في نهاية المطاف الى اصابته بامراض

متعددة منها مرض الضمور الكبدي الذي يضعف مقدرته على العمل وفي النتيجة يكون المردود السلبي لهذا الضرر ونتائجه الخطيرة على جسم الانسان بصورة عامة[١].

٤- سرطان المريء:- أثبتت التجارب العلمية وجود علاقة وثيقة بين التدخين وسرطان المري، ويتضح ذلك جليا في الدراسات التي اجريت في بعض البلاد[٢] وقد اثبتت تلك الدراسات ان التدخين من الاسباب الرئيسة لالتهاب المري، حيث يؤدي الى ارتخاء العضلة عند مدخل المعدة مما يسبب التهاب المري، ثم يتطور هذا الالتهاب الى اصابة المعدة والاثنا عشر بالقرحة ثم بالسرطان.

٥- قرحة الاثنا عشر:- اثبتت الدراسات الطبية ان نسبة المصابين بقرحة الاثنا عشر هم من المدخنين اكثر من غيرهم وان للتدخين دورا رئيسا في تاخير شفاء قرحة المعدة والاثنا عشر حيث يلعب النيكوتين دورا فعالا في تقليل كمية السوائل والبيكربونات التي يفرزها البنكرياس وعندئذ يؤدي ذلك الى ارتخاء عضلات مخرج المعدة ثم الى ارتجاع عصارة المرارة الى المعدة مما يسبب تهيجها واصابتها بقرحة الاثناعشر ولو شفيت هذه القرحة عن طريق العلاج وتناول الادوية يستمر مردودها السلبي على صحة الانسان.

٦-اثر التدخين على جهاز الدورة الدموية :- ويتالف هذا الجهاز من القلب وهو اهم عضو من اعضاء الجسم البشري ومضخة لدفع الدم عبر الشرايين الى مختلف انحاء الجسم ومستقبله عبر الاوردة للتنقية واعادة الضخ من جديد، والعلاقة بين التدخين وضرر القلب وثيقة.

وقد اثبتت الدراسات العلمية ان التدخين يزيد القلب بمقدار (١٥-٢٠) ضربة لدى تدخين سكارة واحدة ويستمر هذا الوضع (١٠-٢٠) دقيقه ثم يؤدي الى ارتفاع ضغط الدم ويبقى هذا الاثر لمدة نصف ساعة.

---

[١] ينظر د. هاني عرموش/ التدخين بين المؤيدين والمعارضين/ ص٤٣ وما يليها.

[٢] كجنوب افريقيا لدى الافريقيين وأواسط شرق آسيا.

وقد اثبت الطب ان تقلص شرايين القلب نتيجة التدخين يؤدي الى الجلطة القلبية[1].

٧- التدخين وسرطان قولون:- اثبتت عدة دراسات قام بها المختصون مؤخرا في الولايات المتحدة الامريكية ان للتدخين دورا فعالا في نشوء بعض الاورام في الجهاز الهضمي التي تؤدي الى سرطان القولون[2].

٨- مضاعفات التدخين في الجهاز الهضمي- التدخين يؤدي الى تأثيات ضارة على الجهاز الهضمى اذ يمكن ان يحدث التدخين تقرحات في المعدة والاثنا عشر وتكون القرحة الناتجة من التدخين صعبة العلاج او معقدة[3] وكذلك يؤدي التدخين الى حدوث الخلل في غدد التذوق باللسان وعسر الهضم كما يؤدي الى سرطان بنكرياس وتؤكد الاحصائيات الصحية ان معدلات اصابة للدخنين للمعدة والاثنا عشر ثلاثة اضعاف مثيلاتها لدى غير المدخنين، كما تؤكد الابحاث العلمية ان معدة المدخن تفرز احماضا تزيد على المعدل الطبيعي بحوالى الضعف[4] وهذه المضاعفات يكون مردودها السلبي على صحة الجهاز الهضمى لكل من يمارس عملية التدخين.

٩- تأثير التدخين على تصلب الشرايين:- تصلب الشرايين عبارة عن تغير جدار الارعية الدموية مما يفقدها مرونتها وكذلك في الجدار الداخلي لهذه الاوعية مما يجعل هذا السطح خشنا وبالتالي يؤدي الى تضييق هذه الاوعية مما يضيق حركة الدم بداخلها. وقد ثبت علميا ان التدخين يحرم الجسم من ١٥٪ من الهيموكلوبين.
كذلك ثبت علميا ان غاز التدخين له تأثير فعال في ترسيب الكولستول في جدار الارعية الدموية الامر الذي يساعد على سرعة تصلب الشرايين ثم حدوث الجلطة القلبية[5].

---

(١) ينظر شرلياك هارل:- هل لك من سكارة. نقلا عن دكتور خليل وديع/ المرجع السابق/ ص٨١.
(٢) ينظر الموقع الالكتروني الاتي: www.avabiyat.comlfourmslarchiveltopic.
(٣) مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد (٢٠) العدد الاول ٢٠٠٤/ص٢٠٧.
(٤) ينظر الموقع الالكتروني: www.geocities.com
(٥) المدخن مازال طفل/ المرجع السابق/ ص٤٨.

المبحث الثالث

تاثير التدخين على الجهاز التنفسي

يندرج تحت هذا العنوان الفم واللسان والحنجرة والجيوب واللوزتان والقصبات والنشة والرئة. ونتناول بايجاز بعضا منها من حيث نتائج التدخين وتأثيره السيء فيها ونبدأ بما هو الأهم:-

١- التدخين وسرطان الرئة:- هنالك دراسات علمية متعددة تؤكد الصلة الوثيقة بين التدخين والاصابة بسرطان الرئة.

أ- ومن هذه الدراسات احصاء أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عن عدد الاصابات بسرطان الرئة عام ١٩٧٠ بما يزيد عن (٦٠) الف اصابة، فتبين من تلك الدراسات ان نسبة المدخنين من هذا العدد ٩٨٪ أي ٢٪ فقط لم يكونوا من المدخنين.

ب- وفي دراسة بريطانية أجراها العالمان (برانور دهيل) و(وريتشار دون) فتبين من نتيجة بحوثهما ان ١٣٥٧ شخصا توفوا وكان سبب وفاة هؤلاء الاصابة بسرطان الرئة ما عدا سبعة منهم فقط.

وكذلك توصلت كلية الاطباء الملكية البريطانية الى نتيجة وهي ان كل تسعة مدخنين يزيد عدد استهلاكهم للسكائر على (٢٤) في اليوم يتعرض واحد منهم على الأقل للاصابة بسرطان الرئة[1].

ج- أكد العلماء السوفيت ان الاصابات بالأمراض الرئوية والقصبة المزمنة تلاحظ عند المدخنين بشكل واضح وبنسبة تزيد كثيرا عن النسبة بين أقرانهم من غير المدخنين.

---

[1] مجلة العربي/ عدد (١٤٧) الكويت/ وزارة الاعلام الكويتية/ شباط ١٩٧١/ ص١٢٨.

وقد تبين لهؤلاء العلماء من دراساتهم الاحصائية ان من بين اثـني عشـر مصـابا بالتهاب الرئة أحد عشر منهم مصابون بالسرطان الرئوي بسبب الاستمرار علـى التدخين[1]. كما ثبت لهم ان الاصابة بالسل الرئوي نتيجة التـدخين تكـون أسـوأ من الاصابة بالسرطان الرئوي، وان نسبة المدخنين من مرض السل تبلغ ٩٠٪.

٢- التدخين وارباك التنفس:- التدخين يربك عملية التـنفس ويـؤدي الى خلـل يصـيب وتيرة الشهيق والزفير بعكس الواقع وبنفس الامر فان محصلة الزفير تصبح أطـول مـن مرحلة الشهيق وهذا خطر على الناحية الصحية لانه يقلل الهواء المستنشق الذي يمد الدم بالاوكسجين.

٢- التدخين والسعال:- التدخين هو السبب الرئيس لاصابة المدخن بنوبات من السـعال ويطرد المصاب به الى الخارج مع هذا السـعال فضـلات مختلفـة كـالبلغم والافـرازات المخاطية. ومع اشتداد السعال تطول فترة الزفير على حساب الشهيق وبالتالي يـنقص الاوكسجين الذي هو من ضروريات الحياة.

٤- التدخين واثره في اللسـان:- يغطى سطح اللسان وأطرافه حليمات ذات وظيفة خاصة وبوجه خاص في قسمه الحلقي، وعند تأثرها بالتدخين واصابتها بالأمراض تتجعد تلك الحليمات وتصبح خشنة ثم يصبح تعشعش العضلات وتتخمر وبالتالي يؤدي ذلك إلى التهابات وتقرحات مزلة. وتظهر هذه الحقيقة حين اضـطراب حاسـة الـذوق فيضـعف تذوق المدخن للطعام وعدم ادراك نكهته[2].

٥- تأثير التدخين على الجيوب:- يوجد جيوب متعددة بعضها متصلة مـع الـبعض داخل الفم والصلة بين التدخين والتهاب الجيوب مؤكـدة. وقـد أثبتـت الاحصـائيات الأميركية حدوث مليون وثمانمائة اصابة بالتهاب الجيوب في كـل عـام وان ٧٥٪ مـن هذا المجموع من المدخنين. كما ثبت علميا ان الدخان يهيج آلام الجيوب.

---

[1] هاني عرموش/ المرجع السابق/ ص٧٣ وما يليها.

[2] د. خليل وديع/ المرجع السابق/ ص٧٤.

٦- التدخين والفم:- الفم يشمل الشفه واللسان والاسنان والبلعوم.

ويعد سرطان الشفة وبوجه خاص السفلي من أكثر أنواع السرطان الناتج من التدخين، لان الشفة تتعرض للتخريش، وقد أثبتت الدراسات الحديثة العلاقة الوطيدة بين التدخين وسرطان الشفة والبلعوم والحنجرة. والفم أكثر ارتباطاً بالدخان لانه المحطة الأولى لدخول الدخان في جسم الانسان، والاسنان تتلوث ببعض السواد وتحصل التهابات في اللثة بسبب التدخين.

٧- التدخين والحنجرة: أثبت العالم (Tapia) ان بين ٩٨٧ رجلا مصابا بالسرطان الحنجري الذين تابع دراستهم كانوا كلهم مدخنين وان بين كل الست النساء اللواتي تابع دراستهن اربع منهن مدخنات[١].

٨- التدخين ورائحة الفم:- تصدر عن فم المدخن رائحة كريهة تربك الانسان وتنفر منها من يقترب من المدخن، ومن الطبيعي ان ذلك يؤثر على الاحتكاك الاجتماعي بين المدخن ذي رائحة كريهة وغيره، وبالتالي تسبب هذه الرائحة للمدخن مشكلة تبقيه على حذر في تعاطيه مع الأقربين وبوجه خاص مع زوجته.

---

[١] د. عبدالكريم الزعيم/ المرجع السابق/ ص٥٦.

الفصل الرابع

تاثير التدخين على المرأة وتبعاتها

يتضمن هذا الفصل ثلاث نقاط رئيسة وهي تأثير التدخين على ذات المرأة وجنينها ووظائف الامومة. ويخصص لكل واحدة من هذه النقاط مبحث مستقل.

المضار الناتجة عن التدخين موضحة حسب أجزاء الجسم المتضررة.



المبحث الاول
اثر التدخين على المراة ذاتها

كان التدخين في الماضي حكرا على الرجال وكان تدخين المرأة في الماضي يعد فساد أخلاقها واعوجاج طريقها وانحراف سلوكها، لكن بعد ان ظهرت على مسرح الحياة مطالبة حقوقها معتبرة التدخين من مظاهر تمدنها وتحررها اخذت تدخن خفية ثم اعلنت تدخينها فظهرت في المجتمعات والطرقات حاملة سكارتها نافثة دخانها معتبرة بذلك ابراز مركزها الاجتماعي الذي لا يقل عن مركز الرجل.

ومن البدهي ان المرأة دائماً تسعى لان تكون جذابة ومحبوبة وهي في المظهر والحديث والروائح التي تستعملها والألبسة الأنيقة التي تلبسها ونحو ذلك تعبر عن هذه الرغبة الأنثوية الدفينة، لذا كل ما يخل بذلك ويحول دون تحقيق رغباتها الذاتية لا يكون من مصلحتها ومن الامور التي تعرقل مصلحتها الشخصية الأنوثية ما يأتي:-

١- يعتبر التدخين عدو المراة في المجالات المذكورة فهو يسيء اليها من خلال الدخان المنبعث من السكارة التي تتناولها فيؤثر على بشرة وجهها. ويفقدها الكثير من الحيوية والنضارة ويؤدي التدخين الى اسوداد اسنانها واصفرار ما بين الاصبعين اللذين يحملان السكارة.

٢- التدخين عامل فعال لاصابة فمها برائحة كريهة تربك الاجواء الحالمة المرغوبة وينفر منها جليسها وبوجه خاص الذين لا يمارسون التدخين وبوجه اخص يقلل من رغبة زوجها في معانقتها ومعاشرتها اذا لم يكن هو ايضا من المدخنين.

٣- تاثير التدخين على المراة اكثر من تاثيره على الرجل:- أشار بحث أجرته الحكومة الهولندية إلى ان التدخين يضر النساء بدرجة أكبر من الرجال وانه يقلل أعمار المدخنات بأكثر من عقد، بينما يقلل سنوات أقل من أعمار المدخن. وقد صرحت وكالة (سي‌بي‌اس) للاحصاء بان مقارنة أعداد الهولنديين الذين ماتوا

بسرطان الرئة عام ٢٠٠٣ بسبب التدخين أظهرت ان هذه العادة قلصت من عمر المرأة الهولندية بنحو (١١) عاما مقابل (٣) اعوام للرجال[١].

٤- التدخين والانوثة:- التدخين يؤثر على مضجع المرأة وهجر زوجها اذا لم يكن هو ممارسا للتدخين. ومن البدهي ان المضجع موضع الاغراء. وهو يمثل قمة العلاقة الزوجية في المودة والرحمة والسكينة كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

٦- التدخين والاضطراب العصبي:- اثبتت الدراسات الحديثة ان جهاز المرأة العصبي أدق في تركيبه من جهاز الرجل وان حاستهن أشد من حاسة الرجال، لذا فان التدخين يسبب لهن الاضطراب في الاعصاب والارق المستمر ويشوه بشرتهن وجمالهن ويجعل لونها شاحبا ويورثهن فقر الدم[٣].

٧- اثر التدخين على العجز الجنسي والمعاشرة الزوجية: فالزوجة المدخنة تقل رغبتها في المعاشرة الزوجية بالاضافة الى ان كراهية رائحة فمها تجبر الزوج على تركها أو ممارسة التدخين حتى يتساويا في هذه الكراهية فحينئذ يصاب الزوج ايضا بالعجز الجنسي، ويحذر المختصون من الاطباء من التدخين لانه يهدد الحياة الجنسية بالخطر فقد يكمن العجز الجنسي في السكارة التي يحملها العاجز ويرى الباحثون أن أكثر من ٢٥٪ من الرجال يصابون بالعجز الجنسي بسبب التدخين وقس على ذلك الزوجة المدخنة.

وفي دراسات طبية وعلمية شملت (١١٦) رجلا عاجزا في جامعة بريتوريا في جنوب افريقيا سنة ١٩٨٦ ثبت ان (١٠٨) منهم كانوا مدخنين[٤].

---

(١) صفحة خاصة نشرها (العربي الحر) حول التدخين ومخاطره تسلسل (٢٠).

(٢) سورة الروم/ ٢٨.

(٣) التدخين في نظر اهل الطب/ بحث منشور في الرسالة الاسلامية لكاتبه احمد خضير الناصري/ ص٨.

(٤) مجلة المختار تموز ١٩٨٨/ص٢١ نقلا عن د. خليل وديع/ المرجع السابق/ ص٩٩.

٨- التدخين والاولاد:- للتدخين أثر سلبي على الأولاد لانهم يقلدون المدخن من الابوين أو أحدهما تقليدهم في تعلم اللغة والصفات الأخرى سواء كانت حسنة أو سيئة كما ان لتدخين الوالدين خطرا سلبيا على صحة الاولاد.

٩- التدخين ولزمة قلبية:- اذا كانت المراة المدخنة تستعمل موانع الحمل التي تؤخذ عن طريق الفم زاد لديها بمقدار عشرة أضعاف خطر الاصابة بأزمة قلبية أو سكتة دماغية أو جلطة دموية في اوردة الساق.

١٠- التدخين ورحم المراة:- رحم المراة كتلة عضلية يحدث النيكوتين فيها تشنجا يؤدي إلى الشعور بنوبات شديدة من الألم وفي حالات الحمل يؤدي الى الاجهاض لان التشنج يمتد الى تصلب الشرايين فتضيق وتنقص كمية الدم فيها بحيث تصبح غير كافية لتغذية الجنين.

وقد ثبت علميا ان تدخين الأم لفافة واحدة يزيد في ضربات قلب الجنين (١/٢-١) دقيقة (٥--١٠) ضربات مما يدل على وصول سم النيكوتين مع الدورة الدموية الى جسم الجنين[1].

١١- التدخين والدورة الشهرية:- الدورة الشهرية في الحالة الاعتيادية للمرأة بعد بلوغها سن البلوغ مرة واحدة في كل (٢٨) يوما وتستمر عادة مدة تتراوح بين (٣-٥) أيام، اذا كانت المراة متمتعة بصحة كاملة. ونتيجة للتقدم العلمي والطبي اكتشف ان للتدخين اثرا فعالا سيئا على تغيير العادة الطبيعية.
وقد قامت احدى اللجان الطبية باجراء دراسة على مجموعتين من النساء. تتألف الأولى من (٢٥) ألف امرأة في مستشفيات بوسطن بالولايات المتحدة الأميركية، وتتكون الثانية من (٣٢٩) الف امرأة في مستشفيات كندا وايطاليا والمانيا، فتبين لها في النتيجة ان النساء المدخنات اللواتي تجاوزن (٤٤) سنة من العمر وصلن سن اليأس في وقت مبكر بالنسبة الى مثيلاتهن ممن لم يمارسن التدخين أصلا، وهذا يعني ان التدخين يعجل بالمرأة المدخنة وينهي دورها في العادة الشهرية وفي انجاب الأولاد بفارق زمني يقارب عشر سنوات[2].

---

(١) د. عبدالكريم الزعيم/ للتدخين بين المؤيدين والمعارضين/ المرجع السابق/ ص٨٢.
(٢) د. هاني عرموش/ التدخين بين المؤيدين والمعرضين/ المرجع السابق/ ص٨٢.

١٢- التدخين وسرطان الرحم:- أكدت دراسة علمية بريطانية ان النساء المدخنات هن أكثر عرضة للاصابة بمرض سرطان الرحم من غير المدخنات، لان التدخين يقلل عدد الخلايا التي تحمي الجسم من الاصابة بالعدوى الفايروسية او السرطانية[1].

١٣- كل تدخين له التأثير على الحالة الصحية والاقتصادية والاجتماعية للرجل له نفس التأثير بالنسبة للمرأة وبوجه خاص في الأمراض التدخينية التي سبق استعراض أكثرها في الفصول السابقة.

---

[1] مجلة طبيبك/ العدد (٢٠١) لعام ١٩٧٣.

المبحث الثاني
تأثير تدخين الام على الجنين والولادة

لا تقتصر اضرار تدخين المرأة على ذاتها وحدها بل له انعكاسات سلبية ونتائج خطيرة على الجنين ايضا منذ تكونه الى ولادته بل الى ما بعد الولادة.

ونتناول في هذا المبحث آثاره المضرة بالجنين قبل ولادته ومن تلك الآثار ما يأتي:-

١- التدخين والاجهاض:- تظهر ظاهرة الاجهاض (الاسقاط قبل تكامل التكوين الطبيعي) بنسبة لجنين الحوامل المدخنات بالمقارنة الى غيرهن من الحوامل غير المدخنات، لان سموم الدخان تنتقل من جسم الوالدة المدخنة بوساطة الدم الى جنينها، فعندما تدخن المرأة الحامل يدخن معها الجنين الذي في بطنها، ثم انها تنقل اول اوكسيد الكاربون والنيكوتين الى مجرى دمه فيقل بذلك ما يحصل عليه من الاوكسجين وتسرع ضربات قلبه، كما ان وليدها يولد في معظم الاحيان معتل الصحة.

٢- التدخين ونقص وزن المولود:- ويتبين ذلك بعد الولادة، لان الامهات اللواتي يفسدن دمهن بالتدخين لاحتواء الدخان على مادة النيكوتين التي اذا لم تقض على حياة الجنين في بطنها، فان دمها الفاسد بتلك المادة يجعل الجنين يولد ضعيف البنية عديم الصحة نحيف الجسم.

وفي دراسات احصائية لمكتب احصائي طبي على مواليد المدخنات، تبين ان وزن الوليد ذكرا كان أم أنثى للأم المدخنة يقل دائما عن معدله عند الأولاد من أمهات غير المدخنات بمعدل يصل إلى (٤٨٠) غم، أي حوالي نصف كغم[(١)].

٣- التدخين ومشاكل الحمل:- اثبت العلم الحديث بضمنه علم الطب المتطور ان النساء المدخنات حملهن أصعب واجهاضهن ايسر، فالمرأة الحامل المدخنة تعاني ظاهرة اليامات الحمل وتلاقي مشاكل أكثر مما تعانيها المرأة غير المدخنة.

---

(١) د. هاني عرموش/ المرجع السابق/ ص٨٣.

٤- التدخين والولادة المبكرة:- اثبتت الدراسات التي اجراها الباحثون على حوامل المدخنات ان الولادة المبكرة تحدث عندهن بنسبة أعلى بكثير من حدوثها عند اللواتي لا يمارسن تدخين التبغ.

٥- التدخين وتشويه المولود:- ثبت في المستشفيات العالمية المخصصة لولادة النساء ان الغالبية العظمى من الأولاد الذين يولدون مشوهين اما بالقامة القصيرة او بالرأس الصغير او نحو ذلك من أنواع التشويه الخفيف كانوا أولاداً لامهات يمارسن عادة التدخين.

٦- الالتهاب الرئوي والتهاب الشعب:- اثبتت الدراسات الاحصائية والطبية ان المواليد الذين تمارس امهاتهم عادة التدخين اكثر مراجعة للمستشفى بشكوى الالتهاب الرئوي والتهاب بالشعب الهوائية من اولئك الذين لا تمارس امهاتهم هذه العادة. كما اوضحت دراسات أخرى ان فرص التعرض للالتهاب الرئوي والتهاب الشعب الهوائية تكون الضعف اذا كان كل من الاب والام من المدخنين[١].

٧- تاثير التدخين السلبي على الاولاد: اثبتت الدراسات العلمية والاحصائيات ان اعراض الجهاز التنفسي لدى الاطفال تتناسب طرديا مع كمية دخان التبغ الموجود في بيئة الطفل (المكان الذي يعيش فيه) كما يصاب الاطفال المعرضون لدخان التبغ السلبي بزيادة في سرعة دقات القلب والارتفاع في ضغط الدم[٢].

---

(١) المرجع السابق/ ص٨٣.

(٢) المرجع السابق/ ص٨٣.

المبحث الثالث

تأثير التدخين على وظائف الأمومة

لا تقتصر آثار التدخين على تشويه جمال المرأة ولا على نتائجه السيئة بالنسبة للجنين قبل الولادة، وانما تشمل تلك الآثار والنتائج السلبية على اولاد المدخنات بعد الولادة كما في الايجاز الآتي:-

١- تدني المستوى والقابلية: ثبت علميا عن طريق الاجراءات الدراسية ان الاولاد الذين رضعوا حليب امهاتهم المدخنات كانوا دائما في مستوى من الذكاء ادنى من مستوى زملائهم من امهات غير المدخنات. وقد بينت دراسة شملت (١٧٠٠٠) طفلاً في انكلترا واسكتلندا ويلز في اسبوع واحد وبعد متابعة لهم سبع سنوات كشفت هذه الدراسة ان اطفال الامهات المفرطات في التدخين اثناء الحمل يتميزون بقصر في القامة وتأخر القدرة على القراءة وضعف القابلية للتكيف الاجتماعي[١].

٢- انخفاض المقاومة: اثبتت التحاليل المختبرية ان حليب الام المدخنة التي تستهلك عشرين سكارة يوميا يفرز مادة نيكوتين السامة بمعدل نصف كمية لكل لتر من الحليب وهذا النيكوتين يسمم الاطفال الرضع بصورة دائمية، الأمر الذي يؤدي الى ضعف اجسامهم وانخفاض مقاومتهم ومناعتهم ضد العوامل الجالبة للامراض[٢].

٣- قلة الحليب: اثبتت الدراسات الاحصائية ان كمية الحليب عند الام المدخنة تكون قليلة جدا بالنسبة للامهات التي لا يمارسن عادة التدخين، بحيث تكون هذه القلة بكمية لا تكفي لاشباع ولدها من الحليب.

---

[١] مجلة طبيبك/ المرجع السابق.

[٢] هاني عرموش/ المرجع السابق/ ص٨٤.

٤- الموت المبكر لاولاد المدخنات: ثبت عن طريق الدراسات العلمية والاحصائية ان موت مولود المدخنة يكون مبكرا رغم عدم وجود سبب ظاهر او معروف لهذا الموت المبكر.

وقد اكدت الابحاث العلمية وجود علاقة تربط بين عادة التدخين عند الام وموت الوليد مبكرا بدون سبب ظاهر ومعروف[١].

٥- اكد الفيلسوف تولستوي ان الامهات التي يتعاطين الدخان يفسدن لبنهن لاحتواء الدخان على مادة النيكوتين التي تقضي على الجنين في بطن امه او تجعله يولد ضعيف البدن، وعديم الصحة، نحيف الجسم، ويسبب للاطفال بعد الولادة الامراض الاتية:-

أ- الكساح

ب- الصداع

ج- الهستريا

د- البلاهة

هـ- عطل الكبد

ح- ضعف البنية[٢].

---

[١] المرجع السابق/ ص٨٤.

[٢] التدخين في نظر اهل الطب والدين/ المرجع السابق/ ص٨٠.

الفصل الخامس

تحريم القرآن التدخين بالعلة المنصوصة

ويتناول هذا الفصل دراسة ثلاث نقاط رئيسة موزعة على ثلاثة مباحث:

يخصص الأول لدراسة تحريم التدخين بالعلة المنصوصة.

والثاني لبيان حجية العلة المنصوصة.

والثالث لاثبات معللية احكام الله بالاغراض.

المبحث الأول
تحريم التدخين بالعلة المنصوصة

حرم القرآن الكريم التدخين على اساس كون ضرره أكثر من نفعه في المرحلة الثانية من مراحل تحريم المسكرات الأربع كما في الايضاح الآتي:-

استعمل القرآن الكريم لفظ (الخمر) بمعناه اللغوي العام الشامل لكل مسكر بغض النظر عن نوعه وطبيعته وموادّه الاولية، فكل ما يخمر العقل ويستره ويحدث فيه الخلل فهو خمر، يقال خمرت أو اختمرت المرأة:- لبست الخمار والخمار ما تغطي به المرأة رأسها.

جاء الاسلام في وقت وكانت الخمور تُصنع في كل بيت ويتعاطاها السواد الاعظم من الناس في مجالسهم الخاصة والعامة، بحيث اصبح الادمان على تعاطي المسكرات مرضا اجتماعيا مزمنا لا يمكن القضاء عليه بغتة، بل كانت مكافحته تتطلب اتخاذ الخطوات التدريجية للتعويد النهائي على الانقطاع التام اذ شاءت حكمة الله ان تعالج كل مرض من الامراض الاجتماعية المزمنة المتوطنة بالتدرج حتى لا يكون للعلاج الفجائي مردود سلبي.

فالطبيب الحكيم الحاذق الجراح اذا اجرى عملية جراحية لمريض يحتاج اليها اذا نجحت العملية يعطي المريض الدم في المرحلة الأولى، والمغذي في المرحلة الثانية، والحليب في المرحلة الثالثة، والطعام الاعتيادي الذي يتناوله الاصحاء في المرحلة الرابعة. ولو اعطاه في المرحلة الاولى طعام المرحلة الرابعة لقضى الاكل على حياته رغم نجاح العملية.

وهكذا شاءت شريعة الله تعالى ان تعالج الامراض المزمنة الخطيرة بالتدرج والحكمة. ومن هذه الامراض تفشي مرض استعباد الانسان لاخيه الانسان (نظام العبد والجارية) الذي قضى عليه الاسلام بالتدرج من غير رجعة[1].

---

[1] للاطلاع على تفصيل القضاء على نظام العبيد والجواري ينظر مؤلفنا (تجفيف مستنقع العبيد والجواري في القرآن).

ومنها مرض تعاطي الخمر وحرم القرآن هذا المرض الاجتماعي الخطير بالمراحل الاربع الاتية:-

أ- في المرحلة الاولى:- قال تعالى مخاطبا الانسان في كل زمان ومكان قائلا: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[1] فالقارئ الدقيق لهذه الآية الكريمة يجد في هذه المرحلة لمسة خفية واشارة عقلية ذكية الى ان المسكرات بكافة انواعها قبيحة لذاتها، واساس هذا القبح هو الضرر العقلي والصحي والاجتماعي والاقتصادي الناتج من تعاطيها. ومن الواضح ان مدار حسن وقبح الاشياء هو الضرر والنفع لان من مقاصد الشريعة الاسلامية جلب النفع للانسان ودرء الضرر عنه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2] ففي هذه الآية حصر سبحانه وتعالى الغاية في الرسالة المحمدية في المصلحة البشرية، لان الرحمة هي المصلحة الايجابية وهي المنفعة المستجلبة، والسلبية اي المضرة المستدرءة، فكل نافع لذاته أو لغيره بميزان الشرع جائز. ما لم يكن على حساب ضرر الغير، وكل ضار لذاته أو لغيره بمعيار الشرع محرم ما لم تترتب عليه منفعة أهم من مضرته. والقرآن الكريم في هذه الاية عطف (رزقا حسنا) على (سكرا) ومن البدهي ان العطف للمغايرة، فهو يدل على ان السكر ليس رزقا حسنا وانما هو رزق قبيح، ذلك لأنه لا يوجد شق ثالث بين الحسن والقبح لكل شيء، أما حسن لذاته أو لغيره، سواء أخذنا بالحسن والقبح العقليين كما هو رأي المعتزلة، أو بالحسن والقبح الشرعيين كما هو رأي الاشاعرة، فكل ما هو حسن شرعا فهو حسن عقلا دون العكس الكلي، وكل ما هو قبيح شرعا فهو قبيح عقلا دون العكس الكلي، لان الشريعة الاسلامية لا يوجد فيها حكم يتعارض مع العقل السليم والعلم والفطرة، فاذا وجدنا مثل هذا الحكم فهو دخيل وليس من الشريعة.

وبناء على ذلك لا توجد في هذه الاية ما يدل من قريب أو بعيد على ان القرآن اقرّ اباحة تعاطي المسكرات حتى تأتي الايات في المراحل الاخرى المحرمة صراحة للخمر ناسخة لحكم الاباحة في المرحلة الاولى.

---

[1] سورة النحل/٦٧.

[2] سورة الانبياء/١٠٧.

وجدير بالذكر لن الله سبحانه وتعالى بنى الحل والحرمة على الحسن والقبح في آية المرحلة الاولى كما بنى الحسن والقبح على النفع والضرر، فيؤخذ من هذه الآية ان كل ما فيه نفع الانسان لذاته كالعدل أو لغيره كالكذب النافع الذي ينقذ مظلوما من ظلم ظالم فهو حسن مباح وجائز للانسان في كل زمان ومكان.

وكل ما فيه ضرر الفرد أو المجتمع لذاته كالظلم او لغيره كالصدق الضار الذي يؤدي الى تسليط ظالم على مظلوم ليظلمه فهو قبيح ومحرم على الانسان.

ب- في المرحلة الثانية: غير القرآن الكريم أسلوب خطابه في تحريم المسكرات، فاعتمد مقابلة أخرى وأحال العقل السليم الى المقارنة بين النفع والضرر، والموازنة بين الربح والخسارة اللذين يكسبهما الانسان من تعاطي المسكرات أو لعب القمار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[1].

والمراد بالاثم في هذه الآية هو الضرر بقرينة مقابلته بالنفع، وهذه الآية لا تدل ايضا على اباحة الخمر فكيف يُقرّ القرآن مشروعية عمل يكون ضرره أكثر من نفعه لبني البشر.

بل لا تدل على تحريم المسكرات فحسب وانما تدل صراحة على تحريم كل ما يكون ضرره أكثر من نفعه كالتدخين، لأن الله لم يجب عن السؤال عن الحكم ببيان الحكم وانما أجاب بالعلة المنصوصة للحكم حتى يشمل كل ما يكون ضرره أكبر من نفعه ويعطي لعقل الانسان السليم قاعدة عامة نصية يطبقها في كل شيء يكون ضرره أكثر من نفعه، وهذا ليس من باب القياس كما يزعم البعض، لأن العلة المنصوصة بمثابة النص الصريح، كما يأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني.

وبناء على ذلك لا توجد الاباحة في هذه الآية حتى يزعم دعاة النسخ انها نُسخت بآيات المراحل اللاحقة. ومنافع المسكرات أما مادية كالارباح التي تُجنى من وراء صُنعها أو استيرادها أو بيعها، أو معنوية وهي التلذذ الذي يشعر به الشارب للخمر حيث يؤدي هذا الشرب الى خفة عقله وجعله مشلولا لا يتفكر بغير نفسه وهي فترة زمنية قصيرة ثم تزول فكأنها لم تكن أصلاً.

---

[1] سورة البقرة/٢١٩.

واذا قورنت هذه المنافع المادية والمعنوية مع اضرارها العقلية والصحية والاجتماعية والاقتصادية يتبين بالبداهة ان ضرر المسكرات بكافة انواعها اكبر من نفعها.

والدليل على ان الاية المذكورة في المرحلة الثانية تدل صراحة وبدون قياس على تحريم التدخين وغيره من كل ما هو ضرره أكثر من نفعه، هو ان السائل لم يسأل عن علة تحريم الخمر والقمار وإنما سأل عن حكمهما من الحل أو الحرمة ومن المشروعية أو عدم المشروعية، فأجاب سبحانه وتعالى بعلة التحريم ليوجه عقل الانسان الى ان كل شيء يكون ضرره أكثر من نفعه يكون محرماً شأنه شأن تحريم الخمر والقمار.

وجدير بالذكر ان ضرر التدخين أكثر وأشد وأقوى من ضرر تعاطي المسكرات والقمار للأسباب الآتية:

١- ان التدخين ليس فيه أي نفع لاي مدخن فلا يوجد نفع مادي ولا معنوي بالنسبة للمدخن ذاته، فيكون علة التحريم فيه أقوى منها في تحريم الخمر والقمار.

٢- ان ضرر التدخين لا يقتصر على شخص الفاعل المدخن كما هو حال فاعل تعاطي المسكرات ولاعب القمار، وانما يتجاوز ضرره الى غيره من كل جليس أو مختلط معه وبوجه خاص في منزل واحد، وهذا ما يسمى التدخين السلبي أو القسري او بالاكراه.

٣- مجال تعاطي المسكرات ولعب القمار محدد بمكانات خاصة أو عامة، فلا يتصور عقلا أن يتعاطى الانسان المسكر في الشوارع والطرق وفي وسائل المواصلات ونحو ذلك، بخلاف التدخين فان للمدخن الحرية المطلقة في ان يدخن متى شاء أو اين ما أراد.

٤- التدخين يُعد تهديدا وخطرا حقيقيا على صحة الآخرين وليس الضرر حصرا في نفسه، كما في تعاطي المسكرات ولعب القمار، وانما يتجاوزه إلى غيره ممن احتكّوا به في كل مكان وزمان.

٥- يرتبط التدخين السلبي غير المباشر بطائفة من التأثيرات الصحية السلبية الضارة بجسم الانسان منها سرطان الفم والرئة والحنجرة والمعدة وأمراض القلب وتصلب الشرايين، فهذه الأمراض الخطيرة مشتركة بين المدخن مباشرة والمدخن تدخينا سلبيا بصورة غير مباشرة، وهذه الخطورة لا نجدها في كلٍ من الخمر ولعب القمار.

٦- التدخين السلبـي مردوده السلبـي على الأطفال وبوجـه خـاص الـذين يعيشـون صباح ومسـاء مع الأبوين المدخنين، وقد ثبت ان التدخين السلبـي له خطورة على الأطفال أكثر من الكبار، وانهـم يتعرضـون للأمـراض المـذكورة ولهـم اسـتعداد للاصابة بها أكثـر مـن اسـتعداد الكبـار. وهـذه الخطـورة لا نجـدها في تعـاطي المسكرات ولعب القمار.

ج- في المرحلة الثالثة: ضيّق الشارع العظيم الوقت علـى متعـاطي المسـكرات بطريقـة حتمية حتى يتهيأ للكف النهـائي، كمـا ان الطبيـب يوصـي المـريض المـدخن بـترك التدخين، فاذا قال لا أستيطع يوصيه بالتقليل منه وهذا لا يعني انـه يقـرر لـه نفـع التدخين القليل، وانما يريد تعويده على الترك القطعي بصورة تدريجية. فقـال سـبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لاَ تَقْرَبُـوا الصَّـلاَةَ وَأَنـتُمْ سُـكَارَى حَتَّـى تَعْلَمُـوا مَـا تَقُولُونَ﴾[1] وهذه الآية لا تدل من قريب أو بعيد على جواز تعاطي المسكرات خـارج وقت الصلاة قبلها أو بعدها[2].

د – المرحلة الرابعة والأخيرة: هـي قمـة التـدرج والاسـتقرار التـام للحكـم والخضـوع النهائي له وامتثال النهي من قبل جميع المسلمين بدون اية مخالفة، وتلك المرحلـة هـي ما نص عليها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنَّمَـا الْخَمْـرُ وَالْمَيْسِـرُ وَالأَنصَـابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَـا يُرِيـدُ الشَّـيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِـرِ وَيَصُـدَّكُمْ عَـنْ ذِكْرِ اللَّـهِ وَعَـنْ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾[3].

فهذه الآية تؤكد بصراحة التحريم الضمني في المراحل السابقة ولا تُعتبر ناسـخة لأيـة مرحلة سابقة، لأن النسخ يكون لحكم مخالف لحكم المنسوخ، وأنه يأتي لرفع التنـاقض بين الناسخ والمنسوخ. وزعم النسخ مبني على عدم فهم ما جاء في الآيات المـذكورة، فما أصعب فهم الحقائق وما أسهل القول بالنسخ تقليدا للغير بدون اسـتخدام العقـل السليم.

---

(١) سورة النساء/٤٢

(٢) وقد اخطا البعض مثل (د. مصطفى زيد/ النسخ في القرآن الكريم/ص٨٢٧) حيث قال ان الآية دلت بمفهومها المخالف حل شرب الخمر فيما عدا وقت قربان الصلاة).

(٣) سورة المائدة/ ٩٠-٩١.

المبحث الثاني

العلة المنصوصة وحجيتها

العلة في اللغة:- عبارة عن عارض لا ارادي يحل محلا يتغير به حاله ومنه تسمية المرض علة، لأنه بحلوله في جسم الانسان يتغير به حاله من القوة الى الضعف.

العلة في الفلسفة: قسمها أرسطو[1] إلى أربعة أقسام[2]:-

١- العلة الفاعلة: وهي ما تكون مؤثرة في المعلول أي في إيجاده كالخالق بالنسبة للمخلوق، والنجار بالنسبة للكرسي الذي يصنعه.

٢- العلة المادية: وهي عبارة عن المواد الأولية للمعلول كالخشب بالنسبة للكرسي والطابوق والسمنت والحديد وغيرها من المواد الأولية بالنسبة للبناء.

٣- العلة الصورية: هي صورة المعلول بعد خلقه واكماله كالشكل الذي يحصل للكرسي بعد اكماله.

٤- العلة الغائية: وهي الهدف المقصود من المعلول كالجلوس على الكرسي.

فهذا القسم الأخير من حيث التصور مقدماً يسمى غرضاً أو باعثا دافعا ومن حيث التحقق مؤخراً يسمى غاية ونتيجة.

العلة في الاصطلاح الأصولي: اختلف علماء أصول الفقه في تحديد المعنى المراد منها حين بحثوها في موضوع القياس على أساس انها ركن من أركانه[3]:-

فمنهم من قال انها معرفة للحكم[1] أي علامة على وجوده بحيث اذا تحققت تحقق الحكم واذا انتفت انتفى.

---

[1] (٣٨٤-٣٢١ ق.م).

[2] الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٣٥.

[3] ينظر جمع الجوامع لابن السبكي وشرحه للجلال المحلي ٢/١٥١.

ومنهم من قال انها موجبة (مؤثرة في الحكم بناءً على انها تتبع المصلحة والمفسدة)[٢]. وهي قريبة من العلة الفاعلة في الفلسفة.

ومنهم من قال انها مؤثرة في الحكم بإذن الله بجعله لا بالذات[٣].

ومنهم من قال انها الباعث على الحكم[٤].

وفي هذه الحالة تكون علة غائية فلسفية ترادف الحكمة، وبالنسبة للموازنة بين العلة وبين السبب، منهم من قال انهما متساويان فكل علة تسمى سببا وكذلك العكس. ومنهم من قال العلة أخص من السبب، فاذا كان بين السبب والحكم المترتب عليه مناسبة وملاءمة يسمى علة، كالسرقة لقطع اليد، واذا لم يدرك العقل المناسبة بينهما لا يُسمى علة، كدلوك[٥] الشمس لاقامة صلاة الظهر في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[٦]. ومنهم من قال مختلفان.

والواقع انهما مختلفان بالنسبة للاحكام الشرعية في الشرع الاسلامي وفي الفقه واصوله، لأنه اذا أُريد بها العلة الفاعلة فهي عبارة عن ذات الله في النصوص والاحكام الالهية، والسلطة التشريعية في النصوص القانونية واحكامها. واذا اريد بها العلة الغائية فهي عبارة عن المصلحة المتوخاة من التشريعات الالهية والقوانين الوضعية، فهي متأخرة عن الحكم وتنفيذه، بينما السبب مقدم دائما على الحكم لبداهة تقدم السبب على مسببه.

ثم ان تعبير (العلة) لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولا في كلام فقهاء الصحابة، ولم يعرف علماء اصول الفقه وفقهاء الفقه الاسلامي هذا المصطلح الا بعد ترجمة المنطق والفلسفة اليونانية الى اللغة العربية، فكل ما يُسميه علماء اصول الفقه علة فهو سبب.

---

(١) وهم أهل الحق كما يطلق عليهم هذا الاسم علماء اصول الفقه/ المرجع السابق/ ص٢/١٥١.

(٢) وهو قول المعتزلة.

(٣) وهو قول الامام الغزالي.

(٤) وهو قول الآمدي: ينظر المرجع السابق/٢/١٥١.

(٥) الدلوك: الزوال والميلان من خط الاستواء.

(٦) سورة الاسراء/٧٨.

والعلة الغائية الفلسفية سماها القرآن (حكمة) كما وردت الحكمة في القرآن بمعنى (العمل بمقتضى العقل السليم في ادارة شؤون الدنيا) وهذا اللفظ ورد في عشرين آية من القرآن الكريم منها:-

قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[1]

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.[3]

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4].

واذا ذُكرت الحكمة مع الكتاب في القرآن يراد بها ما يتعلق بتنظيم الامور الدنيوية في ضوء العقل السليم، كما يُراد بالكتاب الاحكام التي تُنظم الشؤون الدينية وبعض الشؤون الدنيوية.

وتفسير الحكمة بالسنة النبوية خطأ، كما يفهم من الاية الثالثة المذكورة، لانها لا تُعطى لاحد من حيث الصفة الذاتية.

والحكمة في علم الفلسفة يُراد بها معرفة حقائق الاشياء والعمل بما هو الاصلح[5].

وقد يُطلق على الحكمة تعبير الفلسفة.

والعلة التي نتناول دراستها في موضوعنا هذا نعني بها (العلة الغائية الفلسفية والحكمة المقصودة من الاحكام). وقد استعملها بعض علماء اصول الفقه بهذا المعنى، وعلى سبيل المثل قال القرافي[6] : (الحكمة هي التي لاجلها صار الوصف علةً، كذهاب العقل الموجب لجعل الاسكار علة لتحريم الخمر، ومن الحكمة اختلاط نسب الانسان فانه سبب لجعل وصف الزنى سبب وجوب الجلد، وكضياع المال الموجب لجعل وصف السرقة سبب القطع، والوصف اذا جاز التعليل به فأولى بالحكمة، لانها اصله واصل الشيء ما لا يقصر عنه).

---

(١) سورة البقرة/١٥١.

(٢) سورة البقرة/٢٣١.

(٣) سورة البقرة/٢٦٩.

(٤) سورة النحل/١٢٥.

(٥) المعجم الفلسفي/ د. جميل صليبا/٢/١٦٠.

(٦) العالم الاصولي المالكي في كتابه: شرح تنقيح الفصول/ص٤٠٦.

وقال الشاطبي[1] : (ان المراد بالعلة الحكم والمصالح التي تعلقت بها الاوامر او الاباحة والمفاسد التي تعلقت بها النواهي).

فالمشقة علة في اباحة القصر والفطر في السفر، والسفر هو السبب والسبب الموضوع للاباحة، ثم يمضي قائلا:- (فعلى الجملة العلة هي المصلحة نفسها او المفسدة، سواء كانت ظاهرة او غير ظاهرة).

ويتميز المالكيون من بين علماء أصول الفقه بأنهم فرّقوا بين السبب والحكمة والعلة، فحملوا العلة اينما وردت على العلة الغائية، وهي المصلحة المتوخاة من الأحكام والخضوع لها وتنفيذها، وحسنا فعلوا.

العلة المنصوصة في القرآن الكريم

ذكرنا ان المراد بالعلة في موضوع تحريم التدخين في أية تحريم الخمر في المرحلة الثانية هي العلة الغائية التي تتمثل في المصلحة البشرية الايجابية (المنفعة المستجلبة) والسلبية (المضرة المستدرأة).

والمراد بالعلة المنصوصة هي العلة الغائية والحكمة المنصوص عليها في ايات قرآنية او نصوص السنة النبوية بصراحة ووضوح وبوجه قطعي لا تقبل الخلاف والنقاش والجدل.

ومن نماذج العلة المنصوصة في القرآن الكريم:-

١- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ﴾[2] وحرف (في) في هذه الاية للتعليل، اي ان العلة الغائية والحكمة في ايجاب القصاص على من يرتكب القتل العمد العدوان هي ان كل من يدرك انه اذا قتل الغير بدون مبرر يُقتل، فإذا كان قاتلا سابقا لا يتكرر منه القتل مرة ثانية، اذا كان على قيد الحياة، وهذا ما يسمى (الزجر) في الاصطلاح القانوني، وغيره لا يقتدي به وهذا يطلق عليه مصطلح (الردع العام).

---

[1] العالم الاصولي المالكي في كتابه: الموافقات ١/٢٦٥.

[2] سورة البقرة/١٧٩.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]. فجملة (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) علة غائية لايجاب اقامة الصلاة، فاذا اليمت بروحها وجوهرها تمنع المصلي من كل انحراف سلوكي واتجاه جرمي، بسبب طاقة روحيه يكتسبها من استمرارية اقامة الصلاة كوسيلة وقائية.

وهناك آيات قرآنية كثيرة تنص صراحة وبوضوح على علل احكامها الغائية فلا مجال لاستعراضها.

والاوضح من الكل والاكثر صراحة اية تحريم تعاطي المسكرات ولعب القمار في المرحلة الثانية، فهي اقوى ايات الاحكام المعللة بالعلل الغائية، لأنها اتت ببيان علة الحكم دون الحكم ذاته، كما ذكرنا، فنصت كقاعدة نصية عامة على (ان كل ضار او ما كان ضرره اكثر من نفعه محرم بصورة قطعية).

حجية العلة المنصوصة

العلة المنصوصة حجة قطعية غير قابلة للخلاف والنقاش للاسباب الاتية:-

١- اجمع علماء المسلمين من الاصوليين والفقهاء على ان العلة المنصوصة فيما يتعلق بالحل والحرمة هي بمثابة النص الصريح عليهما. والنص الصريح الدال على الحكم دلالة قطعية، حجيته غير قابلة للخلاف والنقاش.

٢- العلة المنصوصة ليست من باب القياس كما يزعم البعض، فلا يكون تحريم التدخين بالقياس على تحريم الخمر والقمار، وانما هي قاعدة نصية (لا اجتهادية) تُطبق على كل مسألة يكون ضرر موضوعها اكثر من نفعه، واذا كان موضوع المسألة ضررا محضا كالتدخين يكون تحريمه من باب اولى و اقوى حجة.

٣- الكليات المعقولة المعاني (اي يُدرك العقل علل احكامها) تنطبق على الجزئيات المندرجة تحتها بلا خلاف، لان الحكم المعلل بالعلة المنصوصة بمثابة الحكم المدلول عليه بنص قطعي الدلالة.

---

[1] سورة العنكبوت/٤٥.

٤- العلماء الذين عارضوا حجية القياس كالشيعة الامامية والظاهرية لم يُنكروا الاحكام المعللة بعللها المنصوص عليها.

٥- تحريم التدخين ليس من باب قياسه على الخمر والميسر ولا من تطبيقات مفهوم الموافقة، وانما هو من باب خضوع الحكم لقاعدة نصية قطعية عامة لا تقبل التردد والاختلاف، بخلاف الاحكام المعللة بالعلة المستنبطة،[1] والفرق بينهما ان العلة المنصوصة يدل على عليتها النص دلالة صريحة قطعية كما ذكرنا . ودلالتها على الحكم ايضا قطعية .

اما العلة المستنبطة فان دلالة النص على عليتها دلالة ظاهرية (ظنية) كما في قول الرسول ﷺ (لا يقضينَّ حاكم بين اثنين وهو غضبان)[2].

فالعلة الغائية لهذا النهي هو ان توتر الاعصاب قد يؤدي الى حدوث الخلل في عدالة حكمه.

---

[1] لمزيد من الاطلاع على الفرق بين العلة المنصوصة والعلة المستنبطة ينظر مراجع أصول الفقه في باب القياس موضوع العلة ومن هذه المراجع: جمع الجوامع/ المرجع السابق/٢/١٦٨ وما يليها.

[2] البخاري/ كتاب الأحكام/ باب: هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان/ ٦٧٣٩

المبحث الثالث
معللية احكام الله بالاغراض

غير خاف على ذوي العقول السليمة ان لكل دولة في العالم دستورا يتناول المبادىء العامة والقواعد الكلية ويخول السلطة التشريعية تشريع القوانين في كل مجال من مجالات حياة المجتمع، شريطة ان لا تتعارض هذه القوانين مع الدستور، وهذا ما يُسمى في الاصطلاح القانوني (دستورية القوانين).

كذلك القرآن الكريم بمثابة دستور للاسرة البشرية اقتصر على القواعد الكلية، اذ لو تناول الامور بجزئياتها لحصل النقص في التشريع الاسلامي، لأن النصوص متناهية والجزئيات المستحدثة غير متناهية، ومن البدهي ان المتناهي لا يُحيط بغير المتناهي، لهذا اقتصر القران على الكليات المعقولة المعاني، اي التي يُدرك العقل عللها، وترك ارجاع الجزئيات الى تلك الكليات للعقل البشري وأمر العقول في (٤٩) آية قرآنية بأن تتحرك في كل زمان ومكان في مجال التنظيم والتطوير حسب متطلبات الحياة ومستلزماتها، على ان لا يتعارض هذا التحرك مع نص صريح في القرآن الكريم ولا يكون خارجا عن دائرة الاخلاق التي حدد القران محيطها.

ثم ان لله سبحانه وتعالى في كل واقعة وفي كل تصرف حكمين، احدهما للظروف الاعتيادية وهذا ما يُسمى (العزيمة)[1] والاخر للظروف الاستثنائية الذي يُسمى (الرخصة)[2].

وفي باب الحلال والحرام بيّن لنا القران خمسة اقسام من الاحكام (الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهة، والاباحة) وكل حكم من هذه الاحكام الخمسة إما منصوص عليه في القرأن والسنة النبوية بصورة خاصة وبنص خاص، او متروك للعقل البشري يكتشفه عن

---

(١) العزيمة عبارة عن الحكم الأصلي الذي يجب على المكلف الاتيان به كما هو.

(٢) الرخصة تبدل الحكم من الصعوبة الى السهولة لعذر مع قيام سبب الحكم الاصلي.

طريق ارجاع الجزئيات الى تلك الكليات المعقولة المعاني في ضوء عللها الغائية وحسب المصلحة البشرية التي انحصرت مهمة الرسالة المحمدية في تحقيقها بمقتضى ضروريات الحياة وحاجيات الانسان في كل زمان ومكان، فقال سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ والرحمة كما ذكرنا مرارا هي مصلحة الانسان سواء اكانت مادية ام معنوية، دنيوية ام اخروية.

وعلى هذا الاساس فان الاحكام المبنية على المصالح تتغير بتغير تلك المصالح في جميع الامكنة والازمنة، وقد استخدم علماء الاسلام من الاصوليين والفقهاء والفلاسفة المصالح البشرية المشروعة لمعرفة احكام المستحدثات التي لم يرد حكمها في نص خاص، على اساس ان احكام الله معللة بالاغراض، فهي مصالح بالنسبة للانسان ومقاصد بالنسبة للشريعة وحكم بالنسبة الى الله.

فالغاية من جميع الاحكام التي كُلف بها الانسان ضمن قوالب الاوامر والنواهي، مقاصد الشريعة ومصالح الانسان وحكم الله، لان الله غني عن العالمين اذ لو استغرقت حياة كل فرد من افراد الانسان منذ الخليقة الى نهاية الحياة على كوكب الارض في السجدة والطاعة والعبادة، لما زادت من عظمة الله ذرّة، كذلك لو استغرقت الحياة البشرية في التمرد والالحاد والزندقة لما نقصت من عظمة الله ذرة.

ورغم هذه الحقيقة فان فلاسفة المسلمين من المعتزلة والاشاعرة والماتريدية وغيرهم اختلفوا في معللية الاحكام بالاغراض بين المؤيدين والمعارضين، فمنهم[1] من قال: ان احكام الله التي كُلف بها الانسان ليست معللة بالاغراض والعلل الغائية، وعللوا رأيهم هذا بأنه لو كانت احكامه معلله بالاغراض والبواعث والدوافع، للزمت نسبة النقص الى الله واكماله بتلك الاحكام، والله منزه عن كل نقص وغني عن العالمين، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾[2].

بينما قال الاخرون[3] بأنه ما من حكم من احكام الله الا وهو معلل بعلة غائية قد يُدركها العقل وقد لا يُدركها، والا للزم العبث في افعال الله والله منزه من ان يصدر عنه ما هو عبث.

---

[1] الاشاعرة.

[2] سورة آل عمران/ ٩٧.

[3] كالمعتزلة.

والواقع ان هذا الخلاف رغم اخذه مساحات واسعة من كتب اصول[1] الدين، الا انه خلاف عقيم، لأنه لفظي كاكثر خلافات علماء اصول الدين واصول الفقه، التي تؤدي الى ضيعة في الوقت والافنا، في العمر فيما لا يُقدم للبشرية نتيجة ايجابية او فائدة عملية.

ووجه كون الخلاف لفظيا ان من انكر تعليل احكام الله بالعلل الغائية والاغراض، ظن ان هذه الاغراض والمصالح تعود الى الله وتكمل نقصه، وهذا ما لا يقول به كل ذي عقل سليم، لان عدم وجود اي نقص في ذات الله محل الاتفاق قديما وحديثا.

ومن قال بأن احكام الله معللة بالاغراض، اراد ان تلك الاغراض والمصالح ترجع الى الانسان المكلف باداء تلك الاحكام، فمحل الخلاف ليس امرا واحدا، لذا يكون خلافا لفظيا عقيما لا مبرر له.

لان رأي كل طرف بمعزل عن الرأي الاخر.

يقول افلاطون: إذا حدد محل الخلاف ارتفع الخلاف.

---

[1] منها شرح المواقف للعلامة القاضي عضد الدين والملة الايجي وشرحه للسيد شريف الجرجاني وحاشية حسن جليل وحاشية مسعود الزوائي./٣/٤٥ وما يليهما.

الفصل السادس

حماية النفوس و الاموال والعقول من ضروريات الحياة

تـوزع دراسـة هـذا العنـوان على ثلاثـة
مباحث:
يخصـص الاول لحمايـة الـنفس ومـادون
النفس.
والثاني لحماية الاموال.
والثالث لحماية العقول.

المبحث الاول

ضرورة حماية النفس و مادون النفس[١]

ترجع الضروريات التي كُلف الانسان بحمايتها الى خمسة اقسام وهي:-

١- حماية الدين:- لان من لا دين له لا التزام له، ومن لا التزام له لا يصلح لان يكون عضوا في المجتمع ولا ان يكون مسؤولا يُكلف بخدمة عامة، لذا قيل (من له عقيدة فاسدة خير ممن لا عقيدة له).

٢- حماية النفس وما دون النفس:- لان الانسان خلق لاداء رسالته والقيام بدوره، فاذا أهدرت النفس هدرت رسالته التي كُلف بها وهي اداء الامانه التى قال في شأنها سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ[٢] عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ[٣] أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا[٤] جَهُولاً[٥]﴾[٦].

٣-حماية العرض:- الذي هو اساس استمرارية نوع بني الانسان بما يليق بمركزه بين الكائنات الحية، فاذا فُقدت حماية العرض في اي مجتمع تنحط منزلة اعضاء هذا المجتمع الى مستوى الحيوانية، فلا يبقى بينه وبين الحيوان في الاباحية والهمجية فرق.

---

[١] المراد بحماية النفس حماية الارواح والمراد بما دون النفس حماية اعضاء الجسم البشري من الاعتداء عليها.

[٢] الامانة هي كل ما يجب أن يقوم به الانسان تجاه غيره.

[٣] أي اباء اعتذار لا اباء تمرد لثقل تحمل مسؤوليتها.

[٤] صيغة مبالغة ظالم لانه ظلم نفسه لتقصيره في المستقبل في القيام بأداء هذه الامانة.

[٥] صيغة مبالغة جاهل لانه يجهل النتائج السلبية التي تترتب على اعماله أو تقصيره في اداء هذه الأمانة.

[٦] سورة الأحزاب/٧٢.

٤-حماية المال:- لأنه من مقومات حماية الحياة.

٥-حماية العقول:- لأن العقل ميزة ينفرد بها الانسان وهو مناط التكليف وأساس تحمل المسؤولية ووسيلة للتقدم البشري وتحقق الحضارة وتطورها.

فهذه المصالح الخمس يُطلق عليها مصطلح (المصالح الضرورية) او (مقاصد الشريعة)، فأي مجتمع يختل فيه مصلحة من المصالح الضرورية، يختل نظامه وتسود فيه الفوضى وتتغلب الرذيلة على الفضيلة.

وهي مصالح معتبرة نص القران على اعتبارها ويحق للمجتهد ان يبني عليها الاحكام لتنظيم الحياة في كل ما لا نص فيه، وقد قسمها علماء اصول الفقه من حيث الاعتداد وعدمه الى ثلاثة اقسام:-

أ- المصالح المعتبرة: وهي التى نص القران على اعتبارها وامر بالعمل بمقتضاها و بناء الاحكام التنظيمية عليها، فهي تشمل المصالح المشروعة كافة.

ب- المصالح غير المعتبرة: وهي التي نص الشارع على عدم اعتبارها وعدم جواز بناء الاحكام عليها، فتشمل جميع المصالح غير المشروعة.

ج- المصالح المرسلة:- وهي التي لم يرد نص على اعتبارها ولا على عدم اعتبارها.

وفي رأينا المتواضع انه لا توجد في شرع الله ولا في علمه ما يسمى المصلحة المرسلة، لأن كل مصلحة في الماضي والحاضر والمستقبل لم يرد بشأنها نص خاص، اذا كانت تخدم مصلحة معتبرة فهي معتبرة وتدخل في بابها، وكل مصلحة تخدم مصلحة غير معتبرة شرعا تُعد من فصيلة الاحكام غير المعتبرة، فهي بمثابة مصلحة نص الشرع على عدم اعتبارها وعدم جواز العمل بها. لذا نرى ان هذا التقسيم الثلاثي لا يليق بشرع الله، فاقترح الغاء القسم الثالث وحذفه في مراجع اصول الفقه.

متطلبات حماية الحياة

أ- من حيث الوجود:

شرع الله الزواج بين الصنفين[١] (الذكر والانثى) وجعل بينهما السكينة والمودة والرحمة للانجاب البشري، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وذلك لاستمرارية حياة بني نوع الانسان بما يليق بمركزه من بين الكائنات الحية على كوكب الارض، فتكوين الانسان مبني على قيام رابطة الزوجية بعيدة عن الاباحة الحيوانية والهمجية.

ب- من حيث الحماية من الاعتداء الذاتي:

فرض على الانسان امورا تتعلق بحماية الشخص لنفسه وعدم الاعتداء على صحته وحياته منها ما يأتي:-

١- على الانسان ان يتناول الطعام والشراب من الطيبات بصورة مستمرة للمحافظة على حياته، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾[٣].

٢- فرض على الانسان عدم الافراط في العمل واعطاء نفسه قسطا من الراحة النفسية والقلبية والبدنية، كما قال الرسول ﷺ: (ولنفسك عليك حقا)[٤].

٣- امر الانسان ان يأخذ حصته من خيرات الارض لحماية سلامة بدنه ووقاية حياته واستمراريتها، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾[٤].

---

[١] لستعمل الفقهاء وعلماء القانون تعبير (الجنس) بدلا من (الصنف) وهذا خطأ شائع لا يغتفر لان الجنس تتدرج تحته الانواع وهي مختلفة في حقائقها وماهيتها، كجنس الجريمة تتدرج تحتها أنواع الجرائم المختلفة في الماهيات والحقائق كالقتل والسرقة وخيانة الامانة ونحوها.

[٢] سورة الروم/ ٢١.

[٣] سورة البقرة/١٧٢.

[٤] البخاري/ كتاب الأدب ٥٧٨٨

٤- امر الانسان باستثمار خيرات الارض والانتفاع بها لحماية حياته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١] أي الذين يُحسنون استثمارها للانتفاع بخيراتها واستمرارية حياتهم.

٥- امر بنظافة البدن والالبسة والمكان والقلب كما في الصلوات الخمس.

٦- حرم الانتحار واعتداء الشخص على نفسه بالقتل، لان حياة كل فرد مشتركة بينه وبين المجتمع، فلا يملك كل انسان ان يتصرف في جسده بما يضر سلامته وبقائه. قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٢] ومن الواضح ان هذا يشمل القتل المباشر كما في الانتحار والقتل غير المباشر كما في التدخين.

٧- حرم ما يجر الانسان في المآل الى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٣] ومن الواضح ان ممارسة التدخين تجر الانسان بصورة تدريجية الى التهلكة في الصحة والحياة.

ج- من حيث الحماية من الاعتداء الخارجي:

فرض الدفاع عن النفس وحرم القتل واوجب القصاص كالاتي:-

١- فرض على الانسان الدفاع الشرعي في حالة غياب من يدافع عنه، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[٤] والدفاع الشرعي لا يقتصر على دفاع الشخص عن نفسه بل يجب ان يدافع عن غيره كما يدافع عن نفسه.

٢- وحرم القتل بدون مبرر شرعي، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٥].

٣- وفرض القصاص على المعتدي على النفس ومادون النفس وجعل القصاص سببا لحماية الحياة، فقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[١] وقال في

---

[١] سورة الانبياء/١٠٥.
[٢] سورة النساء/٢٩.
[٣] سورة البقرة/ ١٩٥.
[٤] سورة البقرة/١٩٤.
[٥] سورة المائدة/٣٢.

قصاص الاعتداء على النفس: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[٢] وقال في قصاص الاعتداء على ما دون النفس: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا[٣] أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[٤] وهكذا فرض الله على الانسان ان يحمي نفسه، كما فرض على السلطة العامة توفير الامن والاستقرار لحماية حياة الافراد الخاضعين لها ومنع انتشار كل ما يضر بالصحة العامة.

---

[١] سورة البقرة/١٧٩.

[٢] سورة البقرة/١٧٨.

[٣] في التوراة ومن البدهي ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا اقره القرآن.

[٤] سورة الاسراء/٤٥.

المبحث الثاني
ضرورة حماية الاموال

كما ان حماية الحياة قد تكون من الاعتداء من الشخص ذاته، وقد تكون من الاعتداء الخارجي، كذلك حماية المال تكون من الاعتداء الذاتي، كما تكون من الاعتداء الخارجي.

أ- من صور الاعتداء على المال من قبل صاحبه ذاته ما ياتي:-

١- التبذير وهو صرف المال في غير موضعه او في محل لا معقول كالتدخين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ فبدلا من ان تبذر مالك في التدخين، اعطه لذوي القربى والمساكين وابن السبيل، ووصف المبذرين بانهم من اخوان الشياطين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[1] صفة المبذر تنطبق على المدخن شرعا وقانونا وعرفا.

٢- التدخين اسراف والله لا يحب المسرف، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2] وقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3].

٣- الاكل بالباطل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[4] لان المال الذي يصرفه المدخن هو جزء من نفقة من تجب عليه نفقته، ويقطع من قوت اسرته بعضا من متطلبات عيشهم، وبوجه خاص اذا كان المدخن غير متمكن ماليا.

٤- للتدخين اضرار اقتصادية عامة كبيرة، لانه يمثل احد معوقات التنمية الاقتصادية وبوجه خاص في الدول النامية، فهو كما يضر بالاقتصاد الشخصي يضر بالاقتصاد العام والدخل القومي ايضا.

---

[1] سورة الاسراء/٢٧.

[2] سورة الانعام/١٤.

[3] سورة الاعراف/٣١.

[4] سورة النساء/٢٩.

٥- تشير احصائيات منظمة الصحة العالمية الى ان عادة التدخين مستمرة في الزيادة في العالم، وبوجه خاص بين الشباب، وان الخط البياني نحو الصعود رغم انه يجلب كارثة اقتصادية واجتماعية وصحية لافراد الاسرة البشرية، ما لم توضع طرق علاجية لهذا الوحش الحضاري، الذي استسلم له الناس من الذكور والاناث ومن الكبير والصغير ومن الفقراء والاغنياء.

ب- حماية الاموال من الاعتداء الخارجي:

الاعتداء الخارجي على المال العام اما جزائي او مدني، فهو جزائي اذا كان مقترنا بالقصد الجنائي والا فهو مدني. مثلا الاعتداء الجزائي حدد المشرع والقانون له العقوبة، ففي الشريعة عقوبة السرقة حددها القران في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وجريمة الغصب عقوبتها تعزيرية، ترك تقديرها للسلطة التشريعية الزمنية، لكن الجريمة ذاتها ثابتة بالنص القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[2] والمسؤولية المدنية عن الاعتداء على مال الغير اما عقدية وهي الاخلال بالتزام تعاقدي (اي الاخلال بالتزام خاص)، واما تقصيرية[3] وهي الاخلال بالإلتزام العام (اي الالتزام بعدم الحاق الضرر بالغير بدون مبرر)، وفي الحالتين الجزاء عبارة عن التعويض المالي لاملاء الفراغ الذي تركه الاعتداء على المال المعتدى عليه. والمراد بالأكل في هذه الآية الكريمة هو كل تجاوز على حق الغير بدون مبرر شرعي، فلفظ (أكل) أينما ورد في القرآن الكريم يكون من باب العموم العرفي.

فجزاء الاعتداء على مال الغير عن طريق السرقات في الاسلام حدية، وفي القانون تعزيرية متروك للسلطة التشريعية الزمنية، وجزاء كل اعتداء على مال الغير (عدا السرقات) متروك للسلطة التشريعية، اي يكون تعزيريا.

وفلسفة الجزاء في الشرع والقانون سواء أكان جنائيا ام مدنيا، حماية الاموال من الاعتداء عليها من طرف خارجي.

---

[1] سورة المائدة/٣٨.

[2] سورة البقرة/ ١٨٨.

[3] عناصر المسؤولية التقصيرية ثلاثة: العمل غير المشروع الذي يسمى الخطأ والضرر، وعلاقة السببية بينهما.

المبحث الثالث

ضرورة حماية العقول

الميزة الوحيدة التي يتمتع بها الانسان وتؤهله لان يكون سيد الكائنات الحية هو العقل وحده، فالحيوان يشترك مع الانسان في جميع مستلزمات الحياة وفي جميع الاعراض الذاتية والخواص، بأستثناء ميزة العقل، فهي يختص بها الانسان دون غيره، لذا فرض على الانسان ان يُحافظ على هذه الميزة حتى يحتفظ بسيادته على الحيوانات والجمادات في كوكب الارض، فبالعقل يُميز الانسان بين الخير والشر، والنفع والضرر، وبالعقل ينظم الانسان حياته ويضع حدود وضوابط التصرفات بحيث ياخذ كل فرد حقه في الحدود المحددة ولا يتجاوز على حق الغير. قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾.[1]

وبالعقل يكتسب الانسان المجهولات من المعلومات المخزونة لديه لتطوير حياته نحو الافضل. وبالعقل تتكون الحضارة البشرية وتتطور الخدمات الضرورية في الحياة. وغير ذلك من انجازات العقول التي لا تعد ولا تحصى، ولهذه الاهمية حرّم الشارع العظيم على الانسان كل ما يُعطل هذه الميزة عن انتاجه، او يُحدث فيه خللا يجعله مشلولا كليا او جزئيا، بحيث يخرج عن العالم الانساني ولا يفكر الا فيما يتعلق بنفسه.

فحرم الشرع على الانسان المسكرات والمخدرات بانواعها كافة.

وزعم كثير من الناس ان القرآن لم يُحرم صراحة المسكر، كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ونحو ذلك، وهذا الزعم باطل للادلة الاتية:-

اولا:- اعتبر القران السكر عملا قبيحا لكونه مضرا لذاته، فهو قبيح محرم لذاته شرعا وعقلا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا

---

[1] سورة البقرة/٢٢٩.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ وقد اوضحنا سابقا ان عطف الرزق الحسن على السكر دليل قطعي عل ان للسكر رزق قبيح، لانه لا يوجد شق ثالث بين الحسن والقبيح.

ثانيا:- بين لنا القران الكريم بنص صريح ان ضرر الخمر التى تشمل كافة انواع المخدرات والمسكرات اكثر من نفعها، فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ فالعقل السليم قبل الشرع وبعده يقضي بان كل ما يكون ضرره اكثر من نفعه، عمل غير مشروع وغير معقول.

ثالثا:- وضع القران الكريم الخمر في مصاف الانصاب (الآصنام) فقال: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ...﴾ وتقديس الاصنام من الجرائم الكبرى، بل هو شرك لا مجال للعفو والمغفرة فيه، فقال تعالى سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1] . وبمقتضى هذه الاية كل ذنب يرتكبه الانسان قابل للعفو والمغفرة، باستثناء الشرك المثل بتقديس الاصنام وعبادتها. ومن الواضح ان وضع المسكر في مصاف الصنم لدليل قاطع على ان تعاطيه جريمة من الجرائم الكبرى.

رابعا:- وضع القران الكريم تعاطي المسكرات و المخدرات الى جانب الازلام التى هي قمة الكفر والضلال والخطورة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ... الآية﴾. والازلام سهام كانوا قبل الاسلام يكتبون على بعضها (امرني ربي)[2] وعلى البعض الاخر (نهاني ربي) ويتركون الباقي خاليا من الكتابة، ثم يضربونها، فان خرج الامر اقدموا على الفعل الذي اعتزموا القيام به، وان خرج النهي انتهوا، وان خرج السهم الذي لم يُكتب عليه شيئ، اعادوا ضرب السهام مرة اخرى[3]. وقد حرم الله الاستقام بالازلام لما فيه من السخافة في الرأي والفساد في العقيدة ومن الخرافات الوثنية والجاهلية.

---

[1] سورة النساء/٤٧.

[2] المراد بالرب هنا هو الصنم.

[3] الاستاذ باقر خليل الخليلي:- الخمر واضرارها الصحية حرمتها الشريعة/ص٢٢.

خامسا:- وصف القران المسكرات والمخدرات بانها رجس اي نجس لذاته غير قابل لازالة نجاسته، والفرق بينه وبين الرجس ان الثاني لا يقبل التطهير والتنظيف، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ﴾.

سادسا:- نص القران على ان تعاطي المسكرات والمخدرات من عمل الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فهل هناك عاقل على سطح كوكب الارض يقول بان عمل الشيطان مباح وهو عدو الله وعدو الانسان.

سابعا:- تعاطي المسكرات يجعل العقل مشلولا او خفيفا لا يُدرك قيمة شخص يجالسه او يصاحبه في حالات السكر وفقدان الوعي، فيعتدي عليه او على غيره بالعمل والكلام غير اللائق، وهذا السلوك من الاعمال غير الشرعية. فكل وسيلة تجر الانسان الى ارتكاب عمل غير مشروع مرفوضة شرعا وغير مشروعة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾.

ثامنا:- تعاطى المسكرات وللمخدرات يحول دون ذكر الله ودون التفكر في مصالح المجتمع ومصالح اسرته، لان السكران حين سكره لا يتفكر الا بشؤون نفسه بحيث يمنعه ذلك عن عبادة الله، وفي مقدمتها الصلاة التي هي رابطة بين العبد وخالقه، فقال تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاَةِ﴾.

تاسعا: وفي نهاية الاية قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ فهذا الاستفهام انكاري وهو اقوى بكثير من النهي وصيغة التحريم.

عاشرا:- استعمل القران الكريم في هذه الاية تعبير (فَاجْتَنِبُوهُ) وعادة هذا التعبير لا يُستعمل الا لما فيه خطورة، وعلى سبيل المثل في الامراض السارية يقال لا تقتربوا من المصاب بالتدرن الرئوي مثلا، بينما يُقال في الطاعون (أو كوليرا) فاجتنبوه، لان الثاني اخطر من الاول، فقد يصاب به الانسان من بعيد.

ونكتفي بهذا من استعراض الادلة النقلية والعقلية على تحريم الخمر بجميع انواعها.

وكل دليل من هذه الادلة المذكورة يكفي وحده لان يكون حجة قاطعة على تحريم الخمر وعلى تحريم التدخين من باب اولى، لان الخمر فيه نفع وضرر، لكن ضرره اكثر من نفعه، بخلاف التدخين فانه لا يوجد فيه اي نفع، لا من قريب او بعيد.

وفي الختام أقول للسادة السطحيين الغافلين عن جوهر أحكام القرآن، بأنه لا مجال للإجتهاد في مورد النص، وقد بيّنا في مقدمة هذا الكتاب عشر آيات، كل واحدة منها تدل دلالة قطعية على أن التدخين مُحرم، وأن القرآن لا يُعارَض بالإجتهادات للمذهبية والإستدلال بالإستصحاب المقلوب، أي عدم كون التدخين مُحرما في الحاضر لعدم تحريمه في الماضي في اجتهادات الفقهاء، إضافة إلى أن هؤلاء الفقهاء رحمة الله عليهم، لو كانوا مطلعين على أضرار التدخين التي اكتشفها العلم والطب، لما ترددوا لحظة واحدة في الحكم عليه بالتحريم.

والسلام على من اتبع الهدى..

رَبِّ زدني علما وألحقني بالصالحين

ملحق

من بين كل الطرق الوقائية لمنع حدوث الأمراض تبقى الوقاية من التدخين لتقليل عدد حالات الأموات والأمراض هي الأهم، في عام ٢٠٠٠ كانت هناك (٤,٨) مليون حالة وفاة تعتبر الموت قبل الأوان بسبب التدخين، (٢,٤) مليون في الدول النامية و (٢) مليون في الدول المتقدمة، أكثر من ثلاثة ارباع (٣,٨ مليون) من هذه الحالات كانت من بين الرجال، والسبب الرئيس لحالات هذه الأموات والتي كانت بسبب التدخين حدثت في الجهاز القلبي الشرايني الدموية (١,٧) مليون وفاة، أمراض الجهاز النفسي المزمن (١) مليون وفاة وأمراض سرطان الرئة و(٠,٩) مليون وفاة.

يعتبر التدخين السبب الرئيس في موت واحد في كل من أربعة أشخاص في الولايات المتحدة الآن ومن حسن الحظ هناك تقليل في عدد المدخنين في الولايات المتحدة تحديداً، هناك فقط (٢٠٪) من الأمريكيين البالغين المدخنين و(٢١,٦٪) من البالغين في الصف الثاني عشر من المدخنين.

النيكوتين:

مادة رئيسية مسببة للإدمان وذلك عن طريق ارتفاع مستوى مادة (الدوبامين) في الدماغ وعند الإمتناع عن التدخين هذه المادة تسبب اعتداد في الدماغ البشري.

المدخنين والمدخنات يموتون بمعدل (٥-٨) سنة قبل الذين لم يدخنوا يوماً.

المدخنون لديهم حالات قلبية مرضية قاتلة بضعفي غير المدخنين، هناك عشرة أضعاف حالة سرطان في الرئة مقارنة بغير المدخنين، وبضعة (عدة) مرات أكثر بسرطان الفم، المري، الحنجرة، البنكرياس، الكلية، المثانة وعنق الرحم، هناك ازدياد بنسبة ضعفين إلى ثلاثة أضعاف حالات تجلط أو السكتة الدماغية والقرحة الإثنى عشري.

وهناك حالات من ضعفين إلى أربعة أضعاف ازدياد في حالات كسر العظام في العمود الفقري والورك، هناك ازدياد أربعة أضعاف حالات في التهاب ذات الرئة في أمراض الصدر وهناك ازدياد ضعفان في حالة (أعتام عدسة العين).

في الولايات المتحدة كمثال ٩٠٪ من حالات التهاب القصبات المزمنة تقع في نسبة المدخنين أو المقتلعين عن التدخين. في كلتا الحالتين المدخن الرئيسي والمدخن السلبي (الشخص الذي لا يدخن ولكن يكون بقرب المدخن) هناك ازدياد في حجم قطر الشريان الأبهر والشرايين التاجية وتصلب الشرايين، هناك ازدياد ملموس في حالات سرطان أمراض الدم (لوكينيا) وسرطان الكولون وسرطان البروستات بين المدخنين من بين المدخنات هناك زيادة ملحوظة في حالات أورام الثدي الخبيثة وهشاشة العظام ومرض الزهايما (خرف العقلي).

في دراسة السرطانات الرأس، العنق، الرئة، المري، المثانة، هناك علاقة واضحة بين التدخين والطفرة في الجنين (P53)، هذه الحالة هي من اشهر حالات الطفرة الجينية المسببة للسرطان حتى في حالات العلاج الإشعاعي لسرطان الراس والعنق كانت هناك استجابة أقل بين الذين استمروا في التدخين والذين اقتلعوا عن التدخين، تعتبر العصب الأول القحفي (الرأسي) عصب الشم هي أول المتضررين في الأشخاص المدخنين، هناك زيادة واضحة لتجعدات الوجه، هناك زيادة بنسبة ٢,٥ مرة بين للدخنين في حالات اضلال وتفسخ خلايا العين.

تعتبر حالات الولادات الجديدة لأشخاص المدخنين والمدخنات يولدون بوزن أقل من الطبيعي وهناك زيادة في حالات احتباس أو تقليل الذهني والفكري ولدى هذه الولادات هناك حالات اكثر في التهاب القصبات وحالات الإلتهاب المزمن في الأذن وهناك علاقة مباشرة بين تعلم التدخين كحالة وراثية.

التعرض لدخان الناجم من التدخين هناك ازدياد حالات سرطان عنق الرحم، سرطان الرئة، التهاب ذات الرئة، وأمراض القلب. من بين (٤٥٠,٠٠٠) حالة ليدها علاقة بالتدخين السلبي (الذين لا يدخنون وتعرضوا للدخان) هناك (٥٣,٠٠٠) شخص أصيبوا مباشرة بأمراض سببها التدخين.

كإحصاء عام في الولايات المتحدة تعتبر الكلفة السنوية في حالات الإنفاق الصحي لأشخاص أصيبوا بسبب التدخين تعادل (٩٦) مليار دولار أمريكي في السنة الواحدة وتقابله خسارة أخرى بمقدار (٩٧) مليار دولار أمريكي في القدرة الإنتاجية، بمعنى خسارة اجمالية تعادل (١٩٣) مليار دولار أمريكي سنوياً.

الإمتناع عن التدخين تقلل حالات الموت في فئة السكتة القلبية الحادة في أمراض عدم كفاءة الشرايين التاجية وفي فئة الأشخاص الذين أجريت لهم عملية التداخل القسطاري في شرايين القلب، هنالك حالات أقل في السكتة الدماغية، هنالك بطئ في تقدم حالات تصلب الشرايين وهنالك تحسن واضح في العلامات المرضية لمرضى التهاب القصبات المزمنة.

كمعدل عام في السيدات اللواتي اقتلعن عن التدخين في عمل (٣٥ سنة) هنالك معدل أكثر في الحياة بنسبة ثلاثة أعوام لكل شخص وفي فئة الرجال سنتان لكل شخص. هنالك تباين واضح في معدل سنوات الحياة المتوقعة في فئة (٦٥ سنة) بنسبة أكثر للذين أو اللواتي اقتلعن أو اقتلعوا عن التدخين.

في للمعدلات العامة من بين كل ٤٠٪ مدخن حاول الإقلاع عن التدخين، هنالك ٤٪ حالة ناجحة من بين الأشخاص الذين أخذوا النصح من قبل الطبيب، هنالك من اقتلع عن التدخين بنسبة (١,٦) من أكثر ممن لم يأخذ النصح من الطبيب، من بين ٧٠٪ من المدخنين يراجعون الأطباء سنويا من بينهم ٢٠٪ من يأخذون النصح بالإقتلاع عن التدخين بصورة جدية سواء اقتلع أم لم يقتلع.

العوامل التي ساعدت في انجاح عملية الإقتلاع عن التدخين هي وجود قانون أو تنظيم أسري يمنع التدخيل داخل منزله، وذلك من خلال وجود شخص أكبر عمراً أو امتلاك مستوى ثقافي يمنع التدخين داخل منزله، هذه الفئة يستطيعون الإقتلاع عن التدخين أما بمستشارة شخص أخصائي أو معالج للأدوية يستطيع لن يجعل المدخل يمتنع عن التدخين بطريقة خاصة.

العوامل المساعدة الي تجعل من المدخن أن يقتلع عن التدخين هي عاملين أساسيين:

أ- عامل الوقت: يجب أن يكون هنالك مدة معينة كجدول زمني لتقليل ثم الإقلاع عنه نهائياً.

ب- عامل الأسلوب أو طريقة العمل: يجب مراعاة الجدول الزومني في الخطوة الأولى وتذكير للمدخن بجدولة عندما يتجاوز حدود جدوله المطلوب..*

من كتاب (Currentmcl:al Pragnosis & Trcotmat) طبعة .Mc Graw Will

---

* مجلد (GANA) ١٩٩٦ ابريل (نيسان) الجمعية الطبية الأمريكية.

هناك ازدياد مثير لحالات الأمراض المزاملة والمرافقة للتدخين.

التدخين هي حالة اساسية تؤدي إلى سرطان الرئة وحالات التهاب القصبات المزمنة، معظم المدخنين يموتون بأمراض صدرية وأمراض الشرايين القلبية.

التدخين هي المسبب الرئيس لسرطانات الجهاز التنفسي العلوي والجهاز الهضمي، البنكرياس، المثانة والكلية، هناك ازدياد في حالات تصلب الشرايين، السكتة القلبية والقرحة الإثنى عشرية.

الأمهات المدخنات لديهن حالات ولادة لأطفال بأوزان أقل من المعدل وأمراض الرئة أكثر في الأطفال المدخنات. عندما تجلت حالات الأمراض المتزامنة مع التدخين كان اعتقاد الأطباء هم أن التنبيه لهؤلاء الأشخاص قد تقلل أو يقلع الشخص عن التدخين ولكن لم تكن كذلك، بل ان عملية وضع رسومات ضريبية على شراء علب التدخين والإمتناع عن عرض الدعايات الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة كانت من بين الأسباب الرئيسة لتقليل في حالات المدخنين كما تمت استنتاجها في دول أوروبا، وبالأخص المملكة المتحدة (بريطانيا) بلغت ذروة الإمتناع أو حضر عملية التدخين في الأماكن العامة كافة وذلك أتت عن طريق قناعة الأفراد بخطورة الدخان المتسببة في التدخين السلبي أو كما يقال الثانوي (الشخص الغير المدخن المجاور أو المرافق لشخص المدخن).

ومع ذلك الآن تواجه أوروبا موجة من ازدياد حالات التدخين في الأماكن المستوطنة في فئة الفقراء. وأيضاً ازدياد حالات التدخين في فئة السيدات الشابات في كافة الطبقات.

في الدول النامية وجدت شركات التبغ أسواقاً جديدة يسهل عليهم عملية البيع دون قيد أو شرط أو عملية حضر فئات معينة لشركة معينة دون الأخذ بالحسبان بالسيطرة النوعية لتلك الشركات.

الآن في جميع انحاء العالم تقدر عدد المدخنين بـ(مليار واحد) من الأشخاص وهناك حالات الموت حوالي (٣) ثلاثة ملايين شخص بسبب هذه العادة السيئة وذلك بمختلف الطرق سواء كانت لها علاقة بمرض مفتعل بسبب التدخين أو حادثة لها علاقة بالتدخين.

في الواقع هناك تسلسل معقد في النظام العصبي للمدخن عندما يبدأ التدخين ريستمر في التدخين.

في المستوى الخللي والبايولوجي يؤثر النيكوتين على الجهاز العصبي لتكوين حالة الحالة أو التابع هذه الحالة في اللغة العامة هي ما يسمى بعدم قدرة المدخن على عدم التدخين. وذلك بسبب ظهور علامات غير مرغوبة في الشخص الذي يحاول الإبتعاد عن التدخين على الأقل لذا هذه الحالة الإدمانية تمنع للمدخن من الإبتعاد ولو قليلاً عن التدخين حتى إذا كان على علم ودراية بمضار التدخين.

حالة الإدمان على التدخين ينطوي على مشاكل اجتماعية لا تقل صورة عن المشاكل الصحية، من بين المشاكل الإجتماعية الخطيرة يدعم للمدخن عملية التدخين بدافع اجتماعي لشخص ما دخن في كل حياته التدخين وعاش حياتاً طويلة ومات في السلام، هذه العلاقة الإجتماعية الخطرة يجعل من المدخن وحتى غير المدخن أن يأخذ هذا الشخص كمثل أعلى دون الرجوع إلى الأرقام الإحصائية الواقعية التي تظهر مدى سوء التدخين.

والحالة الثانية السيئة في الواقع الإجتماعي التي تساعد على التدخين هي في فئة الآنسات والسيدات الشابات اللواتي تحاولن الحفاظ على رشاقة اجسامهن ومظهرهن من خلال عملية التدخين وذلك بعذر أن التدخين يساعد على فقدان الشهية للأكل، في العالم الواقعي هناك عوامل مساعدة كثيرة في البيئة البشرية يساعد المدخن على استمراره في التدخين أو يساعد غير المدخن على تعلم التدخين ومن جملة هذه الأسباب هي تلويح بوجود ضغط نفسي، الدعايات المقرؤة والمسموعة والمرئية لشركات التبغ وإيجاد شخص ما نفسه في موقع ما يساعد على التدخين.

حاولت مؤسسات وشركات التبغ جاهدة بالتوسع في مجال بيع البضائع التي لها علاقة بالتدخين والتبغ نفسه من خلال تخصيص ميزانية هائلة للدعاية تفوق هذه الميزانية المخصصة في مجال الصحة والتخطيط والإعلام الصحي في مضمار بيان مضار التدخين وطرق الإمتناع عن التدخين.

الإستراتيجية المتبعة في المملكة المتحدة لمنع أو مساعدة الإقلاع عن التدخين سنذكره لاحقاً نسبة نجاح هذه الطريقة هي متوسطة ليست جيدة ولا سيئة تتطلب هذه ال الطريقة

تنفيذا من قبل بعض المؤسسات الصحية ويحتاج إلى تخصيص ميزانية له في بعض المرات قد تكون هذه الميزانية غير متوفرة.

الطرق العامة للإقلاع عن التدخين تنقسم على فئتين:

الفئة الأولى: الذين يكثرون من التدخين.

الفئة الثانية: هم من يدخنون بقلة.

الفئة الأولى، هم من يدخنون أكثر من (١٥) سيكارة يومياً.

الفئة الثانية، هم من يدخنون أقل من (١٥) سيكارة يومياً.

يتم توزيع هؤلاء الأشخاص حسب عدد السكائر المدخنة في اليوم إلى برنامج صحي يمتد في بعض الحالات إلى أكثر من ستة (٦) أشهر.

وتتم التوعية الصحية وتوزيع أدوية معينة ووضعهم في مجابهة مدخنين آخرين نجحوا في الإقلاع عن التدخين ليشرحوا الفرق الحاصل ما بين فترة تدخينهم وعدم تدخينهم.*

Davidson's principles & Pwefice 7 Medicae
21th editew 2010.

* هيئة التوعية الصحية في اسكوتلندا، أدنبرة، ٢٠٠٠.

حكم التعامل مع الجين
البشري في الشريعة
الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة البحث[1]

حكم التعامل مع الجين البشري في الشريعة الاسلامية مبنى على ما يحققه من نفع او دفع ضرر.

وقد اشار القرآن والسنة النبوية الى تأثير الجين الوراثي في سلوك الانسان.

وورد في السنة ما يقارب او يرادف الجين وهو العرق.

وحكم كل ما لم يرد بشأنه نص خاص يؤخذ من المصلحة التي يحققها عند علماء اصول الدين واصول الفقه.

ويؤخذ حكمه من حسنه وقبحه العقليين عند المعتزلة فكل ما هو حسن لذاته او لغيره فحكمه هو الجواز وكل ما هو قبيح لذاته او لغيره فحكمه هو الحظر.

وبما ان الجين لم يتبلور بعد نفعه وضرره او حسنه وقبحه فان الحاقه بالمحظورات او المباحات سابق لأوانه.

---

[1] للقيت هذا البحث في مؤتمر كلية الحقوق – بغداد في ١٥–٤–٢٠٠٢.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم القائل (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)[١].

وعد الله بني الانسان ان يطلعهم على بعض من خفايا الكون وخفايا انفسهم ليزدادوا ايمانا بانه الحق.

ووعدهم بان يريهم عن طريق الاكتشافات العملية اسرار الكون بوجه عام واسرار انفسهم بصورة خاصة.

ولقد صدقهم الله وعده فكشف لهم الكثير عن آياته الكونية في الفضاء من الكواكب والمجرات والمجموعات الشمسية وطبيعة كل ما يسبح في فلكه، فعرفوا ان كوكب الارض الذي كانوا يظنونه مركز الكون ان هو الا بمثابة ذرة صغيرة من هذا الكون العظيم الذي لا تزال عقول علماء الفضاء حيارى اين يبدا وأين ينتهي؟

وعرفوا ان اساس بناء الكون هو الذرة وان الذرة مصدر الاشعاع الكوني. وعرفوا وحدة النواميس التي تربط كوكبك بالكون الكبير، ولم تكن فتوحات العلم والمعرفة في اغوار النفس باقل منها في جسم الكون، فعرفوا وظيفة كل عضو من اعضاء الجسم البشري والاسباب الصحيحة والمرضية والطرق العلاجية، فظهرت على بساط البحث والعمل اكتشافات منها طبيعية في الانفس البشرية ومنها الافاقية، وكل ذلك حدث على اساس وعد الله بان يريهم آياته في الآفاق وفي انفسهم.

ومن هذا يتبين لأولي الالباب ان الاسلام دين الفطرة كما قال تعالى (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)[٢]، وانه دين العلم ودين مقتضيات العقل السليم ودين التطور والحضارة والتقدم، غير ان الجهل فصل بينه وبين هذه الامور.

فعلى كل مسلم ان ينظر الى المستجدات والمكتشفات العلمية بنور الايمان وان لا يقف حجر عثرة امام التطور العلمي اذا لم يكن مساهما فيه وان لا يكون متشائما وسلبيا ضد كل

---

(١) سورة فصلت – آية: ٥٣.

(٢) سورة الروم – آية: ٣٠.

مكتشف علمي حديث، لان كل حدث علمي في الماضي والحاضر والمستقبل سلاح ذو حدين، فكما ان السلاح يقتل به الابرياء ويحمي به حقوق الناس في الحياة والعرض والمال وغير ذلك من المصالح الضرورية، كذلك المكتشفات العلمية لها جوانب ايجابية واخرى سلبية، فلنقم بالموازنة والمقارنة بين ايجابياتها وسلبياتها، ثم نتعامل معها على اساس جلب المنافع ودرء المفاسد.

وعلى هذا الاساس احاول في هذا البحث ان استعرض اهم طرق معرفة احكام ما لا نص فيه عند علماء اصول الدين واصول الفقه وفلاسفة المسلمين في اربعة مباحث: الاول في التعرف بالجين البشري لغة وشرعا، والثاني طريقة المصلحة، والثالث دوران الحكم مع علته، والرابع طريقة الحسن والقبح العقليين.

المبحث الاول

التعريف بالجين البشري لغة وشرعا

لفظ الجين هل هو عربي او اجنبي؟

يرى جميع الباحثين انه ليس عربيا وانما هو مصطلح اجنبي، لكن في اعتقادي المتواضع انه مصطلح عربي في الاصل رغم ان اليونانيين والرومانيين استعملوه بمعنى الاصل والمنبت، وبمعنى العشيرة المنحدرة من اصل مشترك. رغم ان هذا المصطلح لم يرد حسب ما اعلم في اي قاموس او معجم عربي.

والدليل الذي استند اليه في دعوى كون لفظ الجين البشري او الجينات عربيا في الاصل، هو ان كل كلمة عربية تجتمع فيها حرفا (ج) و (ن) تدل على شيء خفي غير مرئي وغير مشاهد بالعين المجردة شأنها شأن لفظ الجين ومن تلك الكلمات: لفظ (الجنين) يطلق على الولد مادام في بطن امه لأستتاره في رحم الأم، اما بعد ولادته فلا يطلق عليه هذا اللفظ وجمعه أجنة، كما قال تعالى: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) [١]، ومنها (الجنة) للمكان الخفي غير المرئي المعد للصالحين كما يقول سبحانه وتعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ)[٢].

ومنها (الجن)، وهو عالم مخلوق وموجود وثابت مع انه لا يرى بالحس والمشاهدة، قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٣].

---

[١] سورة النجم – آية: ٣٢.

[٢] سورة البقرة – آية: ٨٢.

[٣] سورة الاسراء – آية: ٨٨.

ومنها (الجنون)، وهو مرض خفي لا يدرك بالحس المجرد يصاب به الانسان في عقله او دماغه قال تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ)[١].

ومنها (الجنف)، للميل عن الحق خطأ، قال تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ)[٢].

وقال ابن منظور[٣]: (ان لفظ ج ن هو موضوع لتستر). يقال جننت الشيء في صدري اي أكننته وسترته، وغير ذلك من عشرات الكلمات العربية المتضمنة لحرفي (ج ن) وهي تدل على معنى لا يدرك بالحس او بالعين المجردة، لذا ارى ان لفظ (الجين) يرجع الى هذه الفصيلة في اللغة العربية.

الجين في اصطلاح علماء الاحياء

وقد عرف بتعريفات متعددة منها: ان الجينات هي التي تحمل المعلومات او الصفات الوراثية الضرورية لبناء جسم حي وهي المسؤولة في كل ما يتوارثه الصفات.

وجميع التعريفات تدور حول محور واحد وهو انه جزئي بيولوجي[٤] يحمل الصفات الوراثية داخل الخلية.

والتعريف المختار هو ان الجين الوحدة الوراثية الوظيفية المسؤولة عن وظيفة معينة.

طبيعته

اختلف في تكييفه والصواب انه شيء لأنه ينطبق عليه تعريف الفلاسفة حيث قالوا: الشيء هو كل ما يمكن ان يعلم ويخبر عنه، ولكنه ليس شيئا ماليا قابلا للتعامل لأنه جزء من جسم الانسان والله كرم الانسان وحرم التعامل في كل ما يمس هذا التكريم.

---

[١] سورة الطور – آية: ٢٩.

[٢] سورة البقرة – آية: ١٨٢

[٣] لسان العرب، فصل الجيم حرف النون ١٦/٨٥١.

[٤] بيولوجيا علم الاحياء وعلم الكائنات الحية ينقسم الى علم الحياة وعلم النبات.

الجين في القرآن:

أشار القرآن الكريم الى ان الجينات تنقل الصفات الوراثية من السلف الى الخلف، قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام حين الهبت عيسى (عليه السلام) وهي بنت باكر غير متزوجة (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)[١]، ومضمون هاتين الآيتين: هو ان سلوك الخلف اذا كان سيئا فقد ورثه من احد ابويه او من كليهما عن طريق الجينات الوراثية، وليس من المستغرب ان يسلك الولد سلوكا جرميا اذا كان احد ابويه كذلك وانما الغريب لن يتولد الصالح من الطالح والطالح من الصالح.

وقال تعالى في آية اخرى: (قَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا)[٢]، لان استعداد الفجور ينتقل عن الجينات الوراثية من السلف الى الخلف. وهذا دليل واضح على ان في جسم الانسان جزيئات تتولى نقل الصفات الوراثية، ولن القرآن الكريم اشار اليها قبل الاكتشافات العلمية بمئات السنين.

الجين في السنة النبوية

قبل الاكتشافات العلمية الحديثة المتعلقة بتأثير الصفات الوراثية بمئات السنين، بين الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) هذا التأثير الجيني بلفظ يرادف الجين وهو العرق، فقال مخاطبا شباب امته حين اختيار شريكة حياتهم: ((تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع))، اي ينقل الصفات الوراثية ان كانت خيرا فخير وان كانت شرا فشر، وقال في حديث آخر: ((تزوجوا من حجر صالح فان العرق دساس))[٣]، وسياق هذين الحديثين يدل على ان لفظ العرق يرادف لفظ الجين.

---

(١) سورة مريم — الآيتان : ٢٧–٢٨.

(٢) سورة نوح — آية: ٢٧.

(٣) الحديث الاول اخرجه الديلمي في الفردوس: ٥١/٢ (٢٢٩١)، والثاني اخرج معظمه وقريبا منه ابن ماجة في سننه: ٦٣٣/١ (١٩٦٨).

موقف الشريعة الاسلامية من حكم التعامل مع الجينات في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة

غير خاف على ذوي العقول السليمة ان لكل دولة في العالم دستورا يتناول للمبادئ العامة والقواعد الكلية وتخول المشرع تشريع القانون في كل مجال من مجالات التنظيم القانوني وفق متطلبات ومستلزمات حياة كل مجتمع يخضع لهذا القانون شريطة ان لا يتعارض هذا القانون مع الدستور، وهذا ما أطلق عليه دستورية القوانين، وفي بعض البلاد توجد محكمة عليا لرقابة دستورية القوانين.

كذلك القرآن الكريم بمثابة دستور خالد للأسرة البشرية فهو لم يتناول احكام الجزئيات والا لحصل فيه النقص التشريعي لان النصوص متناهية والجزئيات المستحدثة غير متناهية، والمتناهي لا يحيط بغير المتناهي، لذا اقتصر القرآن على الكليات التي تحيط بالجزئيات والمستحدثات مهما كانت غير متناهية وخول الله سبحانه وتعالى العقل البشري ارجاع الجزئيات الى تلك الكليات وأمر الانسان في (٤٩) آية قرآنية باستخدام العقل وصنع للانسان اطارا من الاخلاق وأمره بان يتحرك وينظم حياته بحسب متطلباتها ومستلزماتها في كل زمان ومكان شريطة ان يكون هذا التحرك داخل ذلك الاطار الاخلاقي.

ولله تعالى في كل شيء وفي كل تصرف وفي كل واقعة حكم شرعي معين من الاحكام الشرعية التكليفية الخمسة، وهي: (الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهية، والاباحة)، وهذا الحكم اما منصوص عليه في القرآن او السنة النبوية او متروك للعقل البشري يكشفه بالاجتهاد عن طريق ارجاع الجزئيات الى تلك الكليات، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)[1]، والتنازع والخلاف في حكم شيء غالبا يكون في حالة غياب النص، والرد الى الله هو الرد الى القرآن بارجاع الجزئيات الى كلياته لمعرفة احكامها، والرد الى الرسول هو الرد الى سنته بارجاع الجزئيات الى كلياتها عن طريق الاجتهاد.

---

[1] سورة النساء – آية: ٥٩.

والمجتهد مأمور بان يتولى اكتشاف حكم الله الذي لم يرد بشأنه نص خاص فان وصل اليه فهو مصيب وله اجران، اجر على عمله الاجتهادي واجر على وصوله الى حكم الله.

وان وصل الى حكم مغاير لحكم الله فهو مخطئ وله اجر واحد على عمله الاجتهادي وفق قول الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) : ((اذ حكم الحاكم – اي اذا اراد ان يحكم – فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر واحد))[١].

ومن تتبع النصوص الشرعية والقواعد العامة والاجتهادات العامة والقواعد الفقهية يجد ان اكتشاف حكم الله فيما لا نص فيه يكون باتباع احدى الطرق الثلاث الآتية: طريقة المصلحة، وطريقة دوران الحكم، مع علته وجودا وعدما، وطريقة التحسين والتقبيح العقليين. كما في المباحث الثلاثة الآتية.

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري: ٦/٢٦٧٦(٦٩١٩)، وصحيح مسلم: ١٣٤٢(٢٩٣٨).

المبحث الثاني

طريقة استخدام المصالح

الطريقة الاولى هي طريقة علماء اصول الدين: وهي استخدام المصالح البشرية لمعرفة احكام الاشياء من التصرفات والوقائع والمستحدثات مما لا نص فيها على اساس ان احكام الله معللة بالاغراض وهي مصالح بالنسبة للانسان ومقاصد بالنسبة الى الشريعة الاسلامية. وهذه المصالح منها ضرورية ومنها حاجية ومنها كمالية، ومن المصالح الضرورية: حماية الدين وحماية الحياة وحماية العرض وحماية المال وحماية العقل، فهي ضرورية لكل مجتمع، فاذا اختلت واحدة منها اختل النظام في هذا المجتمع.

ومصدر وجوب الاستعانة بالمصالح البشرية لاكتشاف احكام الله فيما لا نص فيه قوله تعالى مخاطبا نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[١]، والرحمة في هذه الاية هي المصلحة البشرية وهي ذات جانبين: الجانب الايجابي وهو المنفعة المستجلبة، والجانب السلبي وهو المضرة المستدرأة سواء كانت هذ المصلحة مادية او معنوية دنيوية او اخروية.

وبناء على ذلك فان الغاية من جميع الاحكام التي يكلف بها الانسان هي مقاصد الشريعة ومصالح الانسان، لان الله غني مطلق عن العالمين، فكل ما فيه المنفعة البشرية من المستحدثات والمكتشفات حكمه هو الجواز والاباحة ما لم تكن هذه المنفعة على حساب خسارة الغير او على حساب مس كرامة الانسان. وكل ما فيه مضرة فهو محرم ما لم تترتب على هذه المضرة منفعة اهم ومصلحة عامة كما في عقوبة الجاني، فهي مضرة له ولاسرته بل وللمجتمع ولكنها جائزة ومباحة لما فيها من حماية ارواح الابرياء واموالهم واعراضهم، وفي ضوء هذه الطريقة اذا ثبت علميا وعمليا ان التعامل مع الجينات البشرية يحقق مصلحة عامة غير

---

[١] - سورة الانبياء – أية: ١٠٧.

مقترنة بالمضرة والمفسدة فهو مباح والا فهو محرم. وقد يكون جائزا في بعض المجالات ومحرما في مجالات اخرى بحسب معيار المنفعة والمضرة.

وجدير بالذكر ان كون احكام الله معللة بالاغراض محل خلاف بين المذاهب الفلسفية الاسلامية كالاشعرية والمعتزلة والماتريدية.

فمنهم من قال ان احكام الله ليست معللة بالاغراض والعلل الغائية، وعللوا رأيهم هذا بانه لو كان حكمه (او فعله) تعالى لغرض من تحصيل مصلحة او دفع مفسدة لكان هو ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض[١].

ولكن الخلاف لفظي وشكلي من حيث انه اذا اريد بجلب المصلحة ودفع المفسدة ما يرجع الى ذاته سبحانه وتعالى فهو باطل لأن الله غني مطلق عن العالمين ولو استغرقت حياة الاسرة البشرية في السجدة والطاعة لله منذ خليقة الى نهاية الحياة على كوكب الارض لما زادت ذرة من عظمة الله ولو استغرقت في الزندقة والالحاد والتمرد عن اوامر الله ونواهيه لما نقصت من عظمة الله ذرة.

واذا اريد بجلب المصلحة ودرء للضرة والمفسدة بالنسبة الى عباده من بني الانسان فانه صحيح وثابت في النصوص القرآنية التي تضمنت تعليل احكامها بالمصالح البشرية، كما في قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ)[٢].

فحرف (في) في هذه الآية للتعليل اي ان علة ايجاب القصاص على الجانب المعتدي على حياة انسان بريء هي حماية حياة الابرياء لان من عرف انه اذا قتل قتل لا يقدم غالبا على ارتكاب جرائم الاعتداء على الأشخاص.

وكذلك علل سبحانه وتعالى ايجاب اقامة الصلاة على عباده بأنها موجبة لكسب طاقة روحية تقي الانسان وتحميه من السلوك الجرمي، فهذه الطاقة بمثابة المناعة ضد الامراض

---

[١] شرح المواقف للعلامة القاضي عضد الدين والملة الايجي وشرحه للسيد الشريف الجرجاني وحاشية حسن جليل وحاشية مسعود الزواني، ٣/١٤٥.

[٢] سورة البقرة – آية: ١٧٩.

الاجتماعية الفتاكة، لذا قال سبحانه وتعالى: (وَأَقِمْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[١].

ويستنتج من تعليلات الاحكام القرآنية من الآيتين المذكورتين وغيرهما ان الغاية من تكليف الانسان بتنفيذ اوامر الله واجتناب نواهيه هي المصالح البشرية من جلب منفعة ودرء مضرة.

وينبني على ذلك ان لكل من توفرت فيه اهليه الاجتهاد ان يبني احكام المستحدثات والمكتشفات العلمية على المصالح البشرية وان يحكم بان ما فيه النفع البشري فهو جائز ومباح وان مافيه الضرر فهو محظور.

---

[١] سورة العنكبوت – آية: ٤٥.

المبحث الثالث

دوران الحكم مع علته

هذه الطريقة الثانية لاكتشاف احكام الله فيما لا نص فيه، هي طريقة علماء اصول الفقه، وهي طريقة دوران الحكم مع علته وجودا وعدما، وكليات القرآن والسنة النبوية منها ما لا يدرك عقل الانسان علتها وحكمتها ومنها ما هي معقولة المعنى اي يدرك العقل علتها، وهي الغالبة، وهذه العلة اما مذكورة في النص صراحة فتسمى العلة المنصوصة فحكمها حكم النص الصريح في الحجية والالزام، ففي كل شيء تتحقق هذه العلة يتحقق الحكم الوارد في النص.

ومنها مستنبطة يستنبطها المجتهد من روح النص ومغزاه، فكل جزئي من المستحدثات لم يرد بشأنه نص خاص ولكن تحققت فيه علة حكم كليته يندرج تحت حكم هذه الكلية بموجب قاعدة: (الحكم يدورمع علته وجودا وعدما).

وعلى سبيل المثال والايضاح من العلل الصريحة المنصوص عليها في كليات القرآن ما جاء في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)[1]، المراد بالاثم في هذه الاية هو الضرر بدليل مقابلته بالنفع، فالله سبحانه وتعالى لم يجب عن حكم الخمر والقمار وهو التحريم وانما اجاب بعلة حكمهما وهي المضرة المتغلبة على المنفعة، والحكمة في هذا الاسلوب الالهي هي تنبيه عقل الانسان على ان كل شيء في الحياة اذا كان ضرره اكثر من نفعه فهو محرم كتحريم الخمر والقمار، وبناء على هذه القاعدة القرآنية والعلة المنصوصة يكون حكم التعامل مع الجين البشري والاستنساخ وبتر وزرع الاعضاء البشرية وغيرها هو التحريم اذا ثبت ان ضرره اكثر من نفعه او كان مساويا له لأن درء المفاسد اولى من جلب المنافع، كما ان هذه الاية الكريمة تدل صراحة على تحريم التدخين لأن

---

[1] سورة البقرة – آية: ٢١٩.

ضرر التدخين اكثر من ضرر الخمر والقمار، فشارب الخمر ولاعب القمار يضر نفسه وحده، اما المدخن فيضر نفسه وجليسه لأنه يلوث الهواء المحيط بهم ويستنشقه الجليس الذي يسميه العلماء المختصون التدخين السلبي يقول البروفسور الطبيب الفرنسي الشهير كليرت لاغور: اذا دخن شخص في غرفة يوميا اربعين سيجارة وكان فيها طفل رضيع يعد هذا الطفل كأنه دخن عشر سيجاير، اي نسبة ضرر جليس المدخن (٢٥٪) من ضرر التدخين وخطورته. وفي حالات تضارب المصالح يؤخذ في بيان حكم ما لا نص فيه بالمعايير الاتية:

تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فالخدمة الالزامية في الجيش لمدة محددة مصلحة وطنية عامة تقدم على مصلحة المكلف في اعفائه من هذه الخدمة رغم عدم وجود عذر يبرر هذا الاعفاء، طبقا للقاعدة الشرعية العامة: (يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام).

تقدم المصلحة الاهم على المصلحة المهمة اسوة بالخلفاء الراشدين، حيث اوقفوا تطبيق عقوبة السرقات في سنة القحط والمجاعة، وعللوا ذلك بان في قطع يد السراق حماية الاموال وفي تركه حماية الارواح وحماية الارواح اولى بالرعاية من حماية الاموال، وذلك على اساس القاعدة الشرعية العامة: (الحاجة تنزل منزلة الضرورة العامة او الخاصة).

يختار الضرر الاقل خطورة لدفع الضرر الاشد خطورة، فيجوز قطع العضو المصاب بالسرطان لسد انتشاره في سائر الاعضاء، بناء على القاعدة الشرعية العامة: (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف).

اذا تلازمت مضرة منفعة بحيث لا يمكن انفكاكهما يصرف النظر عن المنفعة لدرء للمضرة، بناء على القاعدة الشرعية العامة: (درء المفاسد اولى من جلب المنافع). لكن في هذه الحالة اذا كانت المنفعة اهم من منفعة ترك الضرر فيصرف النظر عن الضرر لاستجلاب هذه المنفعة، فيجوز عقاب الجاني رغم كونه ضررا له ولأسرته بل وللمجتمع لما فيه من منفعة اهم وهي حماية حقوق الناس وارواحهم واعراضهم واموالهم وامنهم واستقرارهم.

ويمكن من هذا العرض للقواعد الشرعية ان تعد القواعد العامة من مصادر الاحكام فيما لا نص فيه، ولكن تطبيق القواعد العامة في هذا المجال يرجع الى تطبيق المصلحة، فالمصدر في الحقيقة والواقع هو المصلحة التي تتضمنها القاعدة العامة.

المبحث الرابع

التحسين والتقبيح العقليان

هذه الطريقة الثالثة لاكتشاف حكم الله فيما لا نص فيه، طريقة التحسين والتقبيح العقليين، وهي طريقة الفلاسفة المسلمين من المعتزلة، فهي طريقة شرعية وفلسفية في وقت واحد، وهم يقولون لاكتشاف حكم الله في ما لانص فيه بالنظر الى حسن التصرف وقبحه وان حسن كل شيء يبنى على نفعه كما ان قبح كل شيء يبنى على ضرره.

وقد بنوا على هذه الطريقة اصلهم القائل بان العقل كاشف لأحكام الله فيما لانص فيه قبل الرسالات السماوية وبعدها، وقضوا بالمسؤولية الجنائية والمدنية لكل انسان لم يصله النص ولم يعلم به قبل الرسالة وبعدها اذا ارتكب عملا غير مشروع وترتب عليه ضرر الغير.

ان العقل يدرك الاحكام الشرعية الخمسة الآتية:

١- الواجب هو الذي يكون فعله حسنا وتركه قبيحا كالعدل والعدالة.

٢- المحرم هو كل ما يكون فعله قبيحا وتركه حسنا كالظلم وخيانة الامانة.

٣-المندوب هو كل ما يكون فعله احسن من تركه كزيارة المريض.

٤-المكروه هو كل ما يكون تركه احسن من فعله كالتدخل في شؤون الغير بدون مبرر.

٥- المباح هو ما يكون حسنه وقبحه متساويين او لا يدرك فيه الحسن والقبح كتخصيص ساعة معينة للنوم او القراءة او نحو ذلك.

هذه الطريقة الفلسفية هي التي تستخدم لتشريع القوانين الوضعية، وهي طريقة فضلى في اعتقادي، لان الشريعة الاسلامية في أوامرها ونواهيها لم تقل للانسان: (افعل هذا) والعقل السليم يقول: (لا تفعله)، ولم تقل: (لا تفعل هذا) والعقل السليم يقول: (افعله)، وهذا ثابت في نصوص القرآن الكريم والاحاديث النبوية لكل من له دراية بها ويملك العقل السليم.

والطرق الثلاث المذكورة متقاربة لأن كل واحدة منها مبنية على اساس نفع الانسان وضرره، فاذا ثبت علميا وعمليا نفع اي مستحدث ومكتشف علمي في الحاضر والمستقبل ولم يكن هذا النفع مقترنا بضرر اكبر او مساو فهو مباح والا فهو محرم.

والان نسأل المختصين في علم الجينات، هل في التعامل معها نفع بشري لا يجلب ضررا اكبر او مساويا او لا فعلى التقدير الاول التعامل مباح وعلى الثاني محرم.

ولكن الحكم على التعامل مع الجينات البشرية في الوقت الحاضر بالاباحة او التحريم سابق لأوانه للأسباب الاتية:

اولا: لم يتبلور نجاحها ونتائجها من الناحية العملية ولايزال الخلاف قائما حول كيفية التطبيق والمعوقات والخطورة المتوقعة في بعض الحالات ولاتزال الفكرة في مرحلة الامنيات، فمنهم من يقول بالامكان ان تستخدم تقنية العلاج بالجينات في علاج الكثير من امراض الانسان والحيوان والنبات، ويرى هذا الاتجاه ان تقنية العلاج بالجينات فتحت آمالا جديدة للتخلص من شبح الامراض الوراثية، ويتوقع هذا الاتجاه استخدام العلاج الجيني لمعالجة الامراض الوراثية، ويتوقع هذا الاتجاه استخدام العلاج الجيني لمعالجة الامراض السرطانية وامراض الجهاز العصبي وامراض فقر الدم وامراض العوز المناعي الشديد وغيرها.

ويذهب انصار العلاج الجيني الى ان العلاج يكون بتبديل الجينات او تعويض الجينات المفقودة بجينات سليمة تعيد وظائف المعطوبة والمفقودة الى حيوتها وطبيعتها.

بينما يذهب اتجاة آخر متشائم الى خلاف ذلك، فيقول رغم الآمال والطموحات التي رسمها المختصون الباحثون في مجال العلاج الجيني، هناك صعوبات جمة في ادخال الجين وايصاله الى الخلايا المستهدفة وتسخيره لاظهار فعله وضمان استمرارية عمله تحت نظام وسيطرة الجسم.

ويقول انصار العلاج المتشائم ان العلاج الجيني لا يخلو من مخاطر قد تنجم من خلال عمليات تطبيقية على مستوى الناقل للجين، وعلى سبيل المثال استخدام الفيروسات كنواقل قد يؤدي الى تنشيط فيروسات مرضية غير مكتشفة سابقا في جسم المريض، وبالتالي يؤدى بحياته او قد يؤثر على التركيبة الوراثية للمريض منشطا جينات خاملة، مما يؤدي الى اظهار

آثار مرضية وقد تكون اكثر شدة وخطورة من المرض المراد علاجه، اضافة الى الكلفة الباهظة لعملية العلاج الجيني.

ثانيا: لا يزال مدى مس التعامل مع الجينات لكرامة الانسان وحرمة جسمه مجهول وان الحكم على التعامل مع الجينات يتوقف على معرفة هذا المدى، لذا اكرر واقول ان الحكم على العمليات الجينية بالتحريم ١٠٠٪ او بالحل ١٠٠٪ سابق لأوانه.

وفي الختام اود ان اقول لكل ذي عقل سليم بعد ان عشت مع الشريعة الاسلامية اكثر من (٦٠) سنة متعلما ومعلما ومؤلفا مقارنا اياها مع القوانين الوضعية، وصلت الى نتيجة وهي ان الشريعة الاسلامية في باب الحلال والحرام ترجع الى قاعدتين لا ثالثة لهما:

القاعدة الاولى: ان كل ما فيه النفع البشري فهو جائز ومباح ما لم يكن هذا النفع على حساب خسارة الغير او ضرره.

القاعدة الثانية: ان كل ما فيه الضرر فهو محرم ومحظور ما لم يترتب على هذا الضرر تحقيق مصلحة عامة.

وان معيار التمييز بين النفع والضرر موضوعي يكون بميزان الشرع وليس شخصيا فان كنت مصيبا فمن الله وان كنت مخطئا فمني ومن الشيطان

ربِّ زدني علماً وألحقني بالصالحين

الإجهاض والتلقيح
الصناعي وتحديد النسل

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمدﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نتناول بإذن الله في هذا الكتيب ثلاثة موضوعات مهمة مستلّة من مؤلفنا (أسباب إباحة الأعمال الجرمية في الشريعة والقانون) وهي الإجهاض والتلقيح وتحديد النسل، موزعة دراستها على ثلاثة مباحث:

يَخصص الأول للإجهاض.

والثاني للتلقيح.

والثالث لتحديد النسل ومنع الحمل.

المبحث الأول

الإجهاض

قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[1]

هذا النص الالهي يقول لنا: ان الانسان يمر بتسع مراحل:

المرحلة الأولى: سلالة من طين أي خلاصة سلة من الطين.

والثانية: اللقاح والاخصاب بين الحيمن والبُييضة.

والثالثة: العلقة، قطعة دم جامد.

والرابعة: المضغة، قطعة لحم بمقدار ما يمضغ.

والخامسة: مرحلة تكون العظام.

والسادسة: مرحلة ستر العظام باللحم بعد مضي (١٢٠) يوما على اللقاح كما ثبت بالطب والعلم الحديث.

والسابعة: مرحلة التحول من الحياة النباتية والحيوانية إلى المرحلة الانسانية وهذه المرحلة هي المقصودة من قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

والمرحلة: الثامنة الموت بعد هذه الحياة الفانية.

والتاسعة: اعادة الحياة بعد المماة في الحياة الآخرة.

وهذه المراحل كما هو واضح ثلاث منها خارج الرحم وست منها في داخله، وقطع السير التكاملي في أية مرحلة من هذه المراحل الست هو الذي يسمى الإجهاض أو الإسقاط أو الاملاص.

---

[1] سورة المؤمنون: ١٢-١٦.

والإجهاض ظاهرة اجتماعية بالغة الخطورة تواجه الأسر البشرية، وضحايا هذه الظاهرة سنويا تقدر بملايين من الأحمال وبآلاف من الأمهات.

فهي مشكلة يتنازع حلها رجال الفكر والقانون والطب والاخلاق والاجتماع والاقتصاد، وبهذا الصدد تُعقد بين آونة وأخرى مؤتمرات وندوات علمية على الصعيدين الإقليمي والعالمي، يكون محور مناقشاتها مدى مشروعية إلغاء أو تعديل القوانين المحرمة أو المقيدة لعملية الإجهاض حسب متغيرات الحياة.

بالاضافة إلى ذلك فان هناك نظريات فلسفية تتردد بين ترجيح حق الام في رفض الامومة لأي سبب كان، وحق الجنين في التكامل والولادة والحياة، وحق المجتمع في تكوين جيل جديد.

ولكن رغم كل ما قيل وما يقال من الآراء والاجتهادات والطروحات حول الإجهاض، فإنه في حد ذاته عمل مرفوض دينيا وقانونيا وعقليا ومنطقيا وفطريا.

كيف لا وقد حرمته كافة الشرائع الالهية، والديانات الوضعية القديمة، والتشريعات الآشورية والبابلية التي تقضي بقتل بنت الجاني إذا أدى الإجهاض إلى موت الام الحامل.

وكذلك حرمته التعاليم الهندية والبوذية والزرادشتية، وفلاسفة الاغريق، ورجال القانون في الرومان، والقوانين المتأثرة بقانون الكنيسة.

وكان أبو قراط الطبيب اليوناني يُلزم الاطباء قبل ممارسة الاعمال الطبية ان يقسمون على ان لا يرشدوا احدا إلى طريقة الإجهاض وان لا يصفوا ولا يعطوا دواءً مجهضا.

وبعد هذه المقدمة، فما هو موقف التشريع الجزائي الإسلامي والتشريعات الجزائية العربية النافذة القائمة من الإجهاض؟

احاول الاجابة عن هذا السؤال باستعراض موجز لآراء فقهاء المذاهب الفقهية المعروفة، وقوانين العقوبات العربية، مقتصرا على النقاط المهمة الجوهرية مبينا أوجه التشابه والاختلاف بين تلك المذاهب وهذه القوانين.

ما المقصود بالاجهاض؟

الإجهاض (الإسقاط) مصطلح يكتنفه الغموض، لأنه مشترك معنوي بين كافة مراحل السير التكاملي قبل الولادة من حيث الايقاف بدءا بالنطفة الملقحة وانتهاءً بمرحلة التهيؤ للولادة.

ولذا لم تتفق كلمة فقهاء الشريعة ورجال القانون وعلماء الطب على الاجابة عن هذه الاسئلة:

متى يعتبر الحمل جنينا؟ ومتى يكون محلا للجريمة؟ وهل عقوبة ايقاف السير الطبيعي للحمل في كل مرحلة واحدة؟ أو انها تتزايد تصاعديا كلما اقتربت المسافة من الولادة؟

فقهاء الشريعة الإسلامية منهم من فرق بين حلول الروح وما بعده فقالوا: الجنين قبل الروح ليس نفسا حتى يكون مشمولا بقوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[1]

ومنهم من لم يفرق بين الحالتين من حيث التحريم الا بحجم الجريمة والعقوبة، وكذلك فعل رجال القانون والطب، فمنهم من اعطى لمصطلح الإجهاض مفهوما واسعا شاملا لما قبل ولوج الروح وما بعده، فقالوا: الإجهاض اخراج الجنين قبل أوانه سواء كان متمتعا بالحياة أو لا، فطرد البُييضة المخصبة إجهاض.

ومنهم من قال هو وضع الجنين قبل الميعاد ميتا بفعل اجرامي، بعد ان استقرت فيه الحياة.

وفي قناعتي المتواضعة: ان المعنى الاصطلاحي للجنين ليس بعيداً عن معناه اللغوي، وهو المستور من كل شيء، لأن مشتقات مادة (جن) لا تستعمل الا في الاشياء غير المرئية، كالجن والجنة والجنان (القلب) ونحو ذلك، فالمعنى الاصطلاحي للجنين هو ما في بطن الام من الحمل في جميع مراحله الست، وسُمي جنينا لاستتاره فيه عن الرؤية.

---

[1] سورة الانعام: ١٥١.

والإجهاض (أو الإسقاط): هو ايقاف السير الطبيعي للحمل بما يؤدي إلى اهلاكه. وفاعله يُسأل ديانة وقضاء بعد استقرار الروح في الجنين، لانه قتل نفس، سواء أكان خطأً أم عمداً شأنه شأن حالة ما بعد الولادة، غير ان العقوبة تختلف في الحالتين.

ويُسأل ديانة فقط قبل الروح إذا كان متعديا مباشرة أو تسببا، ويكون امام الله لانه ارتكب عملا غير مشروع بدون عذر، فهدم ما وضعه الله من الحجر الاساس لبناء انسان، ولكن لا يعاقب بالعقوبات الدنيوية المحدودة في القرآن الكريم من قصاص ودية وكفارة، لانه لم يقتل نفسا ولم يزهق روحا، ولكن يجوز ان يُعاقب بعقوبة تعزيرية إذا لم يكن عمله مبررا بمبرر شرعي.

مصادر تحريم وعقاب الإجهاض:

مصادره في الشريعة الإسلامية:

١. القرآن الكريم:

أ ـ بالنسبة لما قبل الروح ان الإجهاض هدم لخلق الله، قال تعالى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ ومن الواضح ان الخلق من الله ليس عبثا، كما قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[1].

ب ـ بالنسبة لما بعد الروح واستقرارها في الجنين يكون الفاعل مشمولا بآيات القتل والقصاص والدية، منها قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾[3] وقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى... الآية)[4].

---

[1] سورة المؤمنون: ١١٥.

[2] سورة الانعام: ١٥١.

[3] سورة النساء: ٩٢.

[4] سورة القرة: ١٧٨.

٢. السنة النبوية:

ورد على لسان رسول الله ﷺ وفي قضائه أحاديث صحيحة كثيرة بصدد تحريم الإجهاض وعقوبته، منها ما رواه أبو هريرة من انه (قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتا بغرة (أي عبد أو امة))[1] ومنها انه (اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت احداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فتخاصموا إلى رسول الله، فقضى ان دية جنينها غرة (عبد أو وليدة) وقضى بدية المرأة على عاقلتها).

مصادر تحريم الإجهاض في القانون:

بناءً على قاعدة لا جريمة ولا عقوبة بغير نص، يكون مصدر تجريم الإجهاض قوانين العقوبات.

أنواع الإجهاض:

ينقسم الإجهاض من حيث دور الارادة فيه والقصد الجنائي إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإجهاض الطبيعي او (اللاارادي): وهو إجهاض يحدث تلقائيا دون تدخل ارادة احد، لاسباب قد تكون مجهولة وقد تكون معلومة، منها: اصابة الام أو الجنين أو المشيمة بمرض أدى إلى الإجهاض، ولا خلاف بين الشريعة الإسلامية والقانون والطب في ان هذا النوع من الإجهاض، لا يخضع للتشريعات الجزائية فلا جريمة ولا عقوبة.

النوع الثاني: الإجهاض في الطب (العلاج): وهو الذي تقضي به ضرورة انقاذ حياة الام، وجواز هذا النوع لم يعارضه الا من لا يُعتد بمعارضته، فهو اما مباح لا مسؤولية جزائية ولا مدنية على من يقوم بعملية الإجهاض، أو لا عقوبة عليه إذا توافرت الشروط الآتية:

١ـ ان تثبت خطورة الجنين على حياة الام من قبل لجنة طبية مختصة.

---

[1] نيل الاوطار للشوكاني ٧/٧٨.

٢ـ ان تكون هذه الخطورة الصحية ناتجة اما عن وجود الجنين أو عن بقائـه في الرحم.

٣ـ ان لا يكون هناك سبيل آخر لانقاذ حياة الام سوى إجهاض حملها.

٤ـ ان تـتم عمليـة الإجهـاض تحت اشـراف المختصـين مـن الأطبـاء وفي مستشفيات تتوافر فيها متطلبات الإجهاض ومنع حدوث المضاعفات.

الأدلة الشرعية والقانونية على جواز الإجهاض العلاجي:

رغم عدم تطرق الفقهاء صراحة لهـذا النـوع مـن الإجهـاض، الا ان القواعـد الشرعية العامة المستخلصة مـن القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة تـدل علـى جوازها، ومنهـا قاعـدة (إذا تعارضـت مضـرتان يختـار أهونهمـا شـرا لـدرء أخطرهما).

هذا إضافة إلى الأدلة العقلية التالية:

١ـ ان الام هي أصل الجنين وهو فرع منها ولا يُضحى بالاصـل في سـبيل بقـاء الفرع.

٢ـ ان حياة الام مستقرة وثابتة ومؤكدة، واما حياة الجـنين قبـل الـولادة فهـي احتمالية قد يولد حيا وقد يولد ميتـا، والقاعـدة العامـة تقضـي بتقـديم المصلحة المحققة على المصلحة المحتملة في حالة التعارض.

٣ـ للام شخصية شرعية وقانونية قائمة بخلاف الجنين.

٤ـ ان وفاة الام غالبا تؤدي إلى وفاة الجنين إذا ماتت قبل ولادته.

وأخيرا هل يشترط رضاء للاجهاض العلاجي؟

في قناعتي المتواضعة كلا. لان امتناعها عمل انتحـاري بصـورة غـير مباشـرة والانتحار محرم شرعا وقانونا، إضافة إلى ان حياتها ليست ملكا خاصـا خالصـا لها حتى يشترط رضاها واذنها الصريح.

موقف التشريعات الجزائية العربية من الإجهاض العلاجي:

يكاد تتفق جميع القوانين العربية وغير العربية على ان الإجهاض لانقاذ حياة الام جائز ولا عقوبة عليه إذا توافرت الشروط المذكورة، لكن بعض القوانين اعتبرت هذه الضرورة من موانع المسؤولية الجزائية وبعضها اعتبرتها من أسباب الإباحة.

ومن هذه القوانين القانون المغربي (م ٤٥٣) (لا عقاب إذا دعت الضرورة للإجهاض).

والقانون الجزائري (م ٣٠٨) (لا عقوبة على الإجهاض إذا استوجبت ضرورة انقاذ حياة الام من الخطر بعد ابلاغ السلطة الإدارية).

والقانون الجزائي الكويتي (م١٧٥) (إذا كان الفاعل له الخبرة اللازمة وفعل الإجهاض بحسن النية على اعتقاده بانه ضروري للمحافظة على حياة الحامل لا عقوبة عليه).

وقانون دولة البحرين (م ٢٠٢) (الاعمال المذكورة المؤدية إلى الإجهاض لا تعتبر غير مشروعة إذا قام بها ذو أهلية مع اعتقاده الخالص بان ذلك ضروري للمحافظة على حياتها).

والمشرع العراقي في المواد (٤١٧ـ٤١٩) تناولت هذا الحكم ولكنه يعتبر الضرورة في المواد الأخرى من موانع المسؤولية الجزائية.

النوع الثالث: الإجهاض الجنائي: وهو الذي يكون الغرض منه التخلص من الحمل بوسيلة من الوسائل دون مبرر شرعي.

ويكاد الإجماع الشرعي والقانوني والطبي ينعقد على تحريمه وتجريمه والعقاب عليه، وبوجه خاص بعد استقرار الحياة الانسانية في الجنين بحلول الروح في جسده، ولكن لهذه الجريمة أركان كأية جريمة أخرى، منها متفق عليها ومنها مختلف فيها، واهمها بالاضافة إلى الأركان العامة، (الركن الشرعي والمادي والمعنوي) هي الآتية:

١. الركن المادي: وهو استخدام وسائل مادية ومعنوية من شأنها ان تؤدي إلى الإجهاض، ومن الوسائل المادية الايجابية العنف وتناول العقاقير وغيرها، ومن الوسائل المادية السلبية امتناع الام عن تعاطي الدواء الذي وصفه الطبيب وأرشدها إلى تناوله لحماية الطفل، أو امتناعها عن الاكل والشرب بقصد الإجهاض[1].

٢. الركن الشرعي: وهو الصفة غير المشروعة للفعل بخضوعه لنص التجريم الذي يقرر فيه القانون عقابا لمن يرتكبه وعدم خضوعه لسبب من أسباب الإباحة.

٣. الركن المعنوي: هو الارادة التي يقترن بها الفعل.

بالإضافة إلى هذه الأركان، تعد من اركان الإجهاض وجود الحمل وانفصال الجنين من الام، وموت الجنين.

حكم الوسائل التي تستخدم في الركن المادي للإجهاض:

في التشريع الجنائي الإسلامي بناءً على نظرية سد الذرائع، ان الوسائل تابعة لنتائجها وغاياتها من حيث المشروعية وعدم المشروعية.

يقول ابن القيم[2]: (إذا حرم الله شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه، فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقا لتحريمه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه، لكان ذلك نقضا للتحريم واغراءً للنفوس، وحكمته تعالى تأبى ذلك كل الإباء).

موقف التشريعات الجزائية العربية من حكم وسائل الإجهاض:

تناولت قوانين العقوبات العربية بتحريم وعقاب أي نشر وترويج أو تسهيل استعمال الوسائل كالعقاقير أو بيعها أو اقتناء المواد المعدة للإجهاض بقصد بيعها،

---

[1] في الفقه الشافعي (قليوبي وعميره ١٥٩/٤) كالضرية الصوم أو الجوع. وفي الفقه الحنفي (حاشية ابن عابدين ٥٨٨/٦) كامتناعها عن الاكل والشرب بحيث أدى ذلك إلى الإجهاض.

[2] اعلام الموقعين لابن القيم، ٣ / ١٣٥ .

ومن هذه القوانين قانون العقوبات السوري (م ٥٢٥) واللبنـاني (م ٥٣٩)، فالعقوبـة في هذين القانونين من شهرين إلى سنتين مع الغرامة.

وقانون البحرين (م ٢٠٤) وسـلطنة عمـان (م ٢٤٥) والكـويتي (م ١٧٧) تكـون العقوبة بما لا يزيد على ثلاث سنوات.

المبحث الثاني

التلقيح الصناعي

التلقيح: هو عملية نقل المواد المنوية من الذكر الى مهبل الانثى ايا كانت وسيلة النقل .

الاخصاب: هو عملية اتحاد الخلية الذكرية مع الخلية الانثوية بعد الالتقاء بطريقة طبيعية او صناعية .

أقسام التلقيح :

التلقيح باعتبار وسيلة النقل ينقسم الى طبيعي وصناعي :

القسم الاول/ التلقيح الطبيعي: وهو الذي يتم بوساطة الاتصال الجنسي الطبيعي المباشر بين الرجل والمراة (بين الزوجين)، وهذا هو الاصل الذي اقرته الشريعة الالهية والقوانين الوضعية على ان يتم ذلك اثناء قيام الزواج الشرعي بين الرجل والمراة .

وهذا القسم لا يحتاج الى المناقشة من حيث ان عملية النقل طبيعية شرعية قانونية، وكذلك عملية الاخصاب تتم بين مني الزوج (الحيمن) وبييضة الزوجة في رحمها وما يترتب على ذلك من نسب شرعي وغيره .

القسم الثاني / التلقيح الصناعي : وهو الذي يتم فيه نقل المواد المنوية نقلا صناعيا وبطريقة غير طبيعية من الذكر الى مهبل الانثى .

وهذه العملية مكفولة بسلسلة من عمليات طبية ومظنة للمخاطر ومثار للمسؤولية، لذا تحتاج الى التفصيل والتحليل الى اقسامها وطرقها وصورها لمعرفة الحكم الشرعي والقانوني لكل شق من الشقوقات المتصورة.

أنواع التلقيح الصناعي :

وهو التقسيم باعتبار طبيعة العملية إلى الصناعي الداخلي والصناعي الخارجي.

النوع الأول: التلقيح الصناعي الداخلي : وهو التلقيح داخل جسم المرأة بأن يزرق مني الرجل في مهبل امرأة، زوجة كانت أم لا، بوساطة آلة صناعية يوم خروج البييضة من المبيض، ثم يترك المني ليسلك بنفسه المسلك الطبيعي الى مستقر البييضة، شأنه بذلك شأن التلقيح الطبيعي .

النوع الثاني: التلقيح الصناعي الخارجي او ما يسمى الاخصاب العملي: وهو الذي يكون التلقيح والاخصاب خارج مهبل ورحم الزوجة في انبوب او طبق اختبار، ثم بعد فترة زمنية مناسبة تزرع اللقيحة في رحم المراة .

ولكل نوع طرق وصور ، ولكل صورة حكمها الخاص :

أولاً : صور التلقيح الصناعي الداخلي أهمها ثلاث :

الصورة الأولى: هي ان يتم تلقيح بييضة المرأة بمني زوجها بوسيلة صناعية، ويلجأ الى هذه الطريقة لاسباب يعرفها الاطباء، منها كون الرجل عنينا او مجبوبا او سريع الانزال، او كون المرأة غير قادرة على الاتصال الجنسي لمرض عضوي او نفسي .

وحكمها الشرعي هو الجواز بشرط قيام حاجة ماسة تدعو اليها، لأن هذه العملية لا محظور فيها سوى كشف عورة الزوجين امام الغير، وهذا جائز للضرورة شأنه شأن حالات اجراء الفحوصات الطبية والعمليات الجراحية والتداوي للحاجة والضرورة، ونسب الطفل شرعي تترتب عليه كافة الحقوق والالتزامات الشرعية والقانونية .

ولهذه الصورة نظير في الفقه الاسلامي يسمى (الاستدخال) وهو استدخال المرأة مني رجل ثم تذفه خارج المهبل . وقد عالجه فقهاء الشريعة وبوجه

خاص فقهاء الشافعية واعتبروا النسب شرعيا اذا كانت الشرعية قائمة بينهما.[1]

الصورة الثانية: هي تطبيق نفس الصورة الاولى بعد وفاة الزوج، بأن يتم نقل الحيامن المجمدة للزوج قبل وفاته الى مهبل زوجته بطريقة صناعية، يتم التلقيح والاخصاب بعد ذلك في مهبل ورحم الزوجة المتوفى عنها زوجها.

والحكم الشرعي لهذه الصورة هو ان العملية في حد ذاتها محرمة وغير مشروعة في الاسلام لاسباب كثيرة منها مايلي :

١. حصول الفرقة بين الزوجين بالوفاة، فالعملية تتم في وقت تكون رابطة الزوجية غير قائمة والزوجة بمثابة زوجة اجنبية، بدليل ان لها الحق في ان تتزوج بعد انتهاء عدتها.
٢. عدم وجود ضرورة وحاجة ماسة الى هذه الطريقة بعد موت الزوج، ولو كانت هذه الضرورة قائمة لتمت العملية في حياة زوجها، فالعملية ترفيهية اكثر من ان تكون ضرورية وحاجية .
٣. سد الذرائع : لان هذه الطريقة معرضة لاختلاط الانساب بسبب خلط البنك او الشخص الذي يتولى عملية النقل بين الحيوانات المنوية المجمدة وهي تعود لعدة اشخاص.
٤. احتمال الامراض والتشوهات الخلقية في جسم الطفل والام، حيث تتعرض الحيوانات المنوية لتغيرات كثيرة، لانها تبقى مدة زمنية خارج بنيتها الطبيعية الفسيولوجية .

---

[1] في هذا الموضوع ينظر: مغني المحتاج في الفقه الشافعي ٣/٢٤٣-٢٤٥ ، المغني والشرح الكبير في الفقه الحنبلي لابن قدامة ٩/٥٥.
شرائع الاسلام في فقه الامامية ٢/٣٤.
المحلى في الفقه الظاهري ٤/١٤٣.

ما حكم نسب المولود اذا كتب له ان يرى نور الحياة في الدنيا بالنسبة لهذه الصورة :

في اعتقادنا المتواضع ان نسبه شرعي للأسباب التالية:

١. القياس: اي قياس هذه الحالة التي فيها شبهة ولو بنسبة قليلة على الدخول بالشبهة بجامع علة الشبهة . وقد اجمع فقهاء الشريعة الاسلامية على ان الدخول المقترن بالشبهة تترتب عليه بعض الاثار الشرعية ومنها النسب الشرعي، كما في الدخول في الزواج الفاسد، ومن الواضح ان القياس من الادلة الشرعية عند جمهور فقهاء الشريعة الاسلامية .
٢. حماية مستقبل الطفل ولرعاية هذه الحماية قال ابو حنيفة (رحمه الله) اذا تزوج رجل في المشرق إمراة من المغرب ولم يمكن ان يحصل اللقاء بينهما، فأنجبت الزوجة طفلا يكون نسبه شرعيا لهذا الزوج لشبهة حاصلة من مجرد عقد الزواج، وذلك حماية لمستقبل هذا الطفل الذي هو معصوم لا ذنب له .
٣. عدم مشروعية العملية لا تأثير لها على شرعية النسب كالدخول في الزواج الفاسد .

الصورة الثالثة: وهي ان تكون تلقيح ببيضة المرأة بمني رجل ليس زوجا لها، وبالنفس الطريقة في الصورتين السابقتين، ويلجأ اليها حين يكون زوج هذه المرأة عقيما، او لاسباب طبية اخرى. وهذه الطريقة تمارسها بنوك المني في العالم غير الاسلامي على نطاق واسع، اذ يرون فيها حلا لمشكلة العقم والامومة حينما يكون الزوج عقيما، وقد يكون الدافع كون صاحب المني معروفا بصفة استثنائية ككونه من العباقرة او من الحائزين على جائزة نوبل .

حكم هذه الطريقة في الشريعة الاسلامية وقوانين البلاد الاسلامية على ما اعتقد هو التحريم قطعا، وهذه الصورة لا تقبل المناقشة في دولة ينص دستورها على ان الدين الرسمي للدولة هو الاسلام، لمخالفة هذه الطريقة

للنظام العام (الشريعة الاسلامية) حيث اجمع علماء الشريعة الاسلامية من صدر الاسلام الى يومنا هذا على تحريم اختلاط الانساب، ولعدم وجود شبهة الحلال في هذه الصورة فان النسب يعتبر ثمرة غير مشروعة ولا يثبت نسبه لا لصاحب المني ولا للزوج العقيم، لكن ينسب الى الام صاحبة البييضة. وقد قال جمهور علماء الشريعة ان ولد الزنا ينسب الى امه الزانية ويثبت تحريم الزواج بينهما، كما يتوارثان فكل منها يرث من الآخر.[1]

اما حكم نسبه في القانون فلم يعترف به لحد الان –حسب ما اعلم- اي قانون عربي واسلامي لمخالفته للنظام العام .

اما في العالم غير الاسلامي فقد اقرت شرعية نسب هذا المولود بعض القوانين كما في الولايات المتحدة الامريكية، فرنسا، والقانون الانكليزي لايمنع هذه الطريقة ولكن لا يعترف بشرعية الولد، والقانون السويسري يعتبر هذه الطريقة نوعا من الزنا .

النوع الثاني: التلقيح الصناعي الخارجي – او ما يسمى زراعة الاجنة :

ومن الواضح ان يتم التلقيح والإخصاب في هذا النوع خارج رحم المرأة ثم تنقل اللقيحة وتزرع ولهذه الطريقة صور عديدة منها ما ياتي :

الصورة الاولى: هي ان التلقيح يتم عن طريق أخذ مني الزوج وبُييضة زوجته وضعهما في انبوبة اختبار، وبعد انقسام وتكثر اللقيحة تعاد الى رحم صاحبة البييضة، ويلجأ الى هذه الطريقة عندما يكون مبيض الزوجة ورحمها سالمين، ولكن حصل لها انسداد في الأنبوبين الواصلين بين مبيض الزوجة ورحمها اللذين يسميان قناتي فالوب .

---

[1] نشرت جريدة النيوز ويك الصادرة في ١٩٨٥/٣/١٨ خبراً ان في امريكا قد تستخدم بنوك المني لرجل واحد لتلقيح مئة امرأة؛ نقلاً عن الدكتور عارف علي في اطروحته للدكتوراه مطبوعة على الرونيو ص٦.

الحكم الشرعي لهذه الصورة هو الجواز، لأنها كالصورة الأولى في التلقيح الصناعي الداخلي ولا تختلف عنها الا في الاستعاضة عن قناة فالوب بانبوب الاختبار، ولا محظور فيها سوى انكشاف عورة الزوجين امام الغير فهو جائز في حالات الضرورة والحاجة فقط، وكذلك نسب المولود شرعي حكمه حكم المولود من ابوين شرعيين بطريقة طبيعية.

الصورة الثانية: نفس الصورة الاولى يتم التلقيح والاخصاب في انبوبة الاختبار، لكن يتم الزرع في رحم زوجة ثانية للزوج صاحب المني الذي هو أحد عنصري اللقيحة.

ويلجأ الى هذه الطريقة عندما يكون مبيض الزوجة الاولى سالماً ولكن رحمها غير سالم وغير صالح لان يكون لبقية ادوار الجنين.

حكم هذه الصورة: اصل العملية غير مشروعة، لا لتشابهها بعملية الزنا، بل لسلبيات خطيرة من المتوقع ان تترتب على هذه الطريقة وبوجه خاص تعرض حياة او سلامة المرأة لخطر منافسة الضرتين، اضافة الى ذلك لا توجد الضرورة والحاجة بالنسبة الى الزوج، ما دامت الزوجة الثانية صالحة للانجاب، لكن اذا حصلت الواقعة فان الطفل نسبه شرعي يلحق بصاحب المني، لانه لم يطرأ في العملية ما يجعله بمثابة ولد الزنا.

الصورة الثالثة: كالصورتين السابقتين في ان التلقيح والاخصاب يتمان بين مني الزوج وبييضة الزوجة في انبوبة الاختبار، الا انها تختلف عنهما في ان زرع اللقيحة يكون في رحم امرأة ليست زوجة لصاحب المني وانما هي متطوعة او مستأجرة لهذا الغرض.

الحكم الشرعي للعملية هو التحريم بلا شك سداً للذرائع، حيث تترتب على هذه الطريقة آثار لا يقرها الشرع الاسلامي ابداً، منها ان هذه المرأة قد تكون زوجة لرجل يعاشرها، فيتكون جنين آخر، فتضع الزوجة توأمين احدهما الجنين المزروع والاخر لزوجها، فلا يتميز احدهما من الاخر. ومنها

ان المرأة المتطوعة او المستأجرة قد تستبد بالمولود ولا تعيده للزوجين، لذا يجب ان تمنع هذه الصورة بالقانون.

لكن ما هو حكم نسب المولود اذا وقعت الواقعة؟

في اعتقادنا المتواضع ان نسبه شرعي للزوجين صاحبي اللقيحة المزروعة، اذا كانت المرأة التي تم الزرع في رحمها غير متزوجة، او كانت متزوجة والتزم الزوج بعدم معاشرتها حتى يتبين الحمل ويزول خطر اختلاط النسب، وتسري احكام المرضعة على المرأة التي غذت بدمها الجنين اكثر من فضل المرضعة. ودليل مشروعية النسب ايضاً هو القياس على الدخول بالشبهة وهو القياس الاولى وقياس جلي، لان شبهة الحل في هذه العملية اكثر من شبهة الحل في الدخول في زواج فاسد، فالجنين المزروع كالطبيعي في ان صاحب المني وصاحبة البُييضة بينهما زواج شرعي وصحيح.

والقياس من الادلة الشرعية والاصل هو التحريم فلا بد للقول بحله من دليل.

وجدير بالذكر ان المجمع الفقهي الاسلامي المنعقد في مكة المكرمة أقرّ شرعية نسب هذا المولود في دورته السابعة ١٤٠٤هـ ولكن تراجع عن قراره عام ١٤٠٥ من دورته الثامنة وعلل انسحابه بأنه يؤدي الى اختلاط النسب، لكن كما سبق انفاً اذا كانت المرأة غير متزوجة او كان الزوج ملتزماً بعدم معاشرة زوجته حتى يتبين الحمل، أو كان متوفيا، فلا يبقى خطر اختلاط النسب. اضافة الى ذلك فان احتمال اختلاط النسب بعيد جداً، بسبب ان المرأة لا تفرز سوى بُييضة واحدة شهرياً لا ارادياً، فليس لها سلطان على التحرير بارادتها، فالمبيض يعمل مستقلاً عن ارادتها، ويرى العلماء ان مجموع البُييضات التي يفرزها المبيض طيلة حياة المرأة لا تزيد عن (٤٠٠) بُييضة.

وهناك شقوقات وطرق وصور اخرى كثيرة للتلقيح الصناعي الخارجي كلها غير مشروعة، والمولود الناتج عنها غير شرعي، والمعيار العام هو ان التلقيح غير مشروع كلما كان احد العنصرين الحيمن والبييضة من غير الزوجين.[1]

---

[1] لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ينظر أطروحة الدكتوراه للشيخ عارف علي.

المبحث الثالث
تحديد النسل ومنع الحمل

منع الحمل نوعان: دائمي ووقتي ولكل نوع وسائله المتفرقة وغاياته المختلفة، لذا توزع دراسته على مطلبين:

المطلب الأول
المنع المؤقت

للمنع الوقتي وسائل منها تستعمل من قبل الزوج كالقذف خارج المهبل او في كيس مربوط بالقضيب، ومنها من قبل الزوجة كاستعمال ادوية المنع ، ومنها من الطبيب كشد الرحم بصورة وقتية او نحو ذلك، والوسيلة الوحيدة التي كانت مستعملة في عهد الرسالة وائمة المذاهب الفقهية، العزل.

والعزل: هو ان يجامع الرجل زوجته، فاذا اقترب الانزال نزع وانسحب ليتم الانزال المنوي خارج المهبل.

حكم منع الحمل بالعزل في الشريعة الاسلامية:

اولاً: لا خلاف بين الفقهاء في ان الحمل اذا كان ذا خطورة على حياة الزوجة يجوز منعه بصورة وقتية.

ثانياً: لا خلاف بين فقهاء الشريعة الاسلامية في ان الاصل في الاسلام هو عدم المنع، والمنع استثناء للادلة التالية:

١. الغاية الاساسية من الزواج ليست إشباع الرغبات الجنسية وانما هي الانجاب لاستمرارية بني نوع الانسان.

٢. المنع لسبب اقتصادي منهي عنه ومحرم بآيات قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[1] والمني يسمى ولداً باعتبار المستقبل.

٣. خلق الله الاولاد زينة للحياة، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2].

٤. امر الرسول ﷺ بزواج الودود اي كثيرة الاولاد فقال: ((... تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الانبياء يوم القيامة))[3] وتعرف كثرة ولادة المرأة قبل زواجها باقاربها.

ثالثاً: حكم منع الحمل المؤقت من حيث هو بغض النظر عن مبررات الحمل وعدمها مسألة خلافية، اختلف فيها فقهاء الشريعة على ثلاثة اراء:

الراي الاول: محرم في الشريعة الاسلامية مطلقاً اياً كانت وسيلته واسبابه ودوافعه، وهذا ما تبناه فقهاء الظاهرية وبوجه أخص ابن حزم الظاهري[4] ودافعوا عنه بأدلة عقيلة ونقلية منها حديث جدامة بنت وهب قالت: حضرت رسول الله ﷺ في اناس سألوه عن العزل فقال ذلك الوأد الخفي[5] والوأد دفن البنت وهي حية مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[6].

الراي الثاني: جائز في الشريعة الاسلامية مطلقاً، وهو رأي اكثر فقهاء الشافعية، وجل ادلتهم هو ما رواه محمود عن عطاء عن جابر انه قال: (كنا نعزل والقرآن ينزل). وفي رواية عن سفيان (كنا نعزل والقرآن ينزل لو كان

---

(١) سورة الاسراء/ ٣١.

(٢) سورة الكهف/ ٤٦.

(٣) نيل الاوطار: ١١٨/٦.

(٤) ينظر المحلى: ٧٠/١٠ وفيه (لا يحل للعزل عن حرة ولا عن امة برهان ذلك عن عائشة ام المؤمنين عن جدامة بنت وهب اخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في اناس سألوه عن العزل فقال رسول الله ﷺ ذلك الوأد الخفي وقرأ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾)

(٥) سبل الاسلام: ١٩٠/٣.

(٦) سورة التكوير/٨.

شيء ينهي عنه لنهانا عنه القرآن) [١] وفي حديث آخر كنا على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبـي الله فلم ينهنا[٢] وسكوته دليل على الجـواز ولوكـان محرماً لنهى عنه، وفي صحيح مسلم[٣] احاديث اخرى اكثرها تدل على الجواز ولا مجال لذكرها واحاديث الجواز اقوى واكثر من احاديث المنع.

الرأي الثالث: هو التفصيل وهو ما اقره جمهور فقهاء الشريعة، فقـالوا: اذا تم باتفاق الزوجين جائز وبدون موافقة الزوجة لا يجوز، لانه حق مشترك بينهمـا. واستدلّوا بما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من انه قال (نهى رسول الله ﷺ ان ينعزل (اي الزوج) عن الحرة الا بإذنها)[٤] فقالوا: هذا الحديث يدل بمفهومه المخالف على جوازه بإذن الزوجة. وكذلك يُستدل به عن طريق القياس علـى ان المنـع المؤقت جائزٌ باتفاق الطرفين، سواء أكانت الوسيلة من الزوج كالعزل، أو من الزوجة كاستعمال أدوية منع الحمل، ام من الطبيب كشد الرحم.

موقف القانون من منع الحمل بصورة وقتية:

لم اجد في جميع قوانين العقوبات للبلاد العربية مـا يمنـع هـذا النـوع مـن المنـع، باستثناء قانون العقوبات اللبناني الذي حرم منع الحمل مطلقاً واعتبره جريمة يعاقـب عليه كما في المواد (٥٣٧ و ٥٣٨).

وفي رأينا المتواضع ان المنع المؤقت كالمنع الدائم للضرورة وغير جائز بدونها وفي هذا جمع بين الأدلة المتعارضة.

---

[١] صحيح مسلم: ١٠٦٥/٢

[٢] صحيح مسلم المرجع السابق العدة على احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام: ٢٧٩/٤.

[٣] ينظر: ١٠٦١/٢.

[٤] نيل الاوطار — المرجع السابق: ٦٢٢١.

المطلب الثاني
المنع الدائم

المنع الدائم يجعل احد الزوجين عقيماً بصورة دائمية وهذا ما يسمى التعقيم.

التعقيم للرجال طريقة قديمة لمنع الحمل او لمنع المعاشرة الجنسية، ومن اشهر وسائلها الخصاء. وقد استعمله البابليون والاشوريون والفرس لأولاد الاسرى الذين كانوا يعتبرون عبيداً، والمصريون للزنوج المحليين من السودان وغيرها ثم انتقلت هذه العادة الى اليونانيين والرومانيين، والخصاء يمنع الرجل من الممارسة الجنسية وكان يتم بطرق وحشية بدائية همجية، منها قطع الخصيتين ويكون بسلبهما او رضهما، ومنها قطع قضيب الرجل الذي يسمى الجب، وكان كثير منهم يموتون اثناء العملية، وكان الغرض حرمانهم من ممارسة الجنس، اضافة الى انه كان يعتبر عقوبة للزاني عند المصريين وللسارق عند الاشوريين وللخونة عند البابليين والفرس. وقد استعمله المسيحيون في القرون الوسطى لاولادهم ليصبحوا رهباناً، ثم انتقلت هذه العادة الى بعض البلاد الاخرى في الشرق الاوسط.

والشريعة الاسلامية اعتبرت الخصاء جريمة يعاقب عليها، لأنه تعذيب لا يحل ان يُنزل بإنسان أو حيوان وقد نهى عنه الرسول العظيم ﷺ.

اقسام التعقيم:

ينقسم التعقيم باعتبار غايته الى ثلاث صور:[1]

الصورة الاولى: التعقيم العلاجي:

اذا ثبت طبياً ان الحمل يُعرض حياة المرأة للخطر، يجوز اجراء عملية لها تجعلها عقيماً مدى الحياة، مادامت الخطورة مستمرة، وفي هذه الصورة اذا تم التعقيم برضاء

---

[1] الدكتور عبد الوهاب (المسؤولية الطبية الجزائية) جهة الحقوق والشريعة التي يصدرها كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت العدد ٢ لسنة (٥) ١٩٨١: ص١٦١ وما بعدها.

الزوجة او من ينوب عنها من ذويهـا، وتم القـرار مـن الاطبـاء المختصـين، لا يُسـأل الطبيب والزوجة وكل من ساهم في العملية، لا في الشريعة ولا في القـانون، لا جزائيـاً ولا مدنياً، ما دامت الضرورة الصحية للمرأة تقتضي ذلك ولا يوجـد البـديل، عمـلاً بالقاعدة الشرعية: اذا تعارضت مصـلحتان يُقـدم الأهـم وإذا تعارضـت مضـرتان او مفسدتان يُختار أهونُهما شراً لدفع أخطرهما. وفي غير البلاد الاسلامية اقـره القضـاء الفرنسي والأنكليزي والأمريكي، باعتباره عملاً مبرراً بالضـرورات الصـحية، واباحـه بعض البلاد كايطاليا بالقانون.[1]

الصورة الثانية: التعقيم التقني والعرقي:

وهو اجباري بموجب القانون في البلاد التي تأخذ به كالـدنمارك والسـويد والنـرويج وفلندا وبعض الولايات الكندية، وظهرت هذه الصـورة في الربـع الثـاني مـن القـرن العشرين لتطبيقها على المجرمين المعتـادين والمنحـرفين جنسـياً والمصـابين بالصـرع واصحاب العقول المريضة.

واباحتها ألمانيا بالقانون سنة ١٩٣٣ للقضاء على دابر بعض الذين يشـوهون نقـاء العرق الالماني على حد زعمهم، ولكن الفكرة الغيت بعد الهزيمـة الهتلريـة في الحـرب العالمية الثانية.[2]

موقف الشريعة الإسلامية من هذه الصورة:

هو الرفض والتحريم، لانها وسيلة غير مشروعة، يقصد بها غايـة غـير مشـروعة، وهذا غير جائز وفق قاعدة سد الذرائع، اضافة الى انـه لا يوجـد نـص قـانوني عربـي وإسلامي يبرره.

الصورة الثالثة: التعقيم لغرض تحديد النسل:

وهو تعقيم اختياري يسعى اليه بعض الناس لباعث يختلف باختلاف الاشخاص. هو مشكلة هذا العصر بسبب الإنفجار السكاني في العالم، وأخذت بعض الدول ذات النمو

---

(١) مرسوم تشريع صادر ١٢/آذار/١٦٤٢ الدكتور عبدالوهاب، المرجع السابق.

(٢) لمزيد من التفصيل ينظر رسالة الماجستير (الاجهاض) للدكتور جاسم لفته.

السكاني بكثرة كالهند وايطاليا والصين ومصر تشجع عليه.

موقف الشريعة الاسلامية:

وهو تحريم التعقيم بصوره الثلاث ما لم تقم ضرورة تجعله خاضعاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وللقاعدة الشرعية المجمع عليها (الضرورات تجيز المحظورات)، لأن هنالك نوعاً اخر من منع الحمل يُمكن اللجوء اليه لحل المشكلة، وهو المنع المؤقت بوسيلة وقتية، حتى اذا زال العذر يرجع الحكم الى اصله، بناء على قاعدة (اذا زال المانع عاد الممنوع).[1]

موقف القانون

كما ذكرنا آنفاً لا يوجد في قوانين البلاد العربية نص يُحرم منع الحمل، باستثناء قانون العقوبات اللبناني النافذ الذي نص في (م٥٣٧) على ان (من اقدم بإحدى الوسائل المنصوص عليها في الفقرتين الثانية والثالثة من (م٢٠٩) على وصف او اذاعة الاساليب الآلية لمنع الحمل او لغرض إذاعتها بقصد الدعوة لمنع الحمل، عوقب بالحبس ثلاثة اشهر الى سنة وبالغرامة من ٢٥-١٠٠ ليرة) ونص (م٥٣٨) منه على انه (يعاقب بالعقوبة نفسها من باع او عرض للبيع او اقتنى بقصد البيع اي مادة من المواد المعدة لمنع الحمل او سهّل استعماله بأية طريقة كانت).

ونرى أن هذا القانون قد بالغ في منع الحمل، وقرر عقاب من هيأ وسائله وهذا عقاب على الجريمة قبل الشروع، لعله كان متأثراً باتجاه الكنيسة التي تعتبر منع الحمل محرماً بصورة مطلقة في كافة انواعه.

ربِّ زدني علما وألحقني بالصالحين

[1] مجلة الاحكام العدلية المادة (٢٤).

مدى مشروعية الاعمال
الطبية

مدى مشروعية الاعمال الطبية

من البدهي ان تطور الحياة أدى إلى اكتشافات علمية ومستجدات طبيـة وهـي تنتظـر احكامها من اجتهادات العلماء المختصين.

ومن العبث التفتيش عن تلك الاحكام في المدونات الفقهية القديمة لان هذه المستجدات لم تكن موجودة في عصور ائمة الفقـه (رحمهـم الله) حتـى يبحثـوا في احكامهـا عـن طريـق اجتهاداتهم.

كذلك من الواضح ان القرآن الكريم دستور الهي اخير معدل للدساتير الالهية السـابقة[1] فكما ان وظيفة الدساتير الوضعية في دول العالم هـي التخطـيط والتصـميم لتنظـيم الحيـاة والاقتصار على القواعد الكلية والمبادئ العامة وتخويل السلطة التشـريعية تشـريع قـوانين يعالج كل واحد منها جانبا معينا من متطلبات الحياة على ان لا تتعارض تلك القوانين مـع القواعد الدستورية.

كذلك الدستور الالهي للمجتمع البشري لم يتناول الجزئيات ولم يدخل في التفصيلات وانما اقتصر على القواعد الكلية وخول العقول البشرية ارجاع الجزئيات في كل زمان ومكـان إلى تلك الكليات في ضوء مسـتلزمات الحياة.

ووضع للانسان دائرة من الاخلاق وامر في أكثر مـن (٥٠) آيـة قرآنيـة بتحـرك العقـل البشري حسب متطلبات الحياة في كل عصر وفي كل مكان وتطويرها نحو الافضـل في جميـع المجالات شريطة ان يكون هذا التحرك العقلي داخل تلك الدائرة الاخلاقية.

وان يستمر العقل على تغيير الاحكام المبنية على المصـالح البشـرية كلمـا تغـيرت هـذه المصالح كما تقضي بذلك القاعدة الشرعية العامة المتفق عليها (لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان)[2] فهي لا تشمل الاحكام الاعتقادية ولا احكام العبادات ولا الأحكام الكونيـة ولا

---

[1] فأقر من الاحكام ما هو ثابت لا يتغير بتغير الازمان والامكنة، والغى (نسخ) ما عداها كمـا جـاء بأمهات الاحكام الجديدة التي تتناسب مع سعادة الاسـرة البشـرية ونضـجها العقلـي مـا دامـت الحياة باقية على كوكب الارض.

[2] المادة (٣٩) من مجلة الاحكام العدلية.

الأحكام العبرية، ولا الأحكام المدلول عليها بنصوص قرآنية دلالة قطعية[1]، بل التغير يكون بالنسبة للأحكام العملية من غير العبادات.

وبناءً على هذه الحقائق فانه كل ما يتعلق بحياة الانسان الدنيوية المبني على المصالح المشروعة البشرية فإنه تتغير احكامها بتغير تلك المصالح وتطور الحياة.

وان احكام الاعمال الطبية الحديثة وما يحدث في المستقبل تستنتج اما من القواعد النصية الكلية العامة من نصوص القرآن والسنة النبوية الثابتة. واما من القواعد الاجتهادية في حالة غياب القاعدة النصية.

ومن القواعد الشرعية النصية العامة من القرآن الكريم ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[2].

ومن القواعد النصية في السنة النبوية (لا ضرر ولا ضرار).

لا ضرر: أي لا يجوز الحاق الضرر بالغير بدون مبرر شرعي.

ولا ضرار: أي الضرر لا يزال بالضرر والضرر لا يُزال بمثله.

ومن اقواله الدالة على وجوب التداوي قوله (تداووا عباد الله فان الله لم يضع داءً الا وضع له دواء الا الهرم)[3].

ومنها قوله ﷺ ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))[4].

ومن القواعد الاجتهادية المتفق عليها الواردة في مقدمة مجلة الاحكام العدلية ما يلي:

١ـ الضرر يزال (م٢٠).[5]

٢ـ الضرورات تجيز المحظورات (م٢١)[6].

---

(١) كما في قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ (سورة النساء: ١١). فهذا الحكم لا يقبل التعديل بالاجتهاد لانه منصوص عليه بدلالة قطعية وبنص قطعي الثبوت.

(٢) سورة البقرة: ١٧٣.

(٣) سنن ابن ماجه ١١٣٧/٢ رقم الحديث (٣٤٣٦).

(٤) صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤.

(٥) مجلة الأحكام العدلية.

(٦) اصل القاعدة المشهورة (الضرورات تبيح المحظورات) لكن هذا خطأ شائع لان الضرورة من موانع المسؤلية الجنائية وليست من أسباب الإباحة فلا ترفع المسؤلية المدنية. فالصواب

٣ـ الضرورات تقدر بقدرها أي يجب الاقتصار على قدر الحاجة لرفع الضرورة.
٤ـ الضرر لا يزال بمثله (م٢٥).
٥ـ يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام (م٢٦).
٦ـ الضرر الاشد يزال بالضرر الاخف (م٢٧).
٧ـ إذا تعارضت مفسدتان روعي اعظمهما ضررا بارتكاب اخفهما (م٢٨).
٨ـ يختار اهون الشرين (م٢٩)[1]
٩ـ درأ المفاسد أولى من جلب للمنافع (م٣٠).
١٠ـ إذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة تقدم الأولى على الثانية.
١١ـ إذا تعارضت مصلحة محققة مع مصلحة احتمالية تقدم الأولى على الثانية.
١٢ـ الضرر يدفع بقدر الامكان (م٣١).
١٣ـ الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة أو خاصة (م٣٢).
١٤ـ الاضطرار لا يبطل حق الغير (م٣٣).
١٥ـ ما يتوقف عليه الواجب واجب.
١٦ـ كل ما فيه نفع الفرد أو المجتمع أو كليهما فهو جائز إذا لم يكن هذا النفع على حساب ضرر الغير.
١٧ـ كل ما فيه ضرر الفرد أو المجتمع أو كليهما فهو محظور ما لم تترتب على هذا الضرر نفع عام[2].

(تجين) بدلا من(تبيح) والجواز في حالة الضرورة يكون رخصة فمن لكل مال الغير تحت ضغط الاضطرار يجب عليه التعويض لان الاضطرار لا يبطل حق الغير في التعويض.

[1] هذه القاعدة تفيد نفس مضمون القاعدة التي قبلها ومن تطبيقاتها:
الإجهاض لغرض لنقاذ حياة أم الجنين، وقطع العضو المصاب بالسرطان لدفع انتشاره.

[2] فعقاب الجاني فيه ضرره وضرر لسرته لكنه مباح لما يترتب عليه توفير الامن وحماية حياة الابرياء واموالهم واعراضهم.
وهاتان القاعدتان الاخيرتان من لستنتاجي استنبطتهما من روح الشريعة الإسلامية ومن العقل السليم الذي جعله الله مناطا لتكليف الانسان باحكامه. ومن قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).. لمزيد من التفصيل يراجع مؤلفنا (ايضاح الفوائد في شرح القواعد على نمط جديد).

وجدير بالذكر ان معيار التمييز بين النفع والضرر في هاتين القاعدتين يجب ان يكون موضوعيا وفق ميزان الشريعة الإسلامية والنظام العام فلا يعتد بالمعيار الشخصي.

ومن الواضح ان تطبيقات الاعمال الطبية كثيرة لا يمكن تحديدها وحصرها تحت عناوين محددة لذا اقتصر على دراسة نماذج منها.

واختار للبحث من بين هذه النماذج الموضوعات الاربعة الاتية:

١ـ بتر وزرع الأعضاء البشرية.

٢ـ الإجهاض بين الحظر والجواز.

٣ـ التلقيح الصناعي وتحديد النسل.

٤ـ التعامل مع الجين البشري والاستنساخ.

ونتناول بالبحث هذه النماذج الاربعة في أربعة مباحث بايجاز استبعادا للاطالة المملة.

بتر وزرع الأعضاء البشرية

الشقوقات المتصورة لبتر وزرع الأعضاء البشرية هي:

أما ان تكون تلك الأعضاء صناعية مصنوعة من الجمادات كزرع عضـو مصـنوع مـن مادة البلاتين مثلا في جسد انسان كما في حالات الكسور وغيرها واما ان تكـون مـأخوذة من الكائنات الحية، وهذه الكائنات اما حيوان أو انسان، والحيوان اما ان يؤكـل لحمـه اولا، وفي الحالتين اما ان يكون حيا أو ميتا أو في حكم الميت كالمحكوم عليه بالاعدام.

وفي حالة الحياة اما ان يزرع العضو في نفس الشخص المأخوذ منه أو في جسد انسان آخر.

وفيما يلي احكام هذه الشقوقات:

أولا: إذا كانت الأعضاء مصنوعة من الجمادات مـن المعـادن وغيرهـا كـالبلاتين ونحـوه فالزرع مباح في جسد أي انسان يحتاج إلى هذا الزرع لانه عمـل نـافع ينقـذ حيـاة انسان أو يحافظ على سلامة جسده أو جماله وليس في هـذا الـزرع أي ضـرر يلحـق بالغير بسببه لذا يعد مباحا شرعا وقانونا.

لكن بشرط ان تقوم بهذه العملية جماعة من الاطباء المختصين وان تتخذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع المضاعفات المضرة والتداعيات السلبية.

ثانيـا: إذا كانت الأعضاء مأخوذة من كائن حي غير الانسان فالامر لا يخلو من احـدى الحالتين التاليتين:

الحالـة الأولى هي ان يكون الحيوان مما يباح اكله بعد الذبح فعندئذ بتر عضـو منـه وزرعه في جسد انسان بحاجة إليه في صورة كون الحيوان لا يزال حيا أو بعد ذبحه عمل مباح ومشروع قياسا على حل اكله.

اما إذا كان ميتة فان كان العضو المأخوذ منه عظما أو ما في حكمه كالقرن والسـن فان الحكم أيضا الإباحة لانه لا يحكم على هذا العضو بالنجاسة.

وإذا لم يكن عظما ولا ما في حكمه فلا يباح الزرع ما لم تقوم ضرورة كانقاذ الحياة أو حماية السلامة أو ارجاع الجمال إلى ما كان عليه من صنع الله، لقوله تعالى ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ[1] فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

وغير ذلك من الآيات القرآنية التي اجازت المحظورات في حالات الضرورات.

الحالة الثانية: ان يكون الحيوان مما لا يباح اكله فعندئذ لا يجوز زرع أي عضو منه حيا أو ميتا في جسد الانسان في حالات السعة أو وجود البديل قياسا على تحريم اكله

اما في حالة قيام حاجة ضرورية لانقاذ الحياة أو سلامة الجسم فان الحكم هو الجواز للآية المذكورة، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) ولقاعدة (الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة أو خاصة) مع رعاية قاعدة (الضرورات تقدر بقدرها).

ثالثا: إذا كانت الأعضاء مأخوذة من انسان حي فالاحتمالات المتصورة هي الآتية:

١ ـ إذا كان العضو يؤخذ من جسم انسان يزرع في نفس الجسم كأخذ قطعة من جلده في مكان ليرقع به مكان آخر للحفاظ على الجمال الالهي أو أخذ الوريد من الساق لزرعه في القلب أو ما شابه ذلك فان الحكم هو الإباحة لعدم وجود مانع شرعا وقانونا.

ولقيام النفع وعدم وجود ضرر داخلي أو خارجي وبوجه خاص إذا كان في هذا العمل انقاذ الحياة أو الحفاظ على السلامة الجسدية أو استعادة الجمال الذي تشوه بحادث عارضي.

٢ ـ إذا كان الهدف بتر عضو انسان لزرعه في جسد انسان آخر يكون حكمه الشرعي والقانوني وفق الضوابط الآتية:

أ ـ إذا لم يكن لهذا العضو نظير يقوم بوظيفته، يُعد البتر ممنوعا كالقلب والطحال والمرارة ونحو ذلك فان الحكم هو عدم الجواز مطلقا سواء رضي صاحب العضو أو لا لسببين:

---

[1] لم يكن متجاوزا عن حد الضرورة لان الضرورات تقدر بقدرها.

أحدهما ان حياة كل انسان ليست ملكا خاصا له حتى يحق لـه التنـازل لان هـذا البتر ينهي حياته فهو بمثابة الانتحار، والانتحار بصورة مباشرة أو غـير مباشـرة محرم شرعا وقانونا ومخالف للنظام العام.

والسبب الثاني عدم وجود المفاضلة بين انسان وآخر حتى ينقل عضو المفضل عليه إلى جسد المفضل، ويضحى بحياة الأول في سبيل انقاذ حياة الثاني.

ولان القاعدة الشرعية والقانونية تقضي بانه لا يزال الضرر بالضرر.

وجدير بالذكر ان البتر بعد الوفاة لا يشترط فيـه ان يكـون للعضـو نظـير يقـوم بوظيفة ما يبتر لان علة هذا الشرط هي حماية حيـاة للتـبرع والحيـاة غـير باقيـة والقاعدة الشرعية العامة تقضي بان (الحكم يدور مع علته وجودا وعدما)[1].

ب ـ إذا كان للعضو نظير في الجسم يقوم مقامه باداء وظيفته كالكلية فان الحكم هـو الجواز بالشروط الآتية:

١ـ ان تكون هناك ضرورة تدعو إلى البتر والزرع وان لا يوجد بديل لان العمل في حد ذاته وفي الظروف الاعتيادية غير مشـروع اجيـز استثناءً لمصلحة المريض عملا بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[2].

٢ـ ان يكون البتر بقدر الحاجة الضرورية لان الضرورات تقدر بقدرها.

٣ـ ان يتم التنازل عن العضو من صاحبه برضاه وهو بالغ عاقل مختـار واهـل للتبرع.

---

[1] هذا الجواز الشرعي أقرتـه القوانين الحديثـة منهـا قـانون الانتفـاع بـالعيون للاغـراض الطبيـة الاردني رقم(٤٣) لسنة ١٩٥٦ المادة الثانية التي تنص على ان (لكل من كانت جثة في حيازتـه بوجه مشروع ان يأذن استئصال قرنيتي العينين منهـا خـلال ثـلاث سـاعات مـن وقـت الوفـاة بهدف زرعهما لمريض بحاجة ماسة اليهـا أو لغـرض حفظهـا في مصـرف العيـون لحـين ظهـور الحاجة اليهما)

وهذا بشرط عدم ثبوت ما يدل على عدم موافقة المتـوفى في حياتـه علـى ذلـك وعـدم معارضـة ذوي العلاقة بعده وان يقوم بالعملية الطبيب المختص.

[2] وقد نص قانون زرع الأعضاء البشرية العراقي رقم (٨٥) لسنة ١٩٨٦ على هذا الشرط في مادته الأولى التي نصها (يجوز اجراء عمليات زرع الأعضاء البشرية للمرضى بهـدف تحقيـق مصـلحة علاجية راجحة لهم تقتضيها المحافظة على حياته).

٤ـ ان يؤخذ رضاء المريض أو وليه أو وصيه لكن في حالة الضرورة وتعرض المريض لخطر الموت أو الاصابة بعاهة مستديمة يحق للطبيب المختص ان يتدخل دون انتظار هذا الرضا فيجوز اجبار المريض على العلاج في حالات الضرورة وقيام الخطر لانه يكفي للجواز وجود إذن الشارع وهو موجود في حالة الضرورة وقيام الخطورة.

٥ـ ان لا يكون هناك أي خطر على صاحب العضو أو سلامته في الظن الغالب لدى اللجنة الطبية المختصة التي تتولى القيام بالعملية للقاعدة الشرعية والقانونية التي تقضي بان الضرر لا يزال بمثله[1].

٦ـ ان تتم عملية البتر والزرع من قبل لجنة طبية مختصة بعد فحص المريض والتأكد من عدم الخطورة على حياة المتبرع[2].

٧ـ ان تتخذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع المضاعفات السلبية وان تجرى العملية في مستشفى خاصة تتوافر فيها الاجهزة الحديثة من شأنها ان تكون عاملا مساعدا لنجاح العملية للقاعدة الاولية (ما يتوقف عليه الواجب واجب)[3].

٨ـ ان لا يكون هناك بديل آخر مشروع لان البتر خلاف الأصل ولا يصار إليه الا في الظروف الضرورية الاستثنائية.

٩ـ ان يكون الباعث الدافع إلى عملية البتر والزرع هو شفاء المريض وانقاذ حياته أو الحفاظ على سلامة جسده.

---

(١) لكن في بعض القوانين إذا توافر رضاء المتبرع وهو بالغ عاقل يجوز الزرع والبتر رغم قيام الخطر على حياة المتبرع كما نص على ذلك قانون العقوبات الايطالي في المادة (٥٠) (لا عقاب على من يتعدى على حق الغير أو يجعله في خطر إذا حصل ذلك برضاء صاحب الحق وكان من الجائز التصرف بالحق).

(٢) وقد نص على هذا الشرط الفقرة الثانية من المادة الثانية من قانون غرس الأعضاء البشرية السوري رقم (٣٢) لسنة ١٩٧٢ (تقوم لجنة اطباء مؤلفة من ثلاثة أطباء بفحص المتبرع وتقدير ما ان كان الترخص بنقل العضو من جسمه لا يشكل خطرا على حياته).

(٣) وبصدد هذا الشرط نصت المادة (٤) من قانون مصارف العيون العراقي على (ان تتم عمليات نقل العيون في مستشفى الرمد (ابن الهيثم حاليا) أو في مستشفى الجمهوري (مدينة الطب حاليا) أو في مستشفى أخرى تحدد بتعليمات يصدرها وزير الصحة).

وجدير بالذكر ان التزام الطبيب في العلاج بتحقيق الشفاء التزام ببذل العناية لا بتحقيق الغاية لان جميع مستلزمات هذه الغاية غير خاضعة لإرادة الطبيب فاذا لم تنجح العملية ولم يتحقق الغرض لا تترتب على ذلك مسؤولية الطبيب لا جنائيا ولا مدنيا ما لم يثبت قصوره أو اهماله.

١٠ـ ان لا يكون تنازل صاحب العضو مقابل عوض[1] بل يجب ان يكون تبرعا للاسباب الآتية:

أ ـ في المعاوضة نوع من الاهانة بالانسان ومس لكرامته التي منحها الله اياه كما قال سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2].

ب ـ الأعضاء البشرية ليست اموالا قابلة للتعامل ومن شروط صحة المعاوضات شرعا وقانونا ان يكون كل من العوضين قابلا للتعامل.

ج ـ سد الذرائع بمنع وسيلة من شانها ان تؤدي إلى نتيجة غير مشروعة بفتح الباب امام الناس للتجارة بالاعضاء البشرية.

وتزيد هذه الحقيقة دعوة منظمة الصحة العالمية لهيئة الأمم المتحدة إلى حظر بيع الأعضاء البشرية والكف عنه نظراً لما شاع من استغلال شنيع للمتاجرة بها وتصديرها من دولة إلى دولة أخرى واتخاذها وسيلة للكسب وبصورة خاصة في الدول الفقيرة التي يجد فيها هؤلاء التجار اللاأخلاقيون سوقا رخيصة لبيع الأعضاء ثم تصديرها إلى المستشفيات العالمية فالمنع عن طريق المعاوضة مبدأ استقر عليه الشرع والقانون والاتجاه الدولي.

لكن لا يوجد مانع شرعي أو قانوني من قيام المتبرع له برد الجميل وتقديم خدمة مالية أو بدنية للمتبرع بعضوه له وتستثنى من قاعدة المنع عن طريق المعاوضة شرعا وقانونا حالة الضرورة فلو توقف انقاذ حياة المريض

---

(١) تنص المادة الثالثة من قانون عمليات زرع الأعضاء العراقي على انه (يمنع بيع وشراء الأعضاء باي وسيلة ويمنع الطبيب الاختصاصي من اجراء العملية عند العلم بذلك) ويطابقه قانون حماية الصحة وترقيتها الجزائري رقم (٨٥) لسنة ١٩٨٥م٦.

(٢) سورة الاسراء: ٧٠.

على زرع هذا العضو ولم يكن بالامكان حصوله من مصدر آخر عن طريق التبرع واصر صاحب العضو على عدم الموافقة الا عن طريق المعاوضة فان الحكم يتحول من المنع والحظر إلى الجواز عملا بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات.

١١ـ ان تتحمل حالة المريض الصحية لاجراء العملية[١].

رابعا: إذا كان العضو يؤخذ من انسان ميت ليزرع في جسم انسان حي فيشترط لجوازه شرعا وقانونا توافر الشروط الآتية:

١ـ ان تكون الوفاة ثابتة بتقرير طبي.

٢ـ ان تكون هناك ضرورة تدعو إلى اخذ عضو من هذا الانسان الميت لغرض زرعه في جسد انسان حي.

٣ـ ان لا يكون العضو مما يؤدي إلى اختلاط النسب ونقل موروثات عن الشخص الأول إلى الشخص الثاني كالمبيض والخصية.

٤ـ موافقة ذوي الشأن أي موافقة المريض قبل وفاته إذا كان واعيا واهلا للتبرع وموافقة اهله بعد مماته.

٥ـ عدم العبث بجسد الميت وعدم التوسع في انتزاع أعضائه لان اصل النقل محظور أجيز استثناءً للضرورة والضرورات تقدر بقدرها.

خامسا: استقطاع الأعضاء ممن هو في حكم الميت كما في حالة موت الدماغ.

ومن المعروف ان الدماغ يتكون من ثلاثة اجزاء وهي:

١ـ المخ وهو مركز التفكير والذاكرة والاحساس.

٢ـ المخيخ ويتلفظ (المُخيخ): وظيفته توازن الجسم.

٣ـ جزع المخ وهو المركز الاساس للتنفس والتحكم في القلب والدورة الدموية.

---

[١] وقد نصت الفقرة (٤) من المادة الأولى من قانون الآداب الطبية رقم (٢٨٨) والمنشور في الجريدة الرسمية العدد (٩) في ١٩٩٤/٣/٣ على الشرطين العاشر والحادي عشر كالآتي

(٤ـ ان يكون اعطاء الأعضاء على سبيل الهبة المجانية غير المشروطة.

ولا يجوز اجراء العملية لمن لا تسمح حالته الصحية بذلك أو في حال لاحتمال تهديد صحته بخطر جديد من جرائه.

ومن المعروف أيضا إذا مات المخ أو المُخيخ من اجزاء الدماغ امكن للانسان ان يحيا حياة غير اعتيادية وهي ما تسمى الحياة النباتية أو مرحلة ما بعد الإغماء عن طريق الأجهزة.

اما موت جذع الدماغ فالرأي السائد عند أكثر الاطباء المختصين انه نهاية للحياة حيث يتوقف القلب والنفس تماماً بعد رفع آلة جهاز الإنعاش.

حكم الاستقطاع ممن هو في حكم الميت قبل الموت النهائي:

الحكم هو عدم الجواز لسببين:

احدهما: الموت في الشريعة الإسلامية مفارقة الروح البدن فهذا لا يتحقق في هذه الحالة فهو لا يزال مالكا لاعضائه وامواله وزوجا لزوجته فلا يجوز توزيع تركته ولا تبدأ زوجته بالعدة ولا تتزوج مهما طالت هذه الحالة.

والثاني: ما دام الاستقطاع يمس كرامة الانسان فلا يجوز الا بأذن صاحبه أو ورثته فاذنه لا يعتد به لانه عديم الوعي وبالتالي عديم الأهلية كما لا يعتد بأذن ورثته لأنهم لا يملكون التصرف في امواله فكيف يملكون التصرف في أعضائه.

وهنا سؤال يطرح نفسه على بساط البحث وهو انه إذا مات الدماغ ولكن القلب لا يزال يعمل بالجهاز الصناعي هل يجوز رفعه؟

الجواب هو الآتي:

١ـ يجوز رفعه إذا استعاد المريض صحته بارادة الهية لان الله على كل شيء قدير وإذا رفع قبل ذلك يعتبر الرفع بدون مبرر قتلا بالتسبب.

٢ـ رفعه لاجل انقاذ حياة مريض آخر غير جائز قبل التأكد من موته لعدم الفرق بين انسان وآخر لان حياة كليهما محمية بالشرع والقانون.

٣ـ في حالة اليأس من الشفاء بقرار من اللجنة الطبية المختصة وكان هنالك مريض آخر يتوقف انقاذ حياته على هذا الجهاز ولا يوجد جهاز آخر مثله يجوز ان يرفع من قبل الطبيب المختص بناءاً على القاعدة الشرعية والقانونية (إذا تعارضت مصلحتان احداهما محققة والاخرى احتمالية تقدم الأولى)[1].

---

[1] ومن تطبيقات هذه القاعدة جواز الحكم بوفاة المفقود لمصلحة الزوجة المحققة رغم تعارضها مع مصلحة الزوج المفقود لاحتمال بقائه على قيد الحياة لان هذه المصلحة احتمالية وكذلك

حكم استقطاع العضو من المحكوم عليه بالاعدام:

من حكم عليه بالاعدام لسبب شرعي وقانوني موجب لذلك وتم تصديق رئيس الدولة على الحكم وقرر يوم محدد لتنفيذ الحكم فلا يجوز قطع أي عضو من أعضائه ولو قبل التنفيذ بلحظات الا بموافقته الصريحة تحريرياً على أساس الوصية لهذا العضو لانه تجوز الوصية في غير الأموال ولو كان العضو من الأعضاء غير الرئيسة رغم كونه من الأموات حكماً وذلك لان المحكوم عليه إذا أهدر حياته بارتكاب جريمة موجبة لذلك فانه لم يهدر كرامته التي منحها الله اياه.

فاحتراما لهذه الكرامة لا يجوز بتر أي عضو منه الا بموافقته الصريحة على ان يكون حين الموافقة بالغا عاقلا واعيا مختارا غير مجبر على الموافقة.

الوصية بالأعضاء البشرية:

في الشريعة الإسلامية تجوز الوصية بمال أو غير مال إذا توافرت الشروط الشرعية للوصية بان يكون الموصي اهلا للتبرع والموصى به مشروعا والموصى له يكون اهلا للوصية.
وتشترط القوانين[1] الشكلية لهذه الوصية من حيث الاثبات لا من حيث الصحة.

حكم نقل الدم من جسد شخص إلى شخص آخر:

الحكم هو الإباحة بالشروط الآتية:

١ـ موافقة صاحب الدم وهو اهل للتبرع.
٢ـ فحص الدم مقدما وصلاحيته للنقل إلى جسد المريض المحتاج إليه.
٣ـ ان يكون بدون مقابل الا في حالات لا يمكن الحصول عليه الا بمقابل.
٤ـ قيام الحاجة الضرورية إليه.

يجوز اجهاض الجنين لانقاذ حياة الام لان مصلحة حياة الام محققة ومصلحة حياة الجنين احتمالية.

[1] ومن هذه القوانين قانون زرع الأعضاء العراقي (م/٢/١) من يتبرع بها أو يوصي بها حال حياته شريطة ان يكون كامل الأهلية عند التبرع أو الايصاء باقرار كاتب.

٥- ان لا يكون دما مسفوحا. والمسفوح هو الدم الذي يخرج من مكانه المستقر فيه ويتعرض للهواء. لانه ثبت في الطب الحديث ان الدم يعتبر اخصب وسط لنمو الجراثيم إضافة إلى انه يحمل افرازات سامة ويكون مباحا إذا لم يكن مسفوحا بان يتعاطاه الانسان مع اللحم أو العظم أو بان يسحب من جسم شخص إلى قنينة ومنها إلى شخص آخر كما هو المتبع في المستشفيات في العصر الحديث[1].

حكم التجميل:

عمليات التجميل مشروعة ومباحة باتفاق فقهاء الشريعة الإسلامية إذا لم يكن فيها تغيير لصنع الله.

فرفع الحاجب ووضع حاجب صناعي مكانه بصنع أو غيره غير جائز شرعا لان فيه التغيير لصنع الله.

والصبغ على الشفة وعلى الأظافر حرام فلا يجوز أيا كان الباعث الدافع لانه غطاء يمنع وصول الماء إلى الجسد فيكون كل من غسل الجنابة والوضوء باطلا وبالتالي تكون الصلاة باطلة أيضا.

اما إذا استهدفت عمليات التجميل اصلاح عضو واعطاءه الشكل الطبيعي كفصل اصبعين ملتصقين أو إزالة اصبع سادس زائد فهي في حقيقتها اعمال علاجية من حيث انها ترمي تخليص الجسم من عارض غير طبيعي.

وكذلك لا خلاف في اباحة التجميل لازالة اثار الحريق وغيره لان الله جميل يحب الجمال.

حكم تشريح الميت :

الاصل هو عدم الجواز لان تشريح الميت ايا كانت طبيعته وطريقته فيه نوع من المس بكرامته والانسان قد كرمه الله في حالتي الحياة وللمات على حد سواء. فيجب ان يكرم ويحترم بعد الوفاة تكريمه واحترامه في حالة الحياة .

ولكن الشريعة الاسلامية علمتنا في اكثر من (٥٠) اية قرانية استخدام العقل والموازنة بين المصالح المتضاربة وتقديم الاهم منها على المهم والسير في ركب الحضارة البشرية والاخذ

---

[1] الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل.

بنظر الاعتبار اهمية المستجدات العلمية وعدم الوقوف ضد كل جديد الا بعد المقارنة بين مضاره ومنافعه وبثبوت تغلب منافعه على محاسنه فاذا تبين من التجارب العلمية ان للمكتشف العلمي الجديد فوائد اكثر من الاضرار يجب على المفتي والقاضي عدم التردد في الافتاء بجوازه شريطة التقيد بضوابطه ورعاية قيوده وشروطه التي يحددها ميزان الشرع.

ومن القواعد العامة في الشريعة الإسلامية أن كلما يكون ضرره أكثر من نفعه مُحرّم، كختان الإناث، وكل ما يكون نفعه أكثر من ضرره مباحٌ أو واجب، كختان الذكور.

شروط التشريح الطبي :

يشترط لمشروعية عملية التشريح شروط اهمها :

ان تكون هناك حاجة ماسة ومصلحة مشروعة تقتضي القيام بعملية تشريح الميت .

الحصول على موافقته في الحياة او موافقة ذويه بعد الممات موافقة صريحة بعيدة عن الاكراه الادبي والمادي .

ان تقوم بالعملية الاطباء المختصون وعليهم ان يتبعوا الطرق الاصولية في هذه العملية .

ان يكون الباعث الدافع الى التشريح خدمة مصالح الاحياء من الناس .

ان يكون التشريح بقدر الحاجة لان جوازه استثناء.

والاستثناء يتطلب الاقتصار على قدر الحاجة لان الضرورات والاستثناءات تقدر بقدرها.

العلل الغائية للتشريح (او جوازه):

التشريح ضروري لجميع حالات الموت المشتبه فيه تحقيقا للاغراض الاتية :

١- تمييز التسبب المباشر من غير المباشر للوفاة :

ومن الاسباب المباشرة ان تكون الاضرار والافاق الجرحية كافية لحدوث الموت كالنزف الدماغي او تمزقه او نحو ذلك .

ففي الاصابات الجراحية مثلا لو فرضنا ان شخصا طعن اخر بالة حادة فمات اثر ذلك واتضح بعد تشريح ان الاضرار الجسمية التي أحدثتها الآلة المستعملة في الاعتداء تعد هي السبب للمباشر لوفاة المجني عليه.

ومن الاسباب غير المباشرة كل تخريب يحصل في الجسم بحيث لا يكفي بمفرده لاحداث الموت وانما حدث لوجود افة مرضية شخصية بأن كان المصاب قد ابتلى بها قبل الحادث الجنائي ومن الاسباب غير المباشرة ايضا ما يقطع علاقة سببية بين الفعل الجرمي والنتيجة كالاهمال في العلاج وحدوث المضاعفات وبناءا على ذلك يجب على الطبيب ان يكون دقيقا في التمييز بين السبب المباشر وغير المباشر لاختلاف حجم العقوبة المقدرة شرعا وقانونا للجاني في كلتا الحالتين .

٢- تحديد مدى مسؤلية الفاعل :

عن طريق التشريح يستطيع الطبيب ان يقدم في حالات خاصة ادلة علمية لتنوير التحقيق ولهذه الأدلة اهمية قصوى من حيث ان القاضي يستنير بها اصدار الحكم القضائي وتساعد هذه البراهين الفنية على ادانة المتهم او تبرئة ساحته او تخفيف الحكم عنه .

كما ان بامكان الطبيب الذي يقوم بعملية التشريح تحديد اضرار كل الة جرحية بمفردها فيما لو استعملت الات متعددة ومن قبل اكثر من شخص واحد ساهم في الجريمة ثم تعيين علاقة اضرار كل الة بصحة للمصاب او بسبب وفاته تبعا لظروف الواقعة وطبيعة الجريمة.

٣- الاهمال العلاجي :

يوضح الطبيب للمحقق العدلي (او قاضي التحقيق) كل اهمال علاجي يتضح له ثم يقرر مدى علاقته بسبب الموت وعلى هذا الاساس شرعت بعض الدول[1] قانون منع الطبيب العدلي من ممارسة مهنته الطبية بصورة خاصة للتعارض بين الصفة الاستشارية و الصفة العلاجية.

٤- إخفاء معالم الجريمة :

من المعروف ان المتهم قد يحاول تضليل قاضي التحقيق بشتى الوسائل المتيسرة لديه كان يسكب مادة النفط على جسد المجني عليه فيحرقه فيضل الطبيب العدلي عن

---

[1] كما في جمهورية مصر العربية خلافاً لما عليه القانون في العراق.

طريق التشريح الى ان الحريق حصل بصورة عارضة وليس له دخل في حدوث الوفاة . وقد يقوم القاتل بتعليق الجثة ليوهم قاضي التحقيق ان الشخص انتحر بشنق نفسه لكن يتمكن الطبيب العدلي من التمييز بين الحقيقة وما قام به المتهم من إخفاء الواقع والحقيقة وتضليل المحقق او القاضي.

٥- حيوية الاصابة :

وتدعى هذه الحالة الاصابة الحيوية (او الفعالية) اذا حدثت في جسم حي وبتشريح الجثة يتمكن الطبيب من تشخيص حيوية وفعالية الجرح من عدمها ومن ان يثبت في الوقت نفسه سبب الموت الحقيقي .

ومن تطبيقات هذه الحالة حادثة جنائية وقعت ثم دعيت الهيئة التحقيقية بضمنها الطبيب العدلي لاجراء الكشف على جثة شخص قيل انه احترق قضاءا وقدرا ونتيجة الكشف الظاهري والفحص التشريحي تبين ان الحرق كان حيويا في مناطق معينة في جسم الضحية وغير حيوي في مناطق اخرى واظهر التشريح للطبيب العدلي وجود كدمات في تجويف الفم وهي تدل مظاهرها على انها حصلت اثر ادخال مادة غير خشنة بعنف داخل الفم كقطعة قماشية كما اظهر الفحص وجود اصابات حيوية في الراس بسبب الة راضة قاطعة كالفأس وبعد ان قدمت هذه المعلومات التشريحة لقاضي التحقيق اتضح له الامر بعد بذل جهود وكشف عما يكشف الواقعة من غموض ولما القي القبض على الفاعل اعترف بانه ادخل بشماخه داخل فم المجني عليه للحيلوة دون استغاثته ثم هوى بالفأس على رأسه عدة مرات واوقد النار في الموقد وقرب رأس القتيل من النار بعد ان ظن انه قد فارق الحياة وقد ظهر للطبيب العدلي ايضا ان المصاب كان آنذاك في حالة غيبوبة عن طريق مشاهدة حروق حيوية على جسده .

ثم تبين ان شخصا مستخدما داخل الغرفة بعد الحادث واستخرج الشماخ من فم القتيل واجرى له تنفسا صناعيا ظانا انه لايزال على قيد الحياة ثم اخبر الشرطة عن

الحادث.[1]

٦- تعيين اتجاه الاصابة :

قد يتطلب من الطبيب العدلي تعيين اتجاه الاصـابة في الجسـم للاسـتفادة منهـا في معرفة اليدين كانت قد مسكت الآلة الجارحة كمـا في حالـة الاصـابة الانتحاريـة او الجنائية او المفتعلة (المصطنعة) او لاستنتاج موضع الجاني هـل كـان علـى مسـتوى اعلى أو أدنى من القتيل أو أنه أصابه من الأمام او الخلف او من الجانب للتمييز بين حالات الانتحار وبين الاعتداءات الجرميـة.

٧- تبيين الآلة الجراحية:

يستطيع الطبيب العدلي في كثير من الحالات استناداً الى صفات الاضـرار واشـكالها وسعتها وعمقها واتجاهها ان يستنتج ان الآلة القاطعة كانـت ذات حـد واحـد او ذات حدين، أو ان الآلة الرافدة كانت مسـتطيلة الشكل او دائرية او ذات شكل معين آخـر، أو ان الآلة النارية ذات مقذوف واحد كالبندقية او المسدس او اكثر كبندقية الصـيد ومن الواضح ان لتحديد الآلة المستعملة في تنفيذ الجريمة دوراً مهمـاً في تحديـد حجم الضربة استناداً الى مدى خطورة الجاني وقوته في ارتكاب الجريمة.

٨- كيفية حدوث الإصابة:

يساعد التشريح الطبـي في كثير من الوقائع على استنتاج منشأ الاضـرار ومعرفـة آليتها وعلي سبيل المثل في حـادث السـيارة تكـون الغايـة معرفـة كيفيـة حصـول الاصابة هل حصلت من أثر مرور عجلة السيارة او مـن سـقوطه منهـا او بنتيجـة ضغط شديد حصل على جسمه بعد رجوع السيارة الى الوراء او نحـو ذلـك ممـا يحـدد مدى مسـؤوليـة سائق السيارة وتقصيره وبالتالي تسببه في وفاة المصاب.

٩- تقدير الحالة الصحية:

[1] ينظر: الطب العدلي علماً وتطبيقاً للدكتور وصفي محمد علي، مطبعة المعارف، ط١، ١٩٧٦، ٧٧/١.

يتوقف تقدير الحالة الصحية للمتوفى على ما يقدمه الطبيب المشرح في تقديره المتضمن لمجموع المشاهدات التشريحية والفحوص المختبرية التي يستعان بها ومن الواضح ان هذه الحالة ضرورية بالنسبة للدوائر الرسمية وشبه الرسمية وشركات التأمين في موضوع التزاماتها يدفع تعويض مالي لورثة المتوفى بعد التأكد من ان وفاته حصلت اثناء قيامه بمهمة وظيفة عهدت اليه وفيما اذا كان سبب الموت ناتج عن ذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة كان يصعق عامل بالتيار الكهربائي عندما كان يقوم بتصليح بعض الاسلاك.

وفي حالة مشاهدة الطبيب آفة مرضية يجب عليه ان يوضح علاقتها بسبب الوفاة.[١]

---

[١] لمزيد من التفصيل ينظر: المرجع السابق، ١/٧٢-٧٩.